البنك العربي
ARAB BANK

مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
ARAB BANK - البنك العربي

أدب الأطفال في الأردن:
آفاق المتعة والفائدة

تقديم: أ.د محمد عبيد الله

أدب الأطفال في الأردن:
آفاق المتعة والفائدة

أدب الأطفال في الأردن: آفاق المتعة والفائدة

إعداد: مؤسسة عبد الحميد شومان.

تقديم: أ.د محمد عبيد الله

الطبعة الأولى 2024.

© حقوق الطبع محفوظة.

مؤسسة عبد الحميد شومان،
ذراع البنك العربي للمسؤولية الثقافية والاجتماعية

مؤسسة عبد الحميد شومان

هاتف: 4633372 6 962+ 463362 6 962+

فاكس: 4633565 6 962+

ص. ب: 940255 عمان، 11194 الأردن

AHSF@shoman.org.jo

shomanfdn

www.shoman.org

الأهليّة للنشر والتوزيع *e – mail: alahlia@nets.jo*

الفرع الأوّل (التوزيع): المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12

هاتف 4638688 6 00962، **فاكس** 4657445 6 00962

ص. ب: 7855 **عمّان** 11118، **الأردنّ**

: alahliabookstore@gmail.com/ : 00962775544710/ : alahlia_bookstore/ : AlAhliaBookstore/

الفرع الثاني (المكتبة): عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بناية 34

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب: أدب الأطفال في الأردن: آفاق المتعة والفائدة

إعداد: مؤسسة عبد الحميد شومان (الأردن)

بيانات النشر: عمّان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 2024

الوصف المادي: 256 صفحة

رقم التصنيف: 808.068

الواصفات: /أدب الأطفال//مهارات الكتابة//الأسلوب الأدبي//الأشكال الأدبية//الأدب العربي/

الطبعة: الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الأردنية: (2024/3/1300)

ردمك: 978-9957-19-087-3 ISBN

أدب الأطفال في الأردن:
آفاق المتعة والفائدة

تقديم: أ.د محمد عبيد الله

المشاركون في الكتاب

(وفق ترتيب المداخلات)

محمد عبيد الله	ناصر شبانة	منير حسني الهور
عبير النوايسة	راشد عيسى	محمد جمال عمرو
تغريد النجار	صبحة أحمد علقم	يوسف البري
آية يونس	محمودأبوفروةالرجبي	رمزي الغزوي
هيا صالح	أماني سليمان داود	سوزان غاوي
لُما عازر	هديل مقدادي	سناء الحطّاب
روضة الفرخ الهدهد	فلورا مجدلاوي	ناهد الشوا

رؤساء الجلسات

(وفق ترتيب المداخلات)

بثينة البلخي	هالة النوباني
شهلا العجيلي	رانية الجعبري

فداء الزمر

أدب الأطفال: آفاق المتعة والفائدة

أ. د. محمد عبيد الله[1]

يمثّل (أدب الأطفال) صنفًا حيويًّا من الأدب المُتداول في عصرنا الراهن، وهو يستند إلى تاريخ طويل من التطوّر في مختلف الثقافات شرقًا وغربًا، شأن غيره من أصناف الأدب الكبرى، وتحت هذه التسمية الشاملة نجد أنواعًا فرعية تمثل ألوانًا من الشعر والقصة والرواية والمسرحيّة، مثلما تنقسم هذه الأنواع إلى أنماط أخرى وفق أساليبها أو موضوعاتها، ولكل منها تاريخ مميز بعلامات وإنجازات وكتابات تتفاوت في قيمتها واستمرار حياتها، ولا شك في أن أهمها تلك النصوص والآثار التي قاومت الزمن وانفلتت من عقاله، فاستمرت في الحياة والفاعلية والتأثير، مما مكّنها من ضمان حضورها حتى أيامنا الراهنة.

ولعل من أشهر تلك العلامات الباقية التي تجمع بين المكانة التاريخية واستمرار الحضور والتأثير: (خرافات إيسوب) التي تُنسب إلى واضعها أو جامعها (إيسوب) اليوناني الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد، وحكايات لافونتين (فرنسا) في القرن السابع عشر الميلادي، وحكايات الأخوين غريم من القرن التاسع عشر(ألمانيا)، إلى جانب حكايات عربية وشرقية تعود إلى القرون الوسطى نحو: كليلة ودمنة لابن المقفع، وبعض الحكايات والخرافات المستمدّة من ألف ليلة وليلة، ومنها أقاصيص السندباد وعلاء الدين وعلي بابا ونحوها من أقاصيص يعاد إنتاجها وتوظيفها بصور مختلفة حتى اليوم. وتشير هذه الأقاصيص الخيالية والخرافية إلى أهمية عنصر الرمز والخيال والإيحاء في أدب الأطفال، وأنه من أهم ركائز نجاح هذا الأدب في الماضي والحاضر.

---

(1) أستاذ الأدب والنقد في جامعة فيلادلفيا.

وأما تاريخ أدب الأطفال العربي الحديث فيعود في جذوره إلى موارد تراثية تتمثل في اهتمام فطري وتلقائي بتربية البنين والبنات، وما كان يُنشد لهم من أناشيد حفظتها كتب التراث تحت مسمّى (الترقيص) أو (التزفين) تغنّيها الجدات والأمهات للصغار، وفي العصر الحديث اندرجت بدايات أدب الأطفال بأثر من الترجمة والتفاعل مع تجارب الأمم والثقافات الأخرى، ولم يكن ذلك بعيدًا عن الاهتمام بالتربية، فقد عُني معلّمو النهضة ومفكّروها بمسألة التربية، وأدركوا صلتها بقضية النهضة، فأسهم رفاعة الطهطاوي (ت1873م) في بدايات أدب الأطفال من خلال ترجمة بعض الأقاصيص الأجنبية، كما أسس مجلة لأدب الأطفال والثقافة المدرسية باسم (روضة المدارس المصرية).

وإذا كان المجال لا يتسع لتتبع تاريخي موسّع فيكفينا في هذا المقام أن نذكّر بدور أمير الشعراء أحمد شوقي (ت1932م) الذي اطلع أثناء دراسته في فرنسا على تطور أدب الأطفال وأُعجب بحكايات لافونتين، فسار على منوالها فيما نظمه من أشعار ومزجها بما يعرف من التراث العربي في مجال قصص الحيوان وكليلة ودمنة ونحوها، وأنتج منها أشعاره الباقية التي تمثل شوقيّاته الموجّهة إلى الأطفال. وتبعت هذه الجهود ما قدّمه رواد كثيرون ذوو فضل على تطوير أدب الأطفال بمختلف الأنواع الأدبية في القرن العشرين مثل: محمد عثمان جلال، ومحمد الهراوي، وكامل كيلاني، وعبد التواب يوسف، ومحمد عطية الأبراشي، ومحمد سعيد العريان، ويعقوب الشاروني، وكذلك ما قدّمه: سليمان العيسى الذي أسس مرحلة جديدة من أشعار الطفولة في النصف الثاني من القرن العشرين، وتجربة زكريا تامر في تطوير القصة القصيرة الموجهة إلى الطفل في سبعينات القرن العشرين ضمن تجربة دار الفتى العربي في بيروت، وهي التجربة التي استأنفها محمود شقير باهتمام لافت فنيًا وموضوعيًا في العقود الأخيرة، وركز فيها على مشاغل الأطفال والفتيان والفتيات في فلسطين الأسيرة تحت الاحتلال.

أما تجربة أدب الأطفال في فلسطين والأردن فنشأت مبكرًا من خلال عدد من الأدباء والتربويين الذين حرصوا على وضع نماذج من أدب الأطفال شعرًا ونثرًا في الكتب المدرسية وفي الكتب الأدبية وكتب المطالعة الداعمة للتعليم، أمثال: راضي

عبد الهادي، وإبراهيم البوارشي، وإسحق موسى الحسيني، وخليل السكاكيني، وفائز علي الغول، وحسني فريز، وعيسى الناعوري وغيرهم من الرواد والكتاب الأوائل.

وبعد هؤلاء اتسع الاهتمام وكثر عدد الأدباء المهتمين بالكتابة للأطفال، وأفادوا من ظهور المجلات الموجهة إلى الأطفال، وكذلك حرصت الصحف الأردنية على تخصيص صفحات أو ملاحق للأطفال، إلى جانب اتساع دور المؤسسات الرسمية والأهلية وكثرة دور النشر وتطور المطابع وظهور الهيئات المتخصصة في الطفولة، واتساع الوعي بثقافة الأطفال، وتأسيس الجوائز المخصصة لهذا المجال، وصولًا إلى تدريس مواد تعليمية متخصصة في أقسام اللغة العربية وأقسام التربية في مجال (أدب الأطفال) و(ثقافة الأطفال)، وإعداد الرسائل الجامعية والبحوث والدراسات النقدية والتاريخية المتعلقة بهذا المجال، مما ينم عن الرصيد الإبداعي الواسع المشجّع على الدراسة والبحث. ويؤكّد لنا ما سبق أهمية البيئة الحاضنة في تطوير أدب الأطفال ورعايته، فليست المسألة محصورة في ظهور الأدباء الأفراد المهتمين أو المتمكّنين فحسب، بل لعل البيئة المشجعة والحاضنة هي الأساس في تطوير مجال أدب الأطفال ودعمه ورعايته.

ونشير إلى ملاحظة خاصة تتمثل في اتساع مساهمة المرأة ابتداء من سبعينات القرن العشرين في مضمار أدب الأطفال وثقافتهم، فتأسست صورة الكاتبة الأم التي تؤلّف وتقرأ قصصها وأشعارها للأطفال في مدارسهم وصفوفهم، وليس أدل على اتساع المشاركة الإيجابية للمرأة في مجال أدب الأطفال من مشاركة ثلاث عشرة كاتبة وباحثة في الكتاب الذي بين أيدينا، من مجموع عشرين مشاركًا ومشاركة، مما يعني أن ٪65 من المشاركين في الملتقى هم من النساء المهتمات بأدب الأطفال إبداعًا ونقدًا وبحثًا.

وإذا كانت الأجناس والأنواع الأدبية تعرّف وتميّز بخصائص فارقة تميز النصوص التي تنتمي إلى هذا الجنس الأدبي أو ذاك، فإن أدب الأطفال يتميز بتعريفه وفق المتلقي أو الجمهور الذي يتوجه إليه، وكما يقول (كيمبرلي رينولدز) مؤلف (أدب الأطفال مقدمة قصيرة)، «فمن المعتاد في مجال نقد أدب الأطفال أن الجمهور هو من

يحدّد ويعرّف أدب الأطفال، إذ لا يتم تعريفه من خلال خصائص الجنس الأدبي أو الفترة الزمنية أو الأسلوب أو المؤلف». (ص34).

وهذه الميزة تشكّل حجر الزاوية ومدار هذا الأدب، فهو من ناحية عناصره وتقنياته وربما كثير من موضوعاته ومضامينه لا يكاد يختلف عن الأدب العام، وإنما ميزته الفارقة ما تفرضه فئة الأطفال أو الجمهور من تبدل وتغير في تلك الخصائص والمضامين لتتلاءم مع الطفل وفق وعيه، إنه محكوم في اختياراته بمن يتوجه إليه الأدب وليس بمن ينتجه. واستنادًا إلى هذا المبدأ فمن المهم إشراك الأطفال في نقد هذا النوع من الأدب وعدم الاكتفاء بنقد المتخصصين والأكاديميين والنقاد والقراء (كبار السن)، ويمكن الإفادة من توجّهات نقد استجابة القارئ وتطوير بعض ما يقترحه من آليات وطرائق تجعل من «النقد من منظور الأطفال» فرعًا ملائمًا لأدب الأطفال مثلما دعا الناقد المعروف (بيتر هانت) فيما يتعلق بأدب الأطفال.

وينال هذا الأدب اهتمام فئات واسعة من الناس، بدءًا من الكتّاب الذين ينتجونه، ووصولًا إلى الأطفال الذين يتلقّونه ويستهلكونه، إلى جانب الأسر والمدارس والمؤسسات المعنية بالأطفال، فضلًا عن النقاد والمهتمين بالأدب، والمعلمين والتربويين، والرسامين والخطّاطين والمصمّمين الذين يساهمون بالرسم والخط والتصميم والإخراج، إلى جانب قطاع الطباعة والنشر الذي تطور اهتمامه بأدب الأطفال حتى صار له دور متخصّصة بإخراج كتب الأطفال ونشرها بشكل عصري جذّاب. والمقصود أنه يصل بين فئات متعددة من الناس ممن يرون أن هذا الحقل يخصّهم أو يعنيهم، ويريدون له الاستمرار والازدهار.

وإذا كانت أنواع الأدب وأصنافه تتضمن ضوابط وقواعد متعارف عليها، مهما يكن تسامحنا حيال تطورها وتبدّلها، فإن أدب الأطفال له ضوابطه أو إكراهاته، كما يسميها بعض النقاد، وهي إكراهات لأن الكاتب مجبر على الخضوع لها، والاحتكام إلى حدودها، فالكاتب ليس حرًّا حريته التامة التي يكتب بها بقية الأدباء ممن يكتبون للكبار، ولعل أدب الأطفال من أوضح أصناف الأدب التي يحتكم فيها الكاتب للمتلقي ولطبيعته وحدوده، وإذا كان الأديب أو الشاعر الذي يكتب للكبار ليس مقيدًا تمام التقييد

بمثل هذا الشرط وبمكنته أن يعارض المتلقي وأن لا يخضع له، وأن يطلب منه أن يفهم ما يُقال، فإنه في حالة أدب الأطفال لا يتمتع بهذه الحرية، ذلك أن المتلقي/ الطفل، بحكم سنّه ومرحلته العمرية، ورغم كل التقدير لذكائه الفطري، والاحترام لعقله فإنه في مرحلة من النمو والتحول والتطور باتجاه الرشد والنضج، من نواح عديدة؛ عقلية وجسمية ونفسية ولغوية، والتربويون وعلماء النفس يعرفون بدقة طبيعة هذه المراحل من التكون والنمو باتجاه تحقيق الهوية واكتمال الشخصية، فهذا الكائن المختلف عن الكبار كائن قيد النمو، وإن كنتَ اخترتَ مخاطبته فلا بد أن تعرف الكثير عن طبيعته وعن محددات شخصيته، ولا بد للأدب الذي يخاطبه أن يتلاءم ويتكيف مع حاجاته النفسية والجسدية والعقلية واللغوية، وأن يكون عاملًا في بناء شخصيته ونمائه. وهذا أبسط قدر من تلك الإكراهات التي تحدّد كاتب أدب الأطفال، فهو إذن بجانب مقدرته الأدبية واستعداداته اللغوية والجمالية لا بد أن يكون تربويًّا ملمًّا بنفسية الطفل وشيء من علم نفس النمو، إلى جانب الاتصال المباشر بالأطفال وعالم الطفولة، ليكون قريبًا من هذا العالم المركّب غير السهل، فلا تعني الطفولة ما قد يتبادر إلى بعض الأذهان من البساطة أو السذاجة، وإنما هي مرحلة مهمة وحيوية في عمر الإنسان، لها مكوّناتها ولغاتها وأساليب مخاطبتها والتأثير الإيجابي فيها.

ويترتب على ما سبق أن أدب الأطفال فرع من ثقافة الأطفال وسبيل من سبل تربيتهم وتعليمهم، ومن يقرأ تاريخ أدب الأطفال سيجد أن هذا الأدب نشأ في أحضان البيئة التعليمية والتربوية، وأنه ما زال حتى اليوم مقترنًا بها لا يستطيع منها فكاكًا، فعلاقته بالمدرسة والمعلم والبيئات التربوية علاقة وثيقة، وهو في أفضل حالات استقلاله يعدّ رديفًا وداعمًا للتعليم المنظّم الذي يناله الطفل في الحضانة والمدرسة. وقد لاحظ العديد من الكتّاب والباحثين هذه العلاقة سواء في مرحلة النشأة المبكّرة لهذا الأدب في الأردن والعالم العربي، أو في مراحل التطور حتى اليوم. ويقتضي ذلك أن يتضمن أدب الأطفال ضربًا من التعليم غير المباشر، وأن ينسجم مع النتاجات التعليمية التي تتوخّاها مراحل الدراسة المختلفة، بل ربما كتبت بعض النماذج للتوافق مع الصفوف والمراحل التي يمر بها الأطفال وفق النظام المدرسي، فيكون لدينا أدب ملائم لمرحلة ما قبل المدرسة يجري التركيز فيه على الصورة أكثر من الكلمة، ثم أدب لمرحلة الطفولة المبكرة المرتبطة بالصفوف الثلاثة الأولى، وأدب للطفولة المتوسطة، ثم أدب

الطفولة المتقدّمة، وصولًا إلى أدب الفتيان والفتيات أو أدب مرحلة المراهقة أو أدب اليافعين كما يسمّيه بعض المتخصّصين.

ومن أهم وظائف أدب الأطفال عندما نقرنه بالمدرسة مسألة تشجيع القراءة وغرس عاداتها الحميدة، ويترتب على ذلك العناية بالمكتبات المدرسية وبحصة أو أكثر للمكتبة يجري فيها الاهتمام بأدب الأطفال، وتشجيع الأطفال على القراءة لتغدو سلوكًا مرغوبًا ممتعًا لا يتخلّون عنه، إلى جانب تطوير أندية القراءة والمسابقات والجوائز المحفّزة على القراءة، فالأطفال، كما تقول (جوان لينكن) مؤلّفة كتاب (مهارات الكتابة للأطفال): «يقرؤون ليتعلّموا، حتى وهم يقرؤون الخرافة والشعر الخفيف والقصص المصوّرة، فهم يوسّعون أذهانهم طوال الوقت ويكتسبون المزيد من المفردات اللغوية ويقومون باكتشافات فكلّ شيء جديد بالنسبة لهم». (ص18).

وبهذا المعنى تتسع حدود أدب الأطفال، فلا تقف عند الحدّ الضيق لمدلول مصطلح الأدب بمعناه الأجناسي، وإنما تستعيد دلالاته القديمة الواسعة التي تشمل الطبيعة والوظيفة معًا، مثلما تشمل ألوانًا وأصنافًا قد لا يراها بعضنا وفيّة بشروط الأدب بمعناه الضيق، ومع تفهم مسألة «أدبية الأدب» واشتراطاته الجمالية والفنية واللغوية، فإننا إزاء هذا الصنف أميل إلى توسيع حدوده حتى يكاد يكون مرادفًا لثقافة الأطفال بألوانها المختلفة من كتابات أدبية وعلمية وصحّية، مع ما يرافقها من الصور والرسومات المطبوعة أو المرئية الرقمية التي غدت عنصرًا أساسيًا من عناصر كتاب الأطفال، في ضوء المتغيرات الحديثة، وبدلًا من ترك الأطفال نهبًا للبرمجيات والألعاب الجاهزة، فيحسن إدماج الأدب الموجّه والرصين والملتزم بطبيعة ثقافتنا المحلية والعربية بهذه الوسائل الحديثة لإنتاج مواد جديدة تلائم طفل اليوم والغد. ومن الملائم الاجتهاد في الجمع بين الجوانب القيمية والثقافية وبين المتطلبات الفنية والجمالية، وتوسيع الاستفادة من التوجه الرقمي بإنتاج ثقافة رقمية يكون الأدب عنصرًا أو مكوّنًا حيويًا فيها، أما محاولة حصر أدب الأطفال في حدوده الضيقة القديمة وفي حدود أجناس الأدب التاريخية المعروفة للكبار فأمر تجاوزه -فيما نرى- واقع الكتابة للطفل والاهتمام بأدبه وثقافته في عصرنا الراهن.

أما هذا الكتاب الذي تصدره مؤسسة عبد الحميد شومان فخطوة أخرى من خطوات اهتمام المؤسسة بأدب الأطفال، ويعرف المتابعون عناية هذه المؤسسة بهذا المجال عبر مبادرات ونشاطات متعدّدة متراكمة، في مقدمتها جائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال التي تعدّ من الجوائز العربية الرائدة والمرموقة في هذا المجال، تأسست منذ عام 2006 بهدف «الإسهام في الارتقاء بالأدب الذي يُكتب للأطفال لتحقيق الإبداع والتطوير المستمرين فيه، ومشاركةً منها في دعم الطفولة العربية بالمعرفة الإبداعية»، كما أنشأت المؤسسة مكتبة مستقلة للأطفال واليافعين بمسمّى (درب المعرفة) منذ عام 2013، تقيم فعاليات متنوعة تتمركز حول مبدأ تشجيع القراءة والابتكار والإبداع، وبادرت كذلك إلى تأسيس جائزة عبد الحميد شومان للإنتاج الإبداعي للأطفال واليافعين (أبدع) وميزتها أنها تشجع الأطفال واليافعين على الإبداع في المجالات الأدبية والفنية المتنوعة، وتثق بإمكاناتهم دون أن تحصر أدب الأطفال وإبداعهم فيما ينتجه الكبار والراشدون، وهذه مرحلة متقدمة ووجهة جديدة من الوجهات التي يذهب نحوها أدب الأطفال وإبداعهم. يضاف إلى ما سبق ما تعقده المؤسسة من محاضرات وملتقيات وورش تدريبية ومن فعاليات متخصصة حول أدب الأطفال، من أمثلتها الأخيرة الورشة المتخصصة التي عقدتها المؤسسة في شهر نيسان (إبريل) 2018، بمشاركة اثني عشر خبيرًا وخبيرة من كتّاب قصة الأطفال، ونشرت خلاصتها في كتاب بعنوان (تقنيات الكتابة القصصية للطفل) عام 2019. كما عقدت مؤسسة شومان الملتقى المتخصص المعنون بـ (أدب الطفل في الأردن) في أيلول (سبتمبر) 2023، وتناولت أوراقه وفعالياته صورة موسّعة حول نشأة أدب الأطفال في الأردن وتطوره وواقعه، إلى جانب مناقشة مسائل ذات صلة بنشر كتاب الأطفال، ومشكلات قطاع النشر في هذا المجال، وإشراك عدد من الكتاب لتقديم شهاداتهم التي تنطلق من تجاربهم الشخصية في هذا المجال. والكتاب بمجمل أوراقه وشهاداته يمثّل إضافة طيبة إلى ما سبق من مؤلفات ومنشورات تتصل بنقد مسيرة أدب الأطفال في الأردن، ومعلوم أن النقد والمراجعة توجّه محمود في مجالات الأدب والثقافة، لا غنى عنه لفحص المسيرة وتقييمها وتوجيهها والاستفادة من مراحلها السابقة.

وها هو حصاد هذا الملتقى الأخير يجد طريقه إلى القارئ، وينتظم من خلال

عدة مساهمات تناولت قضايا نشأة أدب الأطفال وتطوره ومراحله برؤية نقدية تاريخية، تجمع بين الرصد والتقييم والتصويب، كما تتكامل هذه الأوراق في تقديم المسيرة التاريخية وأهم معالمها إلى جانب ربطها بحضور أدب الأطفال في المناهج المدرسية بحيث تتحول نصوص مختارة مهمة منه إلى مادة دراسية منظمة، ويتعرف القارئ من خلال ذلك على أسماء أعلام الكتابة للطفل في مختلف مراحل الإنتاج الأردني للأطفال سواء في مراحل الريادة أو في مراحل التطور والإنتاج الموسع في العقود الأخيرة.

كما يجد القارئ عدة أوراق تتناول الأنواع الأدبية التي أبدع فيها الأدباء الأردنيون: الشعر، الكتابة المسرحية، أدب الفتيان. وربما ينقص هذا المحور تناول القصة المكتوبة للأطفال أي لمرحلة الطفولة المبكرة والطفولة المتوسطة بقدر من التناول النقدي الموسع خصوصًا أنها من أوسع الأنواع انتشارًا وكتابة، ولكن ربما كان في شهادات بعض القصاصين ما يخفّف من هذا النقص.

أما الاهتمام بتحليل المحتوى فينطلق مما سبقت الإشارة إليه حول أهمية ما يقال وكيف يقال في أدب الأطفال، واهتمت الأوراق المتعلّقة بهذا المحور بإبراز عدة قضايا جديرة بالاهتمام مثل: قضية العمل الإنساني ومواجهة أدب الأطفال لظروف الحروب والأزمات، نحو تناول القضية الفلسطينية في تجربة دار الفتى العربي في سبعينات وثمانينات القرن العشرين، وتجربة كتابة القصة في إطار مواجهة الأزمة السورية وقضية اللجوء التي تأثر بها الأردن من خلال ظهور عدة مخيمات للاجئين السوريين. كما تناولت البحوث قضية التحدّيات الرقمية والتكنولوجية تحت مسمى (ثقافة الطفل الجديدة) وهي تحديات تدفع أدب الأطفال ليفيد من الأدوات الرقمية تمهيدًا لتطوير أدب أطفال رقمي يجمع بين المتعة والفائدة.

وضم الكتاب عددًا من الأوراق تتناول مسألة التواصل مع الطفل، وكيفية شد انتباهه من خلال أدب الأطفال، وتشير هذه الأوراق إلى ذكاء الطفل، وإلى ما ينبغي أن تتمتع به الكتابة من عوامل الجذب والتشويق والإمتاع، بعيدًا عن أسلوب الوعظ والتلقين، وبعيدًا عن المباشرة التي ربما تُنفّره بدلًا من أن تشد انتباهه، وهنا يمكن الإفادة من أساليب متنوعة كأساليب السخرية والهزل والاهتمام بالكتابة الفكاهية التي

يحبها الأطفال، إلى جانب دور التصميم والصور المرافقة في إنتاج الكتاب المشوّق الجذاب.

وتميز هذا الكتاب بمساهمات تعتمد على مبدأ الشهادة استنادًا إلى خبرة الكاتب وتجربته، ومنها شهادات حول نشر كتاب الأطفال وما يحيط به من صعوبات وتحديات، ومنها شهادات لكتّاب وكاتبات لهم خبرتهم الطيبة في مجال أدب الأطفال، ويشير كل ذلك إلى أننا أمام كتاب جديد قيّم يمثل إضافة نوعية إلى مكتبة الطفل وإلى خلاصة متينة لخبرة جماعية نجحت مؤسسة عبد الحميد شومان في تنظيمها وتسجيلها في هذا الإصدار الذي يضاف إلى إسهاماتها المضيئة في مجال رعاية أدب الأطفال، وفي مجال إثراء المشهد الأدبي والثقافي العربي المعاصر.

أَدب الأَطفال في الأُردنّ: قَضَايَا النَّشْأَة

د. ناصر شبانة[1]

مُحَدِّدَاتُ النَّشْأَة:

قبيل الحديث عن موضوع نشأة أدب الأطفال في الأردن؛ لا بدّ من بسط الحديث في قضايا أساسية لا بدّ من طرحها، لصلتها الوطيدة بهذا البحث من جهة، ولكون حسمها ضرورة للوصول إلى نتائج مرضية من جهة أخرى، ذلك لأن عدم فهم مثل هذه القضايا أو الارتباك الناشئ حيالها لدى الدارسين قد أوقعهم في سوء فهم أفضى بهم إلى أحكام خاطئة بشأن النشأة الأولى لأدب الأطفال في الأردن، ومن هذه القضايا التي لا بدّ من إعادة قراءة الموضوع في ضوئها:

أولاً: الخلط بين أدب الأطفال وثقافة الأطفال:

ثمة شريحة لا يستهان بها من دارسي الأطفال، وبخاصة من رجحت بهم كفة التربية في ميزان أدب الطفل، لم تفطن إلى الفرق الجوهري الكامن بين أدب الأطفال وثقافة الأطفال، ولعل هذا الخلط قد قعد بها عن القدرة على بيان الخيط الأول في نشأة أدب الأطفال في الأردن، فقد عدوا كل ما يقدم للطفل من مواد علمية وثقافية متنوعة من أدب الأطفال، وغفلوا بهذا عن الشرط الجمالي والفني الذي يجعل المادة الثقافية أدبًا، وفي حين كانوا يتحدثون عن ثقافة الأطفال دون أن يفطنوا إلى هذا الشرط؛ كانوا يظنون أنفسهم يتحدثون عن أدب الأطفال وهم عنه غافلون، فحمّلوا ما عرفوا من ثقافة الأطفال على أدب الأطفال.

---

(1) أُستاذ الأَدب والنقد وأَدب الأطفال، الجامعة الهاشمية، الأُردنّ.

ومن المعروف أن ثقافة الأطفال تسبق أدب الأطفال في الظهور، فهي مضمنة في أي شيء، من مواد علمية، ومناهج دراسية، ونصائح أبوية، ووسائط تربوية، ومواد دعائية، فهي لا تشترط الشرط الأدبي الذي يتضمن البعد الجمالي والفني، مما يجعل أي مادة تقدم للطفل هي من ثقافة الأطفال، أما أدب الأطفال فهو شيء مختلف تمامًا، فهو مادة لغوية أدبية جمالية تصدر عن وجدان المبدع وليس عن عقله الخالص، ويخرج عنه كل ما افتقد للشرط الجمالي حتى ولو كان مواد دراسية، فنحن نعلم أن الحامل الأول لأدب الأطفال هو الحضن التربوي، ولكن ليس كل مادة تربوية هي من أدب الطفل، فهي لا تكون كذلك إلا حين تتوافر على شرطيها الجمالي والوجداني وتحققهما.

إذًا لا بدّ من الوقوف بتأنٍّ أمام الأحكام المبثوثة في طيات مظانّ أدب الأطفال، ومراجعتها بناء على الاعتبار السابق، وإعادة النظر فيها لاستبعاد كل مادة تربوية لم تحقق شروط الأدب من منافسات النشأة الأولى، وهذا سيغير الكثير من الأحكام. وسيعيد الدارس هذه القضية إلى مربعها الأول.

وكنت في دراستي لمفهوم أدب الأطفال[1] قد واجهت المشكلة عينها، فقد وجدت الخلط بين المفهومين على أشده عند الدارسين، وألفيت كثيرًا منهم لا يفرقون بين أدب الأطفال وثقافة الأطفال مما جعلهم يصلون إلى نتائج غير دقيقة بالمرة في تعريف أدب الأطفال، وبقيت معهم في نقاش مستفيض حتى وصلت إلى تعريف مرضٍ لأدب الأطفال بعد تحييد الالتباس الحاصل بين أدبهم وثقافتهم.

ثانيًا: النية أم مدى الصلاحية؟

وتلك قضية حساسة أخرى وبالغة الأهمية؛ لأنها المسؤولة عن حسم العديد من الملفات التي لم تحسم في عالم أدب الأطفال، كقضية أدب الأطفال في تراثنا العربي، التي استنزفت الباحثين وهم يحاولون الإجابة عن السؤال المتكرر: هل وجد أدب الأطفال في تراثنا العربي؟ والواقع أن الإجابة مرهونة بهذه القضية الحساسة، فإذا

(1) انظر بحثنا «أدب الأطفال دراسة في المفهوم»، مجلة جامعة أم القرى للآداب واللغويات، العدد (6)، يونيو، 2011م، ص11–42.

اشترطنا النية في معرض إجابتنا عن هذا السؤال المركزي كانت الإجابة بالنفي، لأن أجدادنا ببساطة لم تكن لديهم النية لكتابة أدب للأطفال؛ لأن مفهوم أدب الأطفال لم يكن قد ظهر بعد، ولأنه سيظهر بعد ذلك بعدة قرون، أي في نهاية القرن السابع عشر الميلادي في أوروبا حسبما اتفق الدارسون[1].

أما إذا تجاهلنا نية الكاتب وتغافلنا عنها في إنتاج النص الأدبي، واكتفينا بالبحث في مدى صلاحية النص للأطفال حتى يكون من أدب الأطفال كان تراثنا يتضمن العديد من نصوص أدب الأطفال دون جدال، فنحن لا نجد عنتًا ولا مشقة في النظر إلى المدونة الأدبية التراثية واستخراج آلاف النصوص التي تصلح للأطفال، وبخاصة كتب السير الشعبية العربية، وشعر تنويم الأطفال وشعر ترقيص الأطفال، والسير الأدبية في كتب التراجم، والروايات القصيرة التي تصلح لليافعين كحي بن يقظان وغيرها الكثير، عندئذ يغدو شرط مدى الصلاحية هو السائد، وينزوي شرط النية، فالكاتب للأطفال ليس في حالة تأدية صلاة حتى نشترط عليه النية، وحسبنا أن نصَّه يصلح للطفل لكي يكون من أدب الطفل[2].

ولعمري إن هذه القضية سيكون لها شأن في حسم قضية النشأة، فقد نجد من النصوص الأولى ما يصلح للأطفال من أدب الكبار فيجوز عدُّهُ من أدب الأطفال دون ريب، ما دمنا لا نشترط نية التوجه للأطفال في نصوص أدب الأطفال، فليس يهمني إن كان الكاتب قد نوى التوجه للأطفال في كتابته أم لا، فقد ينوي ذلك ثم لا تمكنه أداته من كتابة نص للأطفال، ويظل نصه يراوح خارج دائرة أدب الأطفال لعدم مقدرته وكفاءته، وقد لا ينوي ولا يفطن إلى أنه يريد الكتابة للطفل ومع ذلك في أثناء توجهه بالكتابة للكبار ينتج أدبًا قد حقق كل شروط أدب الأطفال فجاء هذا الأدب يصلح للأطفال، أفلا نعده من أدب الأطفال؟ بلى هو كذلك بغض النظر عن مقصدية الأديب.

وفي ضوء هذه الحقيقة، قد نعيد النظر في العديد من الأحكام والآراء التي طلع

---

(1) انظر رأي زليخة أبو ريشة وهو رأي وجيه في كتابها: نحو نظرية في أدب الأطفال، أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2002، ص39 وما بعدها.

(2) ناصر شبانة، أدب الأطفال: دراسة في المفهوم، مرجع سابق، ص11–42.

بها علينا العديد من الباحثين الذين لم يفطنوا لها، فأخروا تاريخ النشأة لما بعد ظهور أدب الأطفال، واتهموا أدب الأطفال الأردني بالتأخر في الظهور، وقد لا يكون كذلك.

إن علينا أن نعيد قراءة أدب الرواد الأردني من هذه الزاوية، فما صلح للأطفال كان من أدب الأطفال بغض النظر عن مقصدية الكاتب ونيته، وهذا ينطبق على أدب النشأة الأولى.

ثالثًا: أدب الأطفال في الأردن وفلسطين/ فصل التوأم السيامي:

قد لا نتمكن إجرائيًا وواقعيًا من فصل التوأم السيامي / أعني الأردن وفلسطين لأغراض الدراسة، فمن المعروف أن التوأمين بقلب واحد، وفصلهما سيؤدي إلى موتهما معًا، لقد أتيح لي أن أدرِّس مادة الأدب الحديث في الأردن وفلسطين عدة سنوات في الجامعة الهاشمية، وشهدت روعة وغنى المشهد الأدبي حين يغطي القطرين معًا، ورأيت جمال صنيع الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950»[1]، فأيقنت أنه لا يمكن الفصل بينهما، ولا يمكن دراسة كل قُطر على حدة، فهل ينطبق الأمر نفسه على أدب الأطفال؟ نعم، قولاً واحدًا، فلا يمكن فصل واقع أدب الأطفال في فلسطين عنه في الأردن، لعدة أسباب منها: وحدة الضفتين في فترة عريضة من تاريخ البلدين 1948-1967، ومنها كذلك أن العديد من أدباء الأردن هم من أصل فلسطيني ومن الذين لجؤوا إلى الأردن وأسهموا في نهضته، ومنها كذلك أن الأمير عبد الله الأول مؤسس إمارة شرقي الأردن قد فتح الباب لكل عربي كي يسهم في النهضة، فكان العقد الفريد الذي يزين جيد المملكة الوليدة، والذي لا يمكن فصل درره وإلا انفرط العقد وخسرت المملكة عقدها الفريد.

وبهذا كانت مزية الأدب الأردني أنه مزيج من دماء عديدة سرت في عروقه فأنتجت هذه التشكيلة النادرة، والعبقرية الخالدة التي نراها اليوم في مدونته الأدبية. وحين نتحدث اليوم عن أدب الأطفال الأردني؛ فإنما نتحدث عن أدب عربي مختلط

---

(1) ناصر الدين الأسد، الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة 1950م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2000م.

الدماء في الأردن، فالأردني ليس فقط من يملك رقمًا وطنيًا، أو مسقط رأسه الأردن، بل كل من عاش في الأردن وأسهم في نهضته، وحمل حبه بين ضلوعه، ومات في ربوعه.

مصادر النشأَة وعقدة البداية:

ثمة مصادر عديدة تناولت نشأة أدب الأطفال في الأُردنّ، ولا نكاد نجد مصدرًا واحدًا أفرده مؤلفه لهذه القضية، بل جاء الحديث عنها في ثنايا الكتاب، على هيئة تمهيد بين يدي الموضوع الرئيس، ومن هذه المصادر كتاب موفق مقدادي بعنوان: «القصة في أدب الأطفال في الأردن، روضة الهدهد نموذجًا»، وكتاب أحمد المصلح «أدب الأطفال في الأردن 1979-1998»، وكتاب راشد عيسى وعنوانه «شعر الأطفال في الأردن: دراسة تطبيقية»، وكتاب موفق مقدادي «البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث»، وغيرها، هذا سوى الرسائل الجامعية، وبعض البحوث والمقالات المنشورة هنا وهناك.

ويغلب على هذه الدراسات بما يشبه الإجماع الشكوى من تأخر النشأة في الأردن ما يقرب من خمسين عامًا من تأسيس الإمارة، ومحاولة تعليل ذلك بأسباب مختلفة، وهم في ذلك على شبه إجماع يثير الغرابة، فإما أن القضية لديهم أشبه بالمسلّمة التي لا خلاف عليها بينهم حتى اتفقوا عليها كل هذا الاتفاق، وإما أن بعضهم ينقل من بعضهم الآخر فتتشابه الأحكام بحكم النقل والنسخ، فهل نسلّم بهذا الحكم المتفق عليه بينهم؟ وهل حقًا إن نشأة أدب الأطفال في الأردن لم تظهر إلا في نهاية السبعينيات من القرن المنصرم؟ وماذا عن أدب الأطفال الذي ظهر قبل ذلك[1]؟

يرى الدارسون أن ما كتب قبل ذلك قد نشأ في بيئة تربوية ولسبب تربوي،

---

(1) ولعل أحمد المصلح هو الذي أسس لهذا الفهم في مقدمة كتابه: أدب الأطفال في الأردن، وسار على نهجه النقاد من بعده. انظر: أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن 1979-1998م-دراسة تطبيقية، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1999، ص29.

وارتبط بنشوء المدارس وحاجة المملكة الوليدة لتعليم النشء الجديد[1]، وقالوا إن مثل هذا الأدب الذي نشأ في الحاضنة التربوية لا يلبي شروط أدب الأطفال المتعارف عليه، فهو يركز على القيم والأفكار، وهو يتسم بالفجاجة والخطابة والمباشرة، وهو بعيد عن آفاق الفن والجمال، إلى غير ذلك من التعليلات التي لا تقنع أحداً، وذهب الأمر ببعضهم إلى إقصاء كل ذلك الأدب من دائرة أدب الطفل تمامًا[2]، فقط لأنه نشأ نشأة تربوية.

والرأي عندي أن أدب الطفل في الأردن اقترن ظهوره بتأسيس الإمارة، وإن بدأ بداية شاحبة خجولة، غير أن شحوب البدايات لا يعني نفي هذا الأدب عن حقبة التأسيس، وتأخيره خمسين عامًا، فمن البين أن البدايات دومًا تعاني من آلام المخاض والميلاد، وعلى سبيل المثال لو نظرنا في فن القصة في الأردن لألفينا القصة المخصصة للكبار تعاني في أول ظهور لها من أعراض الضعف والشحوب كمًّا ونوعًا[3]، وهو ما أجمع عليه نقاد القصة، فثمة ندرة وقلة في العدد، وثمة سطحية ومباشرة وخطابة، وثمة تركيز على الفكرة والقيمة، وثمة تواضع في العمل على تقنيات السرد، ومع كل ذلك فلم يقل أحد بتأخر البدايات، أو نفي القصص الأولى من دائرة القصة، فلماذا يحدث هذا في عالم أدب الأطفال الأردني، ولماذا نستكثر على أنفسنا أن يكون لدينا أدب طفل متزامن مع نشأة الإمارة؟ ولماذا نؤخر ظهور أدب الطفل لدينا نصف قرن؟ وأي ضيم سيلحق بأدبنا حين نؤخر هذه النشأة كل هذه السنين، وجميع البلاد من حولنا تتسابق في إثبات الريادة لنفسها في عالم أدب الطفل وفي كل الميادين؟

ثمَّ، هل نشأ أدب الطفل في الغرب أو في بلاد الريادة العربية ناضجًا مكتملًا إلى

---

(1) راشد عيسى، شعر الأطفال في الأردن-دراسة تطبيقية، أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2007م، ص43.

(2) انظر رأي موفق مقدادي في كتابه، القصة في أدب الأطفال في الأردن-روضة الهدهد نموذجًا، دار الكندي، إربد، ط1، 2000، ص15.

(3) للمزيد: محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن منذ نشأتها حتى جيل الأفق الجديد، وزارة الثقافة، عمان، 2021م.

هذا الحد حتى ثبتت تلك النشأة ولم يقل أحد بنفيها أو تأخيرها، إن ضعف الأعمال الرائدة أمر طبيعي في كل مجال، ثم يكون التحسين والتطوير حتى الوصول إلى مرحلة النضج، وهو ما حدث بشأن أدب الأطفال في الأردن، ثمَّ إن الحاضنة التربوية التي يراها العديد من الدارسين مثلبة في ميدان أدب الطفل ليست كذلك على الإطلاق، بل إنه ضرب من التوهم والتشاؤم، فأدب الأطفال إبان نشأته في جميع أقطار العالم قد نشأ مثل هذه النشأة، وكان هدفه التربوي يعلو على كل الأهداف، لكن هذا لا يعني انتفاء الجمالي والفني، فهو في النهاية أدب، والأدب يحمل بصمته الفنية والجمالية بتفاوت في المستوى، ولعل في أيامنا هذه من أدب الأطفال ما يجانب البعد الفني والجمالي، ويعلي من شأن التربية والقيم، فهل قال أحد بخروجه من دائرة أدب الأطفال؟ الجواب: لا، إن الطالب الذي تعد له المناهج الدراسية هو في نهاية الأمر طفل لم يتجاوز مراحل الطفولة، والمؤلف التربوي يضع في حسابه طفولة الطالب ومعاييرها التي يسعى إلى تلبيتها.

وعلى المستوى النقدي، نرى أن إبراز القيمة التربوية في النص الطفولي لم يكن على حساب البعد الفني والجمالي، أما ما نراه من ضعف البدايات فليس وافدًا من الميدان التربوي، بل هو قادم من مخاض البدايات شأنه في ذلك شأن أي ريادة في أي مجال.

ولستُ أحب أن أَستفيض في هذا الموضوع، غير أنه تكفينا الإشارة إلى نموذج واحد يسير في هذا السياق، يقول موفق مقدادي: بدأت محاولات الكتابة للأطفال منذ عام 1928م، على يد إبراهيم البوارشي، وروكس العزيزي، وإسكندر الخوري البيتجالي، وراضي عبد الهادي، وإسعاف النشاشيبي، وعبد الرؤوف المصري، وعيسى الناعوري[1]. وهذا قول جيد يؤيد ما ذهبت إليه في الإشارة إلى أسماء مهمة في الريادة، غير أن المؤلف عاد يقول: «أما في الأردن فقد بدأ الاهتمام بأدب الأطفال متأخرًا، ويعود ذلك لأسباب تاريخية تتعلق بتاريخ الأردن الحديث من ناحية والظروف

(1) موفق مقدادي، القصة في أدب الأطفال في الأردن، مرجع سابق، ص15.

الاجتماعية من ناحية أخرى»[1].

وهذان قولان متناقضان، فهو قد أشار إشارة موفقة في القول الأول إلى جيل الرواد مع بداية تأسيس الإمارة، ثم عاد ليقول كما قال الآخرون بتأخر النشأة، وتكبر دائرة الدهشة حين يحاول المؤلف بيان السبب في تأخر النشأة، فينعطف انعطافة كبيرة على قوله السابق، فيُخرج ما كتبه هؤلاء الرواد من دائرة أدب الأطفال بقوله: والكتب التي وضعها هؤلاء الكتاب عمومًا وُضعت لهدف مدرسي تعليمي ومنهجي تقريبًا، وبأسلوب تقريري مباشر، الأمر الذي يخرجها من دائرة أدب الأطفال بالمفهوم الفني»[2].

هكذا، وبجرة قلم يخرج المؤلف كل أعمال هؤلاء من دائرة أدب الأطفال، بحجة أنها أُلفت لسبب مدرسي تعليمي منهجي، وبأسلوب تقريري مباشر، فهل هذا سبب كافٍ لإعدام هذه الأعمال وإخراجها من دائرة أدب الأطفال، وجعلنا ننتظر نصف قرن حتى يرى أدب الأطفال النور في الأردن؟

بعدها يعود المؤلف ليقرر الحقيقة المضادة بقوله: «ظهر الأدب الموجه للأطفال في الأردن وفلسطين فعليًا بشكل واضح في السبعينيات من القرن الماضي»[3]، وكنا سنقبل منه هذا الحكم لو أنه اعتبر هذا الظهور بمثابة المرحلة الثانية كما فعل الآخرون، دون أن يتبرع بإلغاء جيل الرواد المؤسسين، لكان ذلك أكثر انسجامًا وقبولًا.

حواضن النشأَة:

للنشأة حواضنها وبواعثها التي قادت إليها، ومنها:

أولًا: الحاضن العالمي والعربي:

ظل الطفل مهمشًا عقودًا طويلة من الزمن على المستوى العالمي، وظلت

(1) المرجع نفسه، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص15.

(3) المرجع نفسه، ص15.

النظرة إلى الطفل على أنه تابع أو ظل للكبار لا ينبغي أخذه على محمل الجد طاغية على واقع الأطفال حتى القرن السابع عشر، حين بزغ نجم أدب الطفل لأول مرة في فرنسا، فوضع «شارلز بيرو» في العام 1697م[1] مجموعته القصصية «حكايات أمي الإوزة»، فكانت ولادة أدب الأطفال في فرنسا، ومنه انتشر إلى سائر الديار الأوروبية، ومعنى ذلك أن ولادة أدب الأطفال في الغرب جعل احتمالية انتشاره إلى سائر أقطار الأرض ممكنًا، فما إن انتشر حتى اتسعت رقعته على الخريطة، فانتقل من فرنسا إلى بريطانيا، وسواها حتى وصل الأرض العربية، وانطلقت شرارته على مستوى الترجمة حين قام رفاعة الطهطاوي بترجمة قصتين «حكايات الأطفال» و«عقلة الأصبع»[2] في نهاية القرن التاسع عشر، أما على مستوى التأليف فكان للشاعر أحمد شوقي قصب السبق إلى أدب الأطفال، فقد عاش في فرنسا، واطلع هناك على إرث الشاعر الفرنسي «لافونتين» الذي لقّب بـ«أمير الحكاية الخرافية»، نظرًا لتأليفه مجموعة من الحكايات على ألسنة الطير والحيوان متأثرًا بالشاعر اليوناني «إيسوب»، فالتقط أحمد شوقي الفكرة وراح ينظم حكاياته الخرافية الخاصة به شعرًا على ألسنة الطير والحيوان فيما يقرب من ثلاثين حكاية شعرية جعلت منه رائد أدب الطفل العربي، على مستوى الشعر.

إن الحاضنة العالمية لأدب الطفل تجعل من الحتمي ظهور أدب الطفل في الأقطار الأخرى، ومهما تأخر في الظهور فإنه من الحتمي أن يظهر هنا وهناك، مما جعل ولادته في الأردن جزءًا من السياق العالمي الذي راح يتخلى عن قناعاته السابقة بشأن الطفل، ونظرته الدونية له، ومع إعادة الاعتبار للطفل بات له أدبه الخاص به الذي يعبر عنه، ولن يكون غريبًا إذًا أن تبزغ شمس أدب الطفل في أي قطر عربي بعد ظهوره في العالم بما في ذلك الديار الشامية ومنها الأردن.

---

(1) معظم المصادر ترجح هذا التاريخ، غير أن عبير النوايسة تعود عشر سنوات إلى الوراء، وتثبت التاريخ: 1687م، انظر: عبير النوايسة، أدب الطفل في الأردن: فنونه وأساليبه 1980–2000م، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2001م.

(2) علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1996م، ص347.

ثانيًا: الحاضن التربوي:

يعد هذا الحاضن من أقوى حواضن النشأة، فهو الباعث الأول والأقوى لأدب الطفل في الأردن، وله الفضل في ظهوره المبكر، فمع الإيمان المبكر بضرورة التعليم، ومع تأسيس وزارة المعارف والبدء بإنشاء المدارس؛ ظهرت الحاجة إلى وضع المناهج المختلفة والملائمة لتلاميذ المراحل المختلفة، وكان التلاميذ هؤلاء جلهم من الأطفال، مما جعل المؤلفين يتجهون إلى الأطفال في تآليفهم، فحقق ذلك شرطًا من شروط أدب الطفل عند بعض الباحثين، أما في الاختيارات النصية فقد حققوا الشرط الثاني وهو مدى الصلاحية، إذ كانت النصوص المستعارة تحقق قدرًا من الصلاحية للأطفال.

ولست أتفق -كما أسلفت- مع المقللين من شأن هذه النصوص المؤلفة أو المنتقاة في إطلاق الشرارة الأولى لأدب الطفل كما ألفينا عند معظم الدارسين الذين عدوا هذه النشأة ليست نشأة حقيقية، وجعلهم ذلك يقللون من شأنها، ويؤخرون النشأة الحقيقية نصف قرن، مما ألحق الغبن بالأدب الأردني عمومًا وأدب الطفل فيه خصوصًا، وأخره عن نظرائه العرب ما يقرب من قرن كامل.

ثالثًا: الحاضن الأدبي/ أدب الكبار:

كان يمكن لأدب الطفل أن يتأخر في الظهور عقودًا أخرى أو أن لا يظهر مطلقًا لولا هذا الحاضن، فأدب الطفل يمتّ لأدب الكبار بصلة قوية، وهو امتداد له، ويخضع لقواعده، وما كان له أن يشذ عنه، غير أن فيه سمات وخصائص إضافية تجعله يصلح للطفل، فهو يلائم الأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة، ويلبي حاجاتهم، ويحقق الحاجة الجمالية في نفوسهم، وعلى كاتب هذا الأدب أن يفقه خصائص الطفل في كل مرحلة عمرية لكي يتمكن من كتابة أدب صالح له، وما دام أدب الكبار موجودًا فمن المنطقي أن يكون الوجه الثاني له هو أدب الأطفال، وظهور أدب الطفل في الأردن لم يكن ينقصه سوى الشرارة الأولى التي انقدحت في السنوات الأولى لتأسيس إمارة شرقي الأردن، فوجود أدب الكبار وحده يشي بفراغ لن يملأه سوى شطره الثاني وهو أدب الطفل.

وما لنا ننكر ذلك أو نشكك فيه وكثير من أدب الكبار يمكن أن يصلح للأطفال ويكون جزءًا منه ما دامت نية التوجه ليست شرطًا لوجود أدب الطفل، وإذا شئنا أن نتكلف فليس من الصعوبة بمكان إثبات وجود أدب الطفل حتى في أدب الملك المؤسس ومنذ اللحظة الأولى لنشأة الإمارة الوليدة في استصلاح بعض النصوص أو المقاطع من ديوان الأمير وجعلها تصلح لأدب الطفل ما دمنا نخضع لنظرية متماسكة[1] تعيننا في فعل ذلك دون تمحُّل أو افتعال.

رابعًا: الصحافة الورقية:

لعل ظهور الصحافة الورقية كان من أقوى البواعث على ظهور أدب الطفل، فإذا كانت الصحافة نفسها باعثًا من بواعث النهضة في مصر ولبنان، أفلا تكون كذلك لكونها ضرورة من ضرورات الوصول إلى الطفل الذي يعجز عن الخروج من بيته، ولا سبيل له للوصول لأدب الطفل؟

ولعل الصحافة الورقية كانت من حواضن أدب الأطفال العالمي، فقد عدت صحيفة «صديق الأطفال» التي ظهرت في فرنسا في نهاية القرن السابع عشر الميلادي من أهم مرتكزات ظهور أدب الأطفال في فرنسا خصوصًا وأوروبا عمومًا، ثم راح إنشاء الصحف ينتشر ويسهم بفعالية في نشأة أدب الأطفال وترسيخ وجوده.

وفي الأردن، وبعد أن كان الحاضن التربوي هو المسؤول عن ظهور أدب الطفل، فقد كانت الصحافة الورقية هي المسؤولة عن تجذير هوية هذا الأدب واتساع رقعة انتشاره، وسهولة نقله إلى الطفل، وقد بدأ الأمر مع إنشاء أول مجلة للأطفال وهي مجلة «فارس» عام 1971م ثم توقفت، ومجلة «القدس» 1971م، ومجلة «رام الله» 1971م، ومجلة «سامر» عام 1977م، ومجلة «الثقافة العلمية» 1979م، ثم مجلة «وسام» التي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية منذ عقود، ولعلها الوحيدة التي استطاعت أن تستمر في صدورها المنتظم حتى اليوم، ومجلة «براعم عمان» التي صدرت عن أمانة عمان لكنها توقفت عن الصدور، وكذلك مجلة «حاتم» التي صدرت عن جريدة الرأي ثم تعثرت مع بدء تعثر الصحافة الورقية، ولا ننسى الملاحق الثقافية وصفحات

(1) للمزيد، انظر: زليخة أبو ريشة، نحو نظرية في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص 39.

الأطفال في الصحف اليومية التي كانت تصدر كل أسبوع فشكلت رافدًا من روافد أدب الطفل في الأردن.

إن الصحافة الورقية تمتاز بأنها سريعة الوصول إلى الطفل وسهلة الوصول كذلك، وتختلف عن الكتاب الورقي في أن ثمنها أقل وأعدادها وافرة، وأسلوبها بسيط يلائم الطفل أكثر من الكتاب المتخصص، ومتنوعة المواد والأبواب، وتصل إلى مناطق لا يمكن للكتاب أن يصل إليها، وكل هذه المزايا أسهمت في تحويل الصحافة الورقية للأطفال إلى حاضنة أساسية من حواضن أدب الطفل الأردني.

مراحل النشأة:

يمكن لي أن أصنف نشأة أدب الأطفال في الأردن إلى عدة مراحل وهي:

النشأة الأولى/ مرحلة الريادة (1928-1950):

وقد امتدت من تأسيس الإمارة أو ما بعدها بقليل وحتى حقبة الخمسينيات من القرن المنصرم، (1928-1950)، فمع تأسيس إمارة شرقي الأردن بدأ التفكير بإنشاء المدارس لتكون النشأة الأولى تعليمية وتربوية بامتياز، فقد عهد إلى بعض المؤلفين تأليف مناهج للصفوف المختلفة، فظهر لدينا بعض النصوص التي تناسب الأطفال، بعضها مترجم وبعضها الآخر مؤلف، ومن المؤلفين الأوائل: إسحق موسى الحسيني، وراضي عبد الهادي، وإبراهيم البوارشي، وإسكندر الخوري البيتجالي، وروكس بن زائد العزيزي، وحسني فريز، وعبد الرؤوف المصري، وإبراهيم القطان وفايز علي الغول[1]، وخليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي وسواهم.

وعلى الرغم من أن هذه التآليف غلب عليها الطابع التربوي والتعليمي، غير أنها مما يمكن وسمه بحسن الاختيار والتأليف، وصلاحيتها للأطفال، بجماليات أسلوبها، وبساطة طرحها. وبعدها عن الغموض والتعقيد، ويمكن التنويه هنا ببعض الأعمال التي فارقت الطابع التربوي والتعليمي، واتجهت نحو الفن والجمال ومنها محاولات

(1) عبير النوايسة، أدب الطفل في الأردن: فنونه وأساليبه 1980-2000م، مرجع سابق.

إسحق موسى الحسيني في كتابيه: «وردان المدلل»، و«الكلب الوفي»، وكذلك راضي عبد الهادي في كتابه القصصي: «خالد وفاتنة» الصادر في العام 1945م.

حقبة الخمسينيات والستينيات (1950–1970):

تعد هذه الحقبة امتدادًا للحقبة السابقة ببعدها التربوي والتعليمي مع شيء من الانتشار والاتساع وكثرة نسبية في عدد الكتاب والنصوص، فلم يكن مفهوم أدب الأطفال قد عرف في هذه الحقبة، وإنما كان المعروف هو نصوص التلاميذ، التي تتلقى دروسًا في الحصة الصفية تحقيقًا لغايات تربوية خالصة[1]، وكانت هذه النصوص مقسومة قسمين: مؤلفة ومنتخبة، ومن الأمثلة على ذلك كتاب «الزهور» الذي اشترك في تأليفه كل من حسني فريز وعبد الحليم عباس، ففيه نصوص مؤلفة وفيه نصوص مختارة، وبعضها باللغة الفصيحة وبعضها بالعامية[2].

وقد كان لمدينة القدس أفضلية في نشر كتب الأطفال في تلك الحقبة؛ فقد صدر عن مطابعها مجموعة من الكتب في أدب الأطفال، ومنها ثلاثة كتب صدرت تباعًا للكاتب راضي عبد الهادي وهي: كتاب «كوكو البطل» عام 1950م، و«فارس غرناطة» عام 1952م، و«سمسمة الشجاعة» عام 1953م، كما صدر للكاتب عبد الرؤوف المصري كتابان: «رغيف يتكلم»، و«الأم الطموحة»، وذلك في العام 1957م.

وفي العقد السادس تتوالى الإصدارات الطفلية المرتبطة بالبعد التربوي الذي يرفد المدارس بالنتاج المدرسي الجديد، فتصدر في العام 1963م مجموعة «نجمة الليالي السعيدة» لعيسى الناعوري، وبعدها بعامين أي في العام 1965م يصدر كتاب «الدنيا حكايات» لفايز الغول، وبعده بعام يصدر المؤلف «أساطير بلادي» و«سواليف السلف» في العام 1966م[3].

أما جهاد جبر فقد أصدر قصتين، إحداهما بعنوان «العصفور الأخضر»، والثانية

---

(1) راشد عيسى، شعر الأطفال في الأردن–دراسة تطبيقية، مرجع سابق، ص43.

(2) المرجع نفسه، ص43.

(3) انظر سعيد أحمد حسن، أدب الأطفال ومكتباتهم، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، ط1، 1984، ص39–40.

بعنوان: «أين عدالتي»، ولعل المتابع يلاحظ أنه كلما تقدمنا في الزمن راحت النصوص تتفلت من بعدها المدرسي الوعظي المباشر، وتقترب بطريقة أو أخرى من أبعادها الفنية والجمالية، مقتربة من عالم أدب الطفل الحقيقي.

مرحلة الانتقال والعبور (1971-1989):

بدأت حقبة السبعينيات بالعبور إلى مرحلة انتقالية استمرت بضع سنوات (1971-1979)، بولادة أسماء مثّلت جسرًا للعبور إلى مرحلة النضج، فهي طائفة من الكتاب الذين تمكنوا من تجاوز عقدة البدايات، وارتباط أدب الطفل بجذوره التربوية والمدرسية، والعبور إلى مرحلة النضج والفن بعيدًا عن الوعظ المباشر والخطابة وبروز القيمة، والسير بأدب الأطفال نحو أطيافه الجمالية، ونضجه المنتظر، ومن أعلام هذه المرحلة الانتقالية: نبيل صوالحة «رحلتي الملونة في الأردن» عام 1976م، وتغريد النجار «صفوان البهلوان» عام 1977م، ويوسف العظم «أناشيد وأغاريد للطفل المسلم» عام 1978م، وشفيق علي الفرج «علاء الدين والمصباح السحري» عام 1978م، وعيسى الناعوري «روما» عام 1978م[1].

وكان للجمعية العلمية الملكية بحكم تخصصها نتاجاتها العلمية من كتب صدرت جميعها ما بين 1970-1979م، أي خلال الحقبة الانتقالية المشار إليها، ومنها كتب: «العين والإبصار»، و«الخطوط المستقيمة والمتوازية»، و«البلاستيك في حياتنا»، و«حيوانات تعيش بيننا»، و«طعامك» وغيرها[2].

وفي نهاية سبعينيات القرن الماضي شهدت المملكة ولادة ما أسميه بـ «أدب الأطفال الحرّ» بعيدًا عن قيود التربية والمدارس والطلبة، فقد ظهر مفهوم أدب الأطفال لأول مرة بفعل المثاقفة، والاطلاع على ما لدى الدول الأخرى التي وصلها أدب الأطفال مبكرًا، فقد كان العام 1979م عام الطفل الدولي، ومثّل البداية الحقيقة لأدب الأطفال في الأردن وفلسطين، لما رافقه من فعاليات ثقافية فتحت أعين الجميع على أدب الأطفال، فكانت حالة نشطة في المؤسسات الثقافية والصحفية والوزارات

(1) هيفاء شرايحة، أدب الأطفال ومكتباتهم، مكتبة الرائد العلمية، عمان، 1983م، ص49-50.
(2) عبير النوايسة، أدب الطفل في الأردن: فنونه وأساليبه 1980-2000م، مرجع سابق.

المعنية بالطفل وبالثقافة، فكان أول ظهور لهذا الأدب في حقل الترجمة على يد بعض المترجمين من أمثال حسني فريز ووفيقة العجلوني[1]، ثم بدأت الأسماء من كتّاب أدب الطفل بالظهور تباعًا ومنهم: أحمد حسن أبو عرقوب ومفيد نحلة وروضة الفرخ الهدهد وفخري قعوار ومحمود شقير وأحمد جبر وزليخة أبو ريشة وجاك لحام ومحمود الشلبي وجمال أبو حمدان وفايز محمود وشحادة الناطور، ثم علي البتيري وراشد عيسى، فكانت حقبة الثمانينات من أخصب الحقب في أدب الأطفال من حيث كثافة النتاج الأدبي ومن حيث عدد الكتّاب ونوعية ما يكتبون[2].

وهذا الحشد من كتاب أدب الطفل هم الذين أنضجوا أدب الطفل، ومنحوه هويته الحقيقية، واستقلوا به عن أدب البدايات، كما منحوه امتداده فيما بعد، فبات لهم اتجاهات وتيارات ومدارس، ولهم يعود الفضل في ظهور أجيال من كُتّاب الطفل الذين تسيدوا الساحة الأدبية حتى وقتنا الحاضر.

(1) موفق مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد392، 2012م، ص26.

(2) انظر: روضة الفرخ الهدهد وطه عثمان، ثقافة الأطفال في الأردن، الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال، 1993م.

أدب الأطفال في الأردن

واقع... وتطلعات

أ. منير حسني الهور[1]

الحضور الكرام

أسعد الله أوقاتكم بكل الخير

وأشكركم على هذا الحضور الطيب، والشكر الموصول لمؤسسة شومان، التي خصت أدب الأطفال في الأردن بهذه الندوة المتميزة، ضمن فعالياتها الثقافية المتنوعة، وأود بداية أن أشير إلى أنني لم أعتمد في إعداد هذه الورقة على المصادر والمراجع، وإنما اعتمدت على تجربتي الشخصية في مجال أدب الأطفال والتي تجاوزت الأربعين عامًا، عايشت خلالها بداية نشوء أدب الأطفال في الأردن، وكنت جزءًا من تطور هذا الأدب.

ويمكنني القول إنني من كتاب الأطفال القلائل الذين أدوا رسالتهم الأدبية في مجالين متكاملين: **المجال الأول**، مجال الكتابة والتأليف، فقد صدر لي أكثر من سبعين قصة للأطفال صدرت أولاها عام 1977.

المجال الثاني: مجال الإدارة، فقد تسلمت إدارة مؤسسات حكومية وخاصة معنية بأدب الأطفال وثقافتهم وصحافتهم. حيث عملت محررًا في مجلة الأمل

(1) ترأس تحرير مجلة وسام للأطفال، ومجلة حاتم للأطفال سبقًا.

الليبية للأطفال من عام 1975–1980، وعملت مديرًا لمديرية ثقافة الطفل في وزارة الثقافة مدة ثلاثة عشر عامًا، من عام 1989–2002، وعملت خلال نفس الفترة رئيسًا لتحرير مجلة وسام للأطفال التي تصدرها الوزارة. كما عملت رئيسًا لتحرير مجلة حاتم للأطفال التي أصدرتها المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) مدة أربع سنوات من 2006–2009، ورئيسًا لتحرير مجلة حكيم التي أصدرها القطاع الخاص. وكان لي برامج أطفال في الإذاعة والتلفزيون الأردني وراديو وتلفزيون العرب، وشاركت في لجان تحكيم مختلفة محلية وعربية، وقدمت دراسات وأبحاث تتعلق بأدب الأطفال وثقافتهم لعشرات الندوات والمؤتمرات المحلية والعربية، ولا أزال أعمل مديرًا للحملة الوطنية الأردنية للتشجيع على القراءة.

الحضور الكرام،

سوف أتحدث في ورقتي اليوم عن ظروف ومراحل تطور أدب الأطفال في الأردن كما عايشتها، وقد قسمتها إلى أربع مراحل:

البدايات: من الخمسينيات وحتى الثمانينات

مرحلة التأسيس: من 1900–2000

مرحلة التنافس: من 2001– 2011

مرحلة الإبداع: من 2011– حتى الآن

أولًا: مرحلة البدايات

كل المشتغلين بأدب الأطفال وثقافتهم في الأردن يعرفون أننا لم نشهد أدبًا خاصًا بالأطفال، وأدباء يكرسون نتاجهم لهم، إلا في أواخر القرن الماضي، وهذا لا يعني أن الساحة كانت خالية تمامًا، فقد كانت هناك محاولات فردية، وقرأنا في الخمسينيات والستينيات كتابات اسكندر الخوري وراضي عبد الهادي والعزيزي وفريز وفايز الغول والقطان وغيرهم، لكن هذه المحاولات على أهميتها لم تتطور إلى ما نسميه اليوم أدب أطفال.

وكنا نطفئ ظمأنا إلى القراءة من القصص المنقولة عن الأدب العربي القديم،

ومن حكايات الموروث الشعبي التي كانت تحكيها لنا الجدات، والحكايات المنقولة عن كليلة ودمنة، ومن القليل الذي كان يصلنا من القصص المترجمة.

ثم جاءت هزيمة حزيران عام 1967 فوجد من يكتبون للأطفال الذين هزتهم الهزيمة وولدت لديهم حالة من الإحباط واليأس من الكبار، وجدوا أنفسهم يتوجهون إلى الأطفال، يعقدون عليهم الأمل، وينفثون فيهم القيم الوطنية والإنسانية.

ثم جاء التقدم العلمي في مجال التربية، وظهرت النظريات التربوية، وعلم النفس التربوي، ما أسهم في تطور الأدب ونزوعه إلى التخصص. فنتج عن ذلك تطور في النظرة إلى الطفل، واتسعت هذه النظرة لتشمل المنابر الدولية، فأصدرت الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الطفل، ثم أصدرت تعليماتها بأن يكون عام 1979 عامًا دوليًا للطفل، تهتم فيه دول العالم بأطفالها.

ونظرًا لاهتمام الأردن بشؤون الطفولة، فقد سارع باعتماد الإعلان العالمي لحقوق الطفل، وشكل لجنة وطنية لتقويم أوضاع الطفولة، وتحديد مشكلاتها، وتعزيز الاهتمام باحتياجات الأطفال الأساسية. ووضعت اللجنة توصياتها لتسهيل مجالات الرعاية الصحية والخدمات التربوية، وتهيئة البيئة التعليمية المناسبة وإنشاء رياض الأطفال والمكتبات، وأصدرت تعليماتها للجهات المعنية بالطفولة مثل وزارة التربية ووزارة الثقافة والتنمية الاجتماعية للاهتمام بهذه التوصيات. فظهرت بعض الجمعيات والمراكز الثقافية مثل نادي أصدقاء الأطفال وجمعية أصدقاء الأطفال ومركز هيا الثقافي التي بدأت القيام ببعض الأنشطة الثقافية للأطفال مثل: القراءات القصصية وتقديم العروض المسرحية والتمثيليات والأغاني والمسابقات وتوزيع الكتب والقصص.

وهكذا بدأنا نشاهد في ثمانينات القرن الماضي ملامح أدب جديد للأطفال بدأ يظهر في كتابات يوسف العظم ونبيل صوالحة ومفيد نحلة ومحمود شقير ومحمد جمال عمرو وشحادة الناطور وتغريد النجار ومحمد الظاهر وجمال أبو حمدان ويوسف حمدان وكمال رشيد ومنير الهور وغيرهم.

ويمكن وصف هذه الفترة بقلة الإنتاج، وأن القليل الذي رأيناه هو نتيجة جهود فردية، وبسبب ضعف الإمكانات المادية تمت التضحية بالكثير من المواصفات

الأساسية للكتاب كالرسومات والألوان، كما سيطرت القصة والقصيدة على موضوعات الكتب الصادرة. ورغم هذه الملاحظات فقد مهدت هذه المرحلة لانطلاق البداية الحقيقية لأدب الأطفال مطلع التسعينيات.

ثانيًا: المرحلة الثانية: مرحلة التأسيس 1900-2000

وقد تميزت هذه المرحلة بزيادة الوعي لدى المؤسسات الحكومية والخاصة ومؤسسات المجتمع المدني بأهمية أدب الطفل، وقد تمت ترجمة هذا الوعي على أرض الواقع بظهور عدد من مجلات الأطفال مثل: سامر والكرتون العربي وفارس والشرطي الصغير ووسام وأروى ولونا وحاتم، وقيام الصحف اليومية بتخصيص ملاحق أسبوعية للأطفال مثل ملحق براعم الرأي وملحق أزهار الدستور وملحق جريدة الشعب. وزيادة اهتمام دور النشر بإصدار كتب الأطفال، وقيام وزارة الثقافة بإعادة هيكلة مديرية ثقافة الطفل، بما يمكنها من تنفيذ توصيات اللجنة الوطنية للاحتفال بالسنة الدولية للطفل.

وفي منتصف التسعينيات أنشأت أمانة عمان الكبرى دائرة ثقافية، كانت بمثابة وزارة ثقافة موازية تسلم إدارتها المرحوم عبد الله رضوان بعد إحالته على التقاعد من وزارة الثقافة، وقد اهتمت الدائرة الثقافية بأدب الكبار والصغار، وأصدرت للأطفال مجلة براعم عمان، وطبعت عشرات كتب الأطفال للكتاب الأردنيين، وأنشأت المكتبات والمراكز الثقافية والحدائق والمتنزهات، ونظمت المسابقات والجوائز الأدبية.

مثلما أطلقت جمعية أصدقاء الأطفال حملة (قطار المعرفة -جواز سفر القراءة) بهدف تشجيع الأطفال على القراءة. وجواز سفر القراءة شبيه بجواز السفر الرسمي، والفارق أن الطفل يسافر بالجواز الرسمي عبر الحدود، فيما يسافر بجواز سفر القراءة عبر المكتبات، وكلما قرأ الطفل كتابًا توضع له تأشيرة على صفحات الجواز تتضمن عنوان الكتاب واسم المؤلف وملخصًا لمضمون الكتاب. يتكون جوار سفر القراءة من سبعة مراحل، لكل مرحلة عدد من التأشيرات، وعندما يكمل الطفل المرحلة السابعة يكون قد قرأ 225 كتابًا.

ونتيجة لهذا الاهتمام بأدب الأطفال، زادت أعداد كتب الأطفال المطبوعة،

وزادت أعداد مكتبات الأطفال، وتضاعفت أعداد كتّاب الأطفال، (وخلال تصفحي لأعداد مجلة وسام خلال سنة واحدة رصدت أسماء 64 كاتبًا للأطفال نشروا قصصهم وقصائدهم ومسرحياتهم ومسلسلاتهم ومادتهم العلمية في المجلة بينهم 19 كاتبة).

وإذا كان المجال في هذه الورقة لا يتسع لاستعراض إنجازات كل الجهات التي شاركت في مرحلة التأسيس، فإنني سأكتفي باستعراض إنجازات جهتين فقط الأولى: مجلات الأطفال والملاحق الأسبوعية في الصحف اليومية. والثانية: مديرية ثقافة الطفل في وزارة الثقافة.

دور مجلات الأطفال والملاحق الأسبوعية في الصحف اليومية في تشجيع أدب الطفل:

لعبت مجلات الأطفال والملاحق الأسبوعية في الصحف اليومية دورًا فاعلًا في تشجيع أدب الأطفال في الأردن، وقد شمل تأثيرها الكتاب الكبار مثلما شمل الأطفال، فالكتاب الكبار وجدوا فيها مكانًا لنشر إبداعاتهم وإيصال رسالتهم إلى القراء الأطفال، مثلما وفرت المجلات والملاحق مكان احتكاك المادة الإبداعية الموجهة للأطفال مع النقاد لمحاكمتها وتقييمها، لذلك شكلت المجلات والملاحق وسيلة تواصل فعالة ما بين الكاتب والناقد وما بين الكاتب والقارئ.

أما الأطفال فقد وجدوا في المجلات والملاحق مكانًا خاصًا بهم لنشر محاولاتهم الإبداعية وتقييمها من قبل أشخاص متخصصين قادرين على التعامل مع كتابات الأطفال، لذلك شكلت المجلات والملاحق مكانًا مثاليًا لبناء تدريجي لأدباء الغد، فمن خلالها بدأنا نلمح بواكير الميول الأدبية والفنية والصحفية بين الأطفال.

فعلى صعيد الشعر، يمكن القول إن المجلات والملاحق كانت بمثابة الخارطة التي نشاهد على تضاريسها القصيدة الشعرية الخاصة بالأطفال، ومراحل تكونها، ونهوضها، والمفاصل المهمة فيها، كما يمكن اعتبار المجلة، بمثابة مرجع مهم، لدراسة تطور قصيدة الطفل في الأردن. فمعظم من كتبوا شعرًا للأطفال خلال العقدين الأخيرين، نشروا الكثير من إبداعاتهم الشعرية على صفحات المجلة، وأن مجلة وسام قد قامت بتبني بعض الأصوات الشعرية التي كانت في بداية الطريق، ولم يكن أحد ليلتفت إليها، لولا تبني وسام لها وتشجيعها ونشر إبداعاتها المبكرة.

كذلك قامت مجلة وسام بنشر الكثير من إبداعات الشعراء العرب، لخلق حالة من التواصل العربي في مجال قصيدة الطفل ومعرفة مكانة قصيدة الطفل في الأردن، على خارطة قصيدة الطفل العربية.

أما على صعيد القصة والحكاية، فقد اهتمت المجلة بهذين الفنين، وزادت المساحة المخصصة لهما، إدراكا لأهميتهما في توجيه الأطفال نحو قيم الخير والحق والجمال، وتنمية قدراتهم القرائية، وزيادة حصيلتهم المعرفية والثقافية، وقد أتاحت المجلة فرصًا لظهور حكايات وقصص لكتاب أردنيين، ولبعض الكتاب العرب، بالإضافة إلى القصص والحكايات المترجمة عن الأدب العالمي.

وتميزت لغة القص، بالجمع بين السهولة واللغة الفصيحة والعامية، ومراعاة قدرة الأطفال وحصيلتهم اللغوية، مع الاهتمام بالارتقاء بها عن طريق الكلمة الموحية. وكانت الألفاظ المستخدمة في القصص واضحة، والجمل قصيرة، كما أن موضوعات القصص تناولت القيم الوطنية والاجتماعية والعلمية والدينية والبيئية إضافة إلى القصص التراثية. مثلما شكلت المادة العلمية جزءًا ثابتًا من المضامين الخاصة بالطفل.

دور وزارة الثقافة في تشجيع أدب الأطفال:

انسجامًا مع التوجه الرسمي بزيادة الاهتمام بالأطفال قامت وزارة الثقافة مطلع تسعينيات القرن الماضي بإعادة هيكلة مديرية ثقافة الطفل، وتفعيل دورها بما يحقق رسالة الوزارة الثقافية، وبموجب الهيكلة الجديدة تضمنت المديرية خمسة أقسام رئيسية هي: **قسم كتاب الطفل وقسم مجلة الطفل وقسم مسرح الطفل وقسم أغنية الطفل وقسم أيام المحافظات الثقافية.**

وفي عام 1997 وبصفتي مديرًا لمديرية ثقافة الطفل، قمت بدراسة إحصائية عن إنجازات المديرية، قدمتها في ورقة لي لملتقى عمان الثقافي السادس عام 1997، فوجدت أن قسم كتاب الطفل قد أصدر 65 كتابًا للأطفال، ودعم إصدار 52 كتابًا آخر، واشترى من إصدارات كتّاب الأطفال بما قيمته ثلاثة آلاف دينار، وقد قام بإهداء هذه الكتب وتوزيعها ضمن مديريات الثقافة في المحافظات، كما تم توزيعها على المكتبات المدرسية، ومكتبات الجمعيات والمراكز الثقافية. وبذلك تكون الوزارة قد

دعمت الكاتب من جهة، ونشرت إبداعه وأوصلته إلى القارئ.

أما قسم مسرح الطفل فقد أنشأ مهرجان مسرح الطفل والذي تحول عام 1994 إلى مهرجان عربي يقام في عمان سنويًا، تتنافس فيه الفرق المسرحية المحلية والعربية على جوائز المهرجان بعد عرضها على خشبة مسرح المركز الثقافي الملكي، أمام لجان تحكيم مختصة لاختيار الأعمال المسرحية المتميزة، وكانت تقام على هامش فعاليات المهرجان ندوات وورشات عمل متخصصة في مسرح الطفل، وقد استطاع قسم مسرح الطفل تقديم أكثر من أربعين عملًا مسرحيًا متميزًا تم توثيقها وتسجيلها لإعادة عرضها في المدارس لاحقًا، كما قام القسم بطباعة أوراق العمل التي قدمت في الندوات وورشات العمل لتظل مراجع مفيدة للدارسين والباحثين.

أما قسم أغنية الطفل، فقد أسس مهرجان أغنية الطفل، وتحول بدوره عام 1994 إلى مهرجان عربي تشرف على إدارته نخبة من الشعراء والملحنين والموسيقيين، وقدم المهرجان خلال مسيرته أكثر من 200 أغنية أرفقت بالتدوين الموسيقي، كما أنجز القسم عددًا من الدراسات أسست لرؤية نقدية لتجربة المهرجان، وقام بطباعة خمسة كتب وثقت -بالكلمة واللحن- الأغنيات التي شاركت في جميع دورات المهرجان.

وللتدليل على دور مديرية ثقافة الطفل في دعم وتشجيع كتاب الأطفال ودعم وتشجيع أدب الأطفال سوف أكتفي بنشر شهادة للشاعر علي البتيري قدمها في ملتقى عمان الثقافي السادس عام 1997 وجاء فيها:

(دعوني أعترف بأن تجربتي في مجلة وسام التي يرأس تحريرها الزميل منير الهور، كانت تجربة ناجحة وفريدة من نوعها، ولم تقتصر هذه التجربة على مساهماتي في تحرير مادة المجلة، وإنما اتسعت مساحتها إلى المشاركة في دورات المندوبين الصحفيين الصغار التي كانت تنظمها مديرية ثقافة الطفل سنويًا، ثم اتسعت التجربة للمشاركة في الجولات الثقافية المتميزة والتي حرص رئيس تحرير المجلة على تنظيمها ضمن فعاليات الأيام الثقافية للمحافظات والتي طالت معظم محافظات المملكة، ونقلت الثقافة والإبداع إلى المدن والقرى والبوادي والمخيمات.

لقد أغنت وأثرت تلك الجولات الثقافية التي لا تنسى تجربتي الشعرية الخاصة بالأطفال، بإتاحتها المجال الواسع والفرصة الثمينة لعرض أشعاري على مختلف

قطاعات الطفولة، ومكنتني من توظيف المناقشات والحوارات التي كانت تدور بيني وبين الأطفال والفتيان على صعيد تقويم التجربة وإثرائها بكل ما هو جديد ومبتكر ومستوحى من واقع الطفولة المعاش).

المرحلة الثالثة: مرحلة التنافس وتمتد من 2001–2010

وتميزت هذه المرحلة بدخول العالم بقوة عصر التكنولوجيا الحديثة من كمبيوتر وإنترنت وفيسبوك وواتس أب وأقراص مدمجة، وما أحدثته هذه التكنولوجيا من ثورة حقيقية في عالم الطباعة وصناعة الكتاب.

دور النشر بدورها دخلت التحدي، وزادت من إصداراتها لكتب الأطفال، وطورت أدواتها مستفيدة من خصائص التكنولوجيا الحديثة في مجالات الإخراج والصور والألوان والرسومات والطباعة، وأصدرت الكتب المجسمة والناطقة والمترافقة مع الموسيقى. وفي إطار هذا التنافس بدأت دور النشر البحث عن المواضيع المتميزة، وأخذت تتصل بكتاب الأطفال وتعرض عليهم نشر نتاجهم الأدبي للأطفال، بعد أن كان الكتّاب سابقًا يطرقون أبوابها ويخضعون لشروطها.

ثم تطورت المنافسة بين دور النشر والكتب الإلكترونية، إلى منافسة بين دور النشر نفسها، خاصة بعد طرح عشرات الجوائز المحلية والعربية والمخصصة للكتب المتميزة شكلًا ومضمونًا، وقد أفرزت هذه المنافسة عدة دور نشر متخصصة في إصدار كتب الأطفال فقط، لإثراء أجنحتها في معارض الكتب المحلية والعربية التي يشرف عليها اتحاد الناشرين العرب، وتلبية الطلب المتزايد على كتاب الطفل.

وزاد من حدة المنافسة محليًا قيام وزارة الثقافة بإنشاء مكتبة الأسرة لتقوم بدور قسم كتاب الطفل في مديرية ثقافة الطفل التي تم حلها وتوزيع مهام أقسامها على مديريات الوزارة المختلفة، وتقوم مكتبة الأسرة بدور نشط في مجال إصدار عشرات العناوين من كتب الأطفال سنويًا بمواصفات جيدة وبكميات كبيرة تصل إلى سبعة آلاف نسخة من العنوان الواحد، يتم بيعها للأطفال والجمهور بأسعار رمزية من خلال احتفالية سنوية تشمل إقامة مراكز للبيع في مختلف محافظات المملكة.

هذا التوسع في النشر ما بين دور النشر المختلفة ومكتبة الأسرة والنشر

الإلكتروني إضافة إلى المبادرات الفردية للنشر من قبل الكتاب أنفسهم ودور النشر العربية، أربك العلاقة بين الكتاب والناشرين وحصلت مشاكل وقضايا وصلت إلى القضاء، خاصة بعد انتشار ظاهرة السرقات الأدبية والتي طالت الكتب والدراسات والأبحاث والرسائل الجامعية، فظهرت حاجة ماسة لقانون يحسم الخلافات وينظم العلاقات بين الكتاب والناشرين ويحفظ حقوق الطرفين المادية والأدبية، فجاء قانون حماية حقّ المؤلف الأردني الذي صدر عام 2005.

كل هذه التطورات أسفرت عن نقلة نوعية في تطور أدب الأطفال في الأردن، بعد استقرار البنية التحتية لهذا الأدب من مطابع ودور نشر ومبدعين وقانون ينظم ويحفظ حقوق الجميع، وبالتالي تضاعفت أعداد كتاب الأطفال، ودخلت المرأة الأردنية هذا المجال بقوة وكفاءة، والجديد في الأمر دخول مجال الكتابة والتأليف أقلام جديدة من الأطفال الموهوبين الذين أفرزتهم المسابقات الأدبية الموجهة للأطفال من مختلف الجهات ذات العلاقة بالطفل، وأثبت هؤلاء الأطفال حضورهم وتميزهم وبدأوا يبحثون لأنفسهم عن مكان بين الكتاب الكبار لنشر كتاباتهم، وكان أن التفتت بعض دور النشر لهؤلاء الأطفال وقامت بنشر إبداعاتهم.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإبداع وتمتد من 2011– حتى الوقت الراهن

بعد إنجاز البنية التحتية لأدب الأطفال في الأردن، والتي تكونت من مؤسسات حكومية وخاصة راعية وحاضنة لهذا الأدب مثل وزارة الثقافة والدائرة الثقافية في أمانة عمان الكبرى ووزارة التربية ورابطة الكتاب الأردنيين واتحاد الكتاب الأردنيين وعشرات النوادي والجمعيات والمراكز الثقافية والمبادرات والمجلات والصحف والملاحق الثقافية والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والقنوات الفضائية، وجمهور متعطش للقراءة يزيد تعداده عن ثلاثة ملايين طفل على مقاعد الدراسة، ودور نشر يزيد تعدادها عن 150 دارًا وقد شرعت أبوابها ومطابعها أمام إبداعات عشرات كتّاب الأطفال الذين ناهز عددهم مئتي كاتب بينهم مئة كاتب مسجلين كأعضاء في لجنة أدب الطفل في رابطة الكتاب الأردنيين، وقانون عصري ينظم العلاقة بين الكاتب والناشر ويحفظ حقوقهما المادية والأدبية، بعد كل ذلك، شهدت هذه المرحلة حدثين بارزين

يتعلق أحدهما بالأطفال والثاني يتعلق بكتّاب الأطفال.

أما الحدث الأول والمتعلق بالأطفال، فيتمثل بمشروع تحدي القراءة العربي الذي أطلقته دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2015 وهو مشروع مطور عن مشروع جمعية أصدقاء الأطفال باسم (قطار المعرفة – جواز سفر القراءة) والذي توقف عام 2017 بسبب قلة التمويل وضعف الإمكانات المادية للجمعية) يهدف مشروع تحدي القراءة إلى تحفيز الأطفال وتشجيعهم على القراءة، يشارك في المشروع جميع الأطفال من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر، ويتدرجون ضمن مراحل المشروع الخمس، وتتضمن كل مرحلة قراءة عشرة كتب، وتلخيص كل كتاب على صفحة من صفحات جواز السفر، ليدخلوا بعد إكمال المرحلة الخامسة مرحلة التصفيات وفق معايير محددة، للمنافسة على جوائز المشروع والمخصصة للأطفال المتميزين والمدارس المشاركة والمشرفين على المسابقة، إضافة إلى جوائز تشجيعية تصل قيمتها إلى 11 مليون درهم إماراتي.

وقد انعكس مشروع تحدي القراءة إيجابًا على جميع أطراف معادلة أدب الطفل:

أولًا: على الأطفال بإقبالهم على الكتب وقراءتها وتلخيصها وتحليلها ونقدها، وهناك فائدة أخرى حصل عليها الأطفال وهي أن القائمين على مشروع تحدي القراءة كانوا يراقبون المطبوع من كتب الأطفال والمتوفر في المكتبات، ويرصدون ما يرغب الأطفال في قراءته، ويقدمون توصياتهم للجهات المشرفة على مشروع تحدي القراءة، وأسفرت هذه العملية عن قيام دولة الإمارات بطباعة أكثر من خمسين عنوانًا جديدًا، وطبعت من كل عنوان ملايين النسخ وزعتها على الدول العربية وكان نصيب الأردن مئة ألف نسخة قامت وزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة بتوزيعها على المدارس والجمعيات والمراكز الثقافية.

ثانيًا: على المكتبات العامة والمدرسية ومكتبات دور النشر، التي شهدت إقبالًا من الأطفال وذويهم بحثًا عن عناوين جديدة لقراءتها ضمن مشاركتهم في المشروع.

ثالثًا: على كتّاب الأطفال الذين واجهوا طلبًا متزايدًا من دور النشر لرفد الساحة بالمزيد من الموضوعات التي تهم الأطفال، هذا إلى جانب مشاركة الكتاب في عمليات الإشراف والتحكيم لمشروع تحدي القراءة، ما أعطاهم الفرصة لمعرفة ميول

الأطفال القرائية.

رابعًا: على دور النشر التي طورت وسائل إنتاجها لكتاب الطفل، وشهدت رواجًا لبضاعتها وزيادة في كمياتها وبالتالي زيادة في أرباحها.

أما الحدث الثاني والمتعلق بكتاب الأطفال فيتمثل بإطلاق عشرات الجوائز المحلية والعربية أمام كتاب الأطفال، ورصد هذه الجوائز مكافآت نقدية مغرية للأعمال الأدبية الفائزة ومن هذه الجوائز:

أولًا: جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية.

ثانيًا: جائزة الحسين للإبداع.

ثالثًا: مسابقة شومان لكتب الأطفال، وهي جائزة سنوية عربية تمنح للأعمال الأدبية الموجهة للأطفال، وتشمل مجالاتها القصة والقصيدة والرواية والمسرحية والخيال، وقد بلغ عدد المتقدمين للجائزة (من عام 2006–2020) 3667 مشاركًا، وبلغ عدد الفائزين 38 كاتبًا، وبلغ عدد الأعمال الأدبية الفائزة التي تم نشرها في كتب 17 عملًا.

رابعًا: جائزة الشيخ زايد للكتاب

خامسًا: جائزة الشارقة للإبداع

سادسًا: جائزة آنا ليند

سابعًا: جائزة اتصالات، وجائزة أدب الطفل في الملتقى الثقافي العراقي، وجائزة الدولة لأدب الطفل في قطر، وجائزة الشارقة للإبداع، وجائزة أنجال هزاع، وجائزة مصطفى عزوز بتونس، وجائزة القصة القصيرة للأطفال وغيرها.

وقد فتحت هذه المسابقات بجوائزها النقدية المغرية أبواب المنافسة بين كتّاب الأطفال، والجميل في هذه المسابقات أنها تتضمن طباعة الأعمال الفائزة وتوزيعها، ما ساهم في إثراء مكتبة الطفل.

وقد كان لوزارة التربية والتعليم دور في هذا المجال، عندما طرحت عام 2016 مسابقة لإصدار مجموعات قصصية داعمة للقراءة لطلبة المرحلة الأساسية من الصف

الثاني إلى الصف السادس الأساسي، شارك في المسابقة الكثير من الكتاب الأردنيين، اختارت الوزارة مئة قصة منها وطبعتها في مجموعات قصصية وزعتها على جميع طلبة المرحلة الأساسية.

الحضور الكرام

بعد هذا الاستعراض الموجز لأهم مراحل تطور أدب الأطفال في الأردن، وما استمعتم إليه من عناصر إيجابية، آن لنا أن نتوقف عن جلد الذات، والتذمر، والشكوى التي نسمعها بين الحين والآخر من البعض لنقول وبكل ثقة:

إن وضع أدب الأطفال في الأردن بخير، وإننا من الدول المتقدمة في هذا المجال، ولدينا مئات الكتاب المبدعين، والذين يزداد عددهم سنويًا، وقد أثبت كتابنا أنفسهم على الساحتين المحلية والعربية وكرسوا حضورهم الفاعل في مختلف المنابر التي تنشر للأطفال، فلا تكاد تخلو مجلة أو صحيفة أو برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو مسلسل عربي من أقلام أردنية.

ولدينا مجلات وصحف أردنية وعربية تنشر للأطفال.

ولدينا مكتبات عامة ومدرسية تقتني إصدارات كتاب الأطفال.

ولدينا دور نشر محلية وعربية تنشر لكتّاب الأطفال.

ولدينا الكثير من المبادرات الفردية لكتّاب أردنيين.

ولدينا عشرات الكتاب وقد حصدوا الجوائز من المسابقات المحلية والعربية.

ومع كل هذه النجاحات والإنجازات، أتساءل بيني وبين نفسي: هل حققنا معاشر كتاب الأطفال ما نريد؟ وهل قدمنا للأطفال ما يريدونه؟ هل غطت كتاباتنا كل حقول المعرفة الضرورية للأطفال؟ هل وصلنا بكتاب الطفل إلى المستوى الذي يجب أن يكون عليه شكلًا ومضمونًا؟

الجواب: طبعا لا، فعالم أدب الأطفال عالم واسع له بداية وليس له نهاية، والعالم يتغير حولنا باستمرار، والتكنولوجيا أيضًا تتطور باستمرار، ووسائل تثقيف الأطفال تزداد وتتنوع، والتقدم العلمي والاكتشافات العامية تفتح أمامنا عوالم جديدة،

ما يلقي على كاهل كتاب الأطفال مهام جديدة، لجهة تطوير أفكارهم وأدواتهم، والموضوعات التي يطرحونها في كتاباتهم للأطفال.

* فما زلنا بحاجة إلى حركة نقدية جادة وموضوعية تتناول الكتاب بمعزل عن شخص الكاتب، فقد تضاعفت أعداد الإصدارات الموجهة للأطفال مما تضخه المطابع ودور النشر في السوق، واختلط الغث بالسمين، وأصبحت الحاجة ملحة إلى جهة تتولى هذا الأمر. وقد لفت نظري حديث متداول في أروقة رابطة الكتاب الأردنيين يتحدث عن ضرورة إخضاع الكتاب المتقدمين لعضوية الرابطة لدورة متخصصة في اللغة العربية بإشراف مجمع اللغة العربية الأردني، بسبب كثرة الأخطاء اللغوية الواردة في إصدارات بعض الكتاب، فما بالك بكتب الأطفال؟

* وما زلنا بحاجة إلى الاهتمام بدور البيت والأهل في تشجيع الأطفال على القراءة.

* وحيث أن مجلة الطفل من الوسائط المفضلة لانتقال المعرفة إلى الطفل، فإن المتابع لأوضاع مجلات الأطفال في الأردن، يلاحظ سرعة ظهور واختفاء هذه المجلات، وصادف أن كانت تصدر خمس مجلات أو ستًّا على الساحة لكنها اختفت جميعًا باستثناء مجلة وسام التي تصدرها وزارة الثقافة، حتى هذه المجلة اليتيمة ورغم توفر هيئات تحرير متخصصة لها، إلا أنها لا تصل للأطفال في مدارسهم ولا تعرض في الأكشاك والمكتبات وأماكن بيع الكتب؛ لافتقار الوزارة إلى جهة توزيع متخصصة، ودور هيئات التحرير يقتصر على إصدار المجلة فقط.

* ولدت الثورة التكنولوجية خاصة الإنترنت ثورة موازية في عالم صناعة كتاب الطفل، فظهر الكتاب الإلكتروني الذي يوظف حواس الطفل في القراءة من تركيزه على التجسيم والتحريك والأضواء والأصوات والملمس، ما يفرض على الكتّاب ودور النشر سرعة التحرك لمحاكات لغة العصر، وما تزال الجهود المبذولة في هذا المجال غير كافية.

* ما زالت استجابة الكتّاب لأحوال العالم المتغيرة ضعيفة، فعلى سبيل المثال

اجتاح وباء الكورونا العالم بما في ذلك العالم العربي وأثر هذا الوباء على الأطفال مباشرة، من خلال إغلاق المدارس ورياض الأطفال والنوادي والجمعيات والمسابح، وفرض على الأطفال أسلوب التعليم غير المباشر من خلال المنصات الإلكترونية، وفقد الكثير من الأطفال الوالدين أو بعض الأقارب والأصدقاء، وولد هذا الوباء وما تسبب به ألف سؤال وسؤال لدى الأطفال، ما زالوا ينتظرون من الكتاب أن يقدموا لهم الإجابة.

* لدينا في الأردن عشرات الجمعيات والمراكز الثقافية والمبادرات الخاصة بالأطفال، يشكل الأدب جزءًا كبيرًا من أنشطة هذه المراكز والمبادرات، مثل القراءات القصصية والشعرية والمسابقات الثقافية ومعارض الكتب واللقاءات مع كتاب الأطفال وإقامة الندوات والمحاضرات، وتكاد هذه الجمعيات والمراكز والمبادرات تكرر نفس النشاطات. فما أحوجنا إلى جهة مختصة تضع آلية للتنسيق لتنويع وتجويد الفعاليات الثقافية المقدمة للأطفال.

اتجاهات أدب الطفل في الأردن

د. عبير النوايسة[1]

المقدمة: اتجاهات أدب الطفل.

أولاً- المفهوم والمراحل:

لابُدّ من الوقوف عند مفهوم أدب الطفل قبل الخوض في اتجاهاته وواقعه. حيثُ ينطلق مفهوم أدب الطفل من أنّه ذلك الأدب المقدم للطفل وعنه، في الأجناس الأدبية المختلفة: (الشعر والنثر بضروبه المختلفة: الرواية والقصة والمسرحية) وهو بهذا جزء لا يتجزأ من الأدب العام، فمقوماته واحدة مع احتفاظه بخصوصية الطفل[2].

وتنطلق خصوصية الطفل، من أنّ الطفولة تمثل مرحلة من المراحل العمرية المهمة للفرد فهي الأساس الذي تتشكل فيه مدارك الطفل، وهي البذرة الأساسية للمجتمع[3]، حيثُ يمرّ الطفلُ فيها بمراحل مختلفة يمكن تلخيصها بالمراحل التالية:

مرحلة الرضاعة: وتبدأ منذ الولادة – السنة الثانية، وهي من أهم المراحل.

---

(1) كلية الكرك الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

(2) أحمد المصلح، أدب الأطفال في الأردن، منشورات وزارة الثقافة والفنون، عمان، ط1، 1983، ص20–21.

(3) عمر الأسعد، أدب الأطفال، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2000، ص13.

مرحلة الطفولة المبكرة: وتتمثل بعمر من (3 – 6) سنوات، وهي مرحلة ما قبل المدرسة[1].

مرحلة الطفولة المتوسطة: وتمتد من (6–9) سنوات وهي مرحلة التوسع في الأفق المعرفي، والبيئة الاجتماعية.

مرحلة الطفولة المتأخرة: وتمتد من سن (9–12) سنة، وهي مرحلة قبيل المراهقة، حيث تنمو فيها المهارات بصورة واضحة[2].

مرحلة المراهقة: وتبدأ من سن (13) سنة، وتمثل مرحلة الانتقال التدريجي نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والنفسي[3].

ثانياً- الجذور التاريخية:

تنطلق بدايات أدب الطفل كأدب وليس كظاهرة تربوية، من مصر وهو ما يعنينا في مجال دراسة أدب الطفل، أي بعيداً عن البدايات الغربية حيثُ ظهرت هذه البدايات بصورة القصص والكتب المترجمة التي تجسد اتجاهاً بارزاً في حقل الأدب، وخاصةً أعمال رفاعة الطهطاوي ومثالها: «حكايات الأطفال» و«عقلة الإصبع» لتظهر بعدها محاولات جديدة في هذا الحقل كالقصص الشعرية والقصيدة لأحمد شوقي، ومن أبرز أعماله «الثعلب في السفينة» و«الكلب والحمامة» و«الأسد والضفدع» وغيرها. وكان لهاتين التجربتين الأثر الأكبر في ظهور أعمال جسدت اتجاهات أدب الطفل بصورة أكبر ولم تقتصر على القصة والشعر، بل ظهرت في مجال المسرح والرواية لتتوالى بعدها التجارب في بقية البلدان العربية كسوريا، والعراق، ولبنان، وتونس، وفلسطين، والجزائر، والأردن، ودول الخليج العربي[4].

---

(1) انظر عبد الرحمن العيسوي، معالم علم النفس، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، د.ط، 1979، ص7؛ وانظر صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، 1998، ص66–70.

(2) صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ص73–80.

(3) صالح أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ص78–80.

(4) شوكت أشتي، القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، دار النضال، بيروت، ط1، 1999، ص 48–50.

وفيما يتعلق بالتجربة الأردنية فهي تجربة رائدة في هذا المجال بدأت عام 1928 واستمرت بالتطور عبر فترات زمنية يمكن إجمالها بثلاث[1]، ولأنّ موضوع الدراسة يتمثل في إبراز اتجاهات أدب الطفل ستكتفي الباحثة بتمثيلها بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى من عام 1928–1966 وجسدتها كتابات إبراهيم البوارشي وإسحق الحسيني وروكس العزيزي وغيرهم. وغالباً ما كانت تتجه لحقل القصة كمؤلفات راضي عبد الهادي، وعيسى الناعوري وجهاد جبر وغيرهم[2].

المرحلة الثانية: وتمتد من عام 1970–1978، ومن أبرز الرواد فيها: يوسف العظم، ونبيل الصوالحة، وتغريد النجار. وامتازت بالتركيز على الجانب العلمي وأخذت اتجاه القصة كالمرحلة السابقة. إضافةً لظهور المجلات كمجلة سامر، والقدس، والثقافة العلمية وغيرها[3]. لتأخذ هذه المرحلة وسابقتها الطابع التربوي.

المرحلة الثالثة: وتبدأ من عام 1979–1987، حيثُ يُعدّ العام 1979 العام الدولي للطفل[4]. وبرأيي حمل هذا العام نقلةً نوعيةً وكمية في حقل أدب الطفل؛ حيث ظهرت الدواوين الشعرية مثل: «هكذا يسمو الوطن» لمحمود الشلبي و«النهر» لجمال أبو حمدان، إضافةً للمجموعات القصصية ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر: «الأرنب الذكي» لشحادة الناطور، و«الأبله» لفايز محمود، و«حلاوة الإيمان» لأحمد جبر، وتوالت بعدها الكتابات الناضجة في الحقول المختلفة[5].

ثالثاً- اتجاهات أدب الطفل:

تنوعت اتجاهات أدب الطفل في الأردن، فشملت فرعي الأدب: الشعر والنثر؛ وفيما يتعلق بحقل الشعر، لم يكن مجرد قصائد عابرة، بل تجاوزها لمجموعات

---

(1) هيفاء شرايحة، أدب الأطفال ومكتباتهم، دار المكتبات والوثائق، عمان، ط3، 1990، ص49.

(2) هيفاء شرايحة، أدب الأطفال ومكتباتهم، ص49.

(3) سعيد أحمد حسن، أدب الأطفال ومكتباتهم، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، ط1، 1984، ص39–40.

(4) سميح أبو مغلي، دراسات في أدب الأطفال، عمان، ط1، 1993، ص177.

(5) سعيد أحمد حسن، أدب الأطفال ومكتباتهم، ص41.

قصصية شعرية ومثال ذلك: «أغاريد الطفولة» لعبد الحفيظ أبو نبعة. ومنها مجموعات شعرية مثل: «القدس تقول لكم» و«أطفال فلسطين يكتبون الرسائل» و«فلسطين أمي» لعلي البتيري. و«أغاني الصغار» لجاك اللحام. إضافةً إلى القصائد الشعرية لإبراهيم نصر الله، وكمال رشيد، ويوسف حمدان، وعبد الله منصور، ومحمد جمال عمرو.

وكذلك المسرح الشعري كمسرحيات «لينا النابلسي» و«دلال المغربي» و«تغريد البطمة» وجميعها لمحمد الظاهر. و«الغزال كحول» لمحمود الشلبي وغيرها[1].

وفي ضوء ذلك نجد أنّ للشعر مكانته البارزة في الأدب، حيثُ ظهر هذا الاتجاه في أعمال الشعراء الأردنيين بشكلٍ واضحٍ، ولم يغفلوا عن العناية به من ناحية الشكل والمضمون فمن ناحية المضمون تشعبت المضامين في الأعمال الشعرية الموجهة للطفل ما بين الوطنية والاجتماعية والتربوية والعلمية. ووقفوا على تفاصيلها في النماذج الشعرية وفندوها[2]. ومن أبرز الشعراء الذين عكست قصائدُهم صورة لغنى النص بالفكرة والمضمون راشد عيسى، ومحمد الظاهر، ومحمود الشلبي، وعلي البتيري، وأحمد الكواملة، ومحمد القيسي وغيرهم[3].

أمّا من ناحية التشكيل الفني واللغة، فكان لهما مكانة واضحة واهتمام بارز في كتابات الشعراء، حيثُ قُدّمت الأعمال بصورة صحيحة، راعى فيها الشعر الجانب اللغوي والإملائي وتركيب الجمل والإيقاع وسلامة البناء الشعري والعروضي

---

(1) سميح أبو مغلي، دراسات في أدب الأطفال، ص27–28/ ص177–178.

(2) عبد التواب يوسف، شعر الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، 1988، ص78.

(3) انظر: راشد عيسى، وطني العربي، هيا إلى العربية، دار المنهل، عمان، ط1، 1994، ص43.
وانظر: محمد الظاهر، قصائد لأطفال الأر بي جي، دار الكرمل، عمان، ط1، 1984، ص11–41.
وانظر: محمود الشلبي، الديك والنهار، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ط1، 1984، ص٣٧.
وانظر: علي البتيري، طيور الحرية، مجلة وسام، عدد 111، وزارة الثقافة، عمان، السنة 9، 1999، ص21.
وانظر: محمد القيسي، بيسان واللصوص، مجلة وسام، العدد 59–60، وزارة الثقافة، عمان، 1993، ص10.
وانظر: أحمد الكواملة، الحجر الأخضر، مجلة وسام، العدد 59 – 60، وزارة الثقافة، عمان، 1993، ص43.

والصورة والموسيقا. ومثال ذلك شعر كل من يوسف حمدان ومحمد الظاهر ومحمود الشلبي ومحمد جمال عمرو وغيرهم[1].

وفيما يتعلق بالاتجاه الثاني من أدب الأطفال وهو النثر الذي يمتد إلى حقول ثلاثة: القصة والرواية والمسرحية، فتحتل القصة المرتبة الأولى لأنها الأقرب للطفل وتشجعه كغيرها من الأجناس على التفكير وتحفزه على المعرفة، وتنسجم مع غربة الطفل وعالمه خاصةً إذا كانت تعبر عن الموجودات حوله كالحيوانات والطيور وغيرها أي كانت من واقعه[2].

وأسهمت القصة في إثراء ملكة الطفل وتوسيع مداركه من خلال المضامين التي برزت في القصص المقدمة للطفل سواء الخيالي منها أو الديني، وكذلك القصص العلمية وقصص المغامرات والبطولة، والقصص التاريخية، والاجتماعية[3].

ومن أبرز كتاب القصة في الأردن: نايف النوايسة وفخري قعوار وهاشم غرايبة وهاني الطيطي ومنير الهور وعيسى الجراجرة ونادیا العالول ونهاية بلعاوي وعمر القاضي وغيرهم[4].

---

(1) علي البتيري، قصيدة الطفل وسماتها الفنية، مجلة أفكار، العدد 82، وزارة الثقافة، عمان، أيلول – تشرين أول، 1986، ص28.

(2) سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال «أهدافه ومصادره وسماته»، رؤية إسلامية، دار البشير، عمان، ط1، 1983، ص90–91.

(3) حسن شحاته، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1989، ص59.

(4) انظر: نايف النوايسة، أبو المكارم، قصص للأطفال، منشورات جمعية المزار الجنوبي، المزار الجنوبي، ط1، 1980، ص11. وكذلك: الأولاد والغرباء، قصص للفتيان، المطابع الثقافية، عمان، ط1، 1996، ص12.

انظر: فخري قعوار، من الفراشة الملونة إلى الطيور المهاجرة، وزارة الثقافة، عمان، د.ط، 1980، ص22.

انظر: هاشم غرايبة، غزلان الندى، جمعية عمال المطابع الخيرية، عمان، ط1، 2000، ص53–54.

انظر: هاني الطيطي، غابة حيفا، قدسية للنشر والتوزيع، إربد، د. ط، 1991، ص 5–28.

انظر: منير الهور، حكاية البحر، مجلة أفكار، عدد 7، وزارة الثقافة والشباب، عمان، آذار، 1982، ص83.

ومثلما كان للقصة وجودها في أدب الطفل كاتجاه وعناية، كان لها دور بارز من ناحية التشكيل الفني واللغة مع بروز عناصرها الفنية كالشخصيات والزمان والمكان والحدث والحوار والعقدة والحبكة وغيرها. فهذه العناصر تشكل الدعائم الأساسية التي تحفظ للعمل بنيانه وتبرزه فنياً؛ لتعكس تقنياته وتفاعل أحداثه فنياً[1].

وجديرٌ بالذكرِ أنّ الرواية والمسرحية لا تنفصلانِ عن عالم القصة، فهما تحملانِ الطابَع ذاته من حيثُ المضامين والجانب الفني. حيث توثقان عالم الطفل وحياته الواقعية وتعكسان محيطه وما يبرز فيه من قضايا سواء الوطنية أو القومية والاجتماعية والعلمية والتربوية وهذا واضحٌ في أغلب أعمال الكتّاب الذين ورد ذكرهم في القصة، ومنهم من كان له نشاط في الحقلين: القصة والرواية، أو القصة والمسرحية.

أمّا من ناحية التشكيل الفني فقد تجسد اهتمام الكتاب من خلال مراعاة المرتكزات الأساسية للرواية والمسرحية وشكلها الفني، وهذا واضح في أعمال روضة الهدهد وعمقها في إبراز فاعلية الأحداث في رواياتها من خلال اللغة القوية والصور الفنية وإيقاع النص إضافةً للعناصر الفنية الأخرى الخاصة بالرواية والتي تتفق مع عناصر القصة من شخصيات ومكان وزمان وعقدة وحبكة وغيرها. ومثلها بالتأكيد المسرحية[2]. والحديث يطول عن هذا الجانب ولأنّ موضوع الدراسة هو تسليط الضوء على الاتجاهات وإبرازها، ستكتفي الباحثة بالمعالم التي قامت بتوضيحها وختمها بأبرز الروايات والمسرحيات المتمثلة في أعمال روضة الهدهد، ومفيد نحلة وأحمد النعيمي ومحمد جمال عمرو ونايف النوايسة وزهير كحالة وغيرهم.

وانظر: ناديا العالول، مغامرة على الطريق، مجموعة قصصية للفتيان، منشورات دار الثقافة، عمان، ط2، 1996، ص17.

وانظر: نهاية بلعاوي، عين الحياة والأسماء الخمسة، دار البشير، عمان، ط1، 1991، ص16.

وانظر: عمر القاضي، الأميرة غسق والغول الشرير، دار الينابيع، عمان، ط1، 1992، ص25–32.

(1) محمد نجم، فن القصة، دار الشروق ودار صادر، عمان – بيروت، ط1، 1986، ص86.

وانظر: آمنة يوسف، تقنيات السرد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1997، ص23–24.

(2) عبير النوايسة، أدب الأطفال في الأردن «الشكل والمضمون»، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص165.

وخلاصة القول إنّ اتجاهات أدب الطفل لامست الجوانب الحياتية المختلفة للطفل سواء الواقعية أو الخيالية، مع التركيز على ما يُلامسُ مدارك الطفل وبيئته من الناحية الاجتماعية والقومية أو الوطنية والتربوية والعلمية إضافةً للخيال والمغامرات ليأخذ بهذه الخطوة مزية التطوير ليكون أدباً فعلياً بعيداً عن الجانب التربوي الذي كان يسيطر على أدب الطفل في بداياته الأولى. خاصة كتابات حسني فريز التي غلب عليها الجانب التربوي.

الفصل الأول:

أدب الطفل بين الواقع والتحديات:

إنّ المتتبع لواقع أدب الطفل في الوطن العربي يتلمس ملامح الاهتمام بأدب الطفل عالمياً وعربياً ومحلياً. ولأنّ محور الدراسة أدب الطفل في الأردن، لابُدّ من توضيح هذا الجانب بعد استعراض الاتجاهات والشعراء والكتاب كما مهدت وقدمت الباحثة لذلك في مقدمتها.

ينطلقُ واقع أدب الطفل بدايةً من اهتمام المؤسسات العامة والأهلية لنشره كأدب يمثل ويجسد شريحة مهمة من شرائح المجتمع، لها مراحلها المختلفة ولكل مرحلة منها عالمها الخاص الذي يعكس مدارك الطفل ورغباته، وبعيداً عن مرحلة الطفولة المبكرة نجد أنّ المراحل التالية يكون الطفل فيها أكثر نضجاً ووعياً لما يُقال له وعنه. وعلى الرغم من هذا الاهتمام يبقى التحدي الأكبر في هذا الجانب محدودية الجهات المهتمة بأدب الطفل من جهةٍ، وعدم تناسب الأدب مع الفئة المستهدفة من جهة أخرى[1]. نذكر من هذه المؤسسات صندوق الملك الحسين للإبداع وما يخصصه من جوائز للمبادرات المقدمة للطفل ومن جهة أخرى يشير واقع أدب الطفل إلى توافر عدد وافر من المبدعين في مجالات أدب الطفل. وهذا ما يبرزه المحور الثاني سواء في الشعر أو النثر بضروبه المختلفة، ممن كان لكتاباتهم الدور البارز في

(1) أدب الأطفال في الأردن... واقعه وآفاقه المستقبلية، www.alquds.co.uk/ / https، 23/ يناير/ 2020، ص2-4.

عكس عالم الطفل وتوسيع مداركه عبر مراحله المختلفة. وهذا الواقع أكده الكثير من النقاد والكتاب في مجال أدب الطفل كناصر شبانة وتغريد النجار ونضال البزم ومحمد جمال عمرو ويوسف البري ومنصور العمايرة وغيرهم. فالناقد ناصر شبانة يشير إلى تقدم الأردن في هذا الجانب، وأكبر دليل على ذلك الحراك الثقافي النشط للمبدعين في المجالات المختلفة والذي كان مدعوماً من خلال المؤسسات الرائدة كوزارة الثقافة ومؤسسة عبد الحميد شومان ورابطة الكتاب وغيرها[1].

أما الروائية والكاتبة تغريد النجار فتشير إلى التطور الملحوظ في أدب الطفل كما أشارت الباحثة سابقاً بدليل تنوع النتاج وتزايد عدد الكتاب لفئة الأطفال، ومشاركتهم في الجوائز والمحافل المحلية والدولية[2].

ومع ذلك يواجه كتّاب وشعراء أدب الطفل، والطفل ذاته تحدياً كبيراً يتجسد الأول في غياب الدعم أو الاهتمام. وإنْ توافر فهو متاح لفئة بسيطة ومن الصعب أن يكون متاحاً للجميع. ومن ناحية أخرى يطغى على بعض الأعمال المقدمة للطفل الجانب أو الهدف التجاري الذي يتنافى مع أصول الكتابة، ولا يحترم عقل الطفل وإدراكه[3].

أما الفنان والأديب نضال البزم فيؤكد الواقع الذي أشارت إليه الباحثة وهو توافر الدعم إلا إنه ليس كافياً. خاصة مع ميل الكثير من الأدباء لنشر أعمالهم ذاتياً وتحمل تكاليفها المادية الباهظة. ويدعو إلى إعطاء اهتمام أكبر لتفادي هذا التحدي وذلك من خلال زيادة عدد الجهات والجوائز ودور النشر التي ستنعكس بشكلٍ إيجابي على أدب الطفل[4].

ويُجسد المحور الثالث من واقع أدب الطفل سعي الشعراء والكتّاب لمحاكاة عالم الطفل في مراحله العمرية المختلفة، وما هي مداركه ورغباته. وهذا واضح في الأعمال المقدمة للطفل من عام 1979 العام الدولي لأدب الطفل حتى وقتنا الحاضر. وكما ترى الباحثة نستطيع القول إننا وصلنا لمرحلة أكثر نضجاً في الأعمال، خاصةً أنّ

(1) ناصر شبانة، أدب الأطفال في الأردن.. واقعه وآفاقه المستقبلية، ص2.
(2) تغريد النجار، أدب الأطفال في الأردن.. واقعه وآفاقه المستقبلية، ص2.
(3) تغريد النجار، أدب الأطفال في الأردن.. واقعه وآفاقهُ المستقبلية، ص3.
(4) نضال البزم، أدب الأطفال في الأردن.. واقعه وآفاقه المستقبليةُ، ص3.

بعض الكتّاب كالأديب نايف النوايسة استطاع أن يُحْدِث حراكاً نشطاً في هذا الجانب بتجسيد عالم الطفل من خلال إصداره لسلسلة الأحفاد التي تتكون من عشرين قصة، صدر منها عشر قصص حاكى فيها الطفولة بصورة ناضجة من خلال مشاركة الطفل للحلقة أو القصة محور الكتابة، وقياس مدى إدراكه ووعيه بهذه القصة وبجوانبها لتكون عملاً منه وله. أي أنّ القصة دخلت مرحلة التجريب والتطبيق العملي. وهذا إنجاز في واقع أدب الطفل في الأردن إلا أنّ هذا الواقع يواجه تحدياً كغيره، يتجسد بدايةً في عدم تطبيق الفكرة من شعراء وكتّاب آخرين، ربما لضيق الوقت وغياب الدعم، وربما لإحساسهم بعدم الاهتمام خاصة مع وجود نظرة ليست ناضجة عند البعض لمن يكتب لفئة الأطفال. وهذا يعود لغياب النقد البارز والصحافة والترويج الكافي للأدب.

فيما يتناول المحور الرابع من واقع أدب الطفل طموح الكتّاب والمبدعين في الأردن ورغبتهم في تطوير أدب الطفل من ناحية المضمون والشكل للارتقاء بهذا الأدب بصورة أكبر. وحققت الأردن في هذا المجال تقدماً ملحوظاً جعلها في مصاف الدول العربية. والدليل على ذلك التطور الذي شهدهُ أدب الطفل من عامه الفعلي 1979 ولغاية الآن. خاصة مع ظهور كُتاب جُدد يمتلكون طموحاً في هذا الجانب وميل بعض الكتاب والشعراء القدماء في مجال أدب الطفل إلى محاكاة عمر الطفل فعلياً في عملهم، وضبط العمل الأدبي بما يتناسب مع أخلاقيات البيئة ومداركه وحاجاته الفعلية، كما أشارت الباحثة سابقاً.

لكن يواجه هذا الواقع تحدياً بسبب ظهور كتابات على مواقع التواصل، لا ننفي أنّ بعضها جيد، لكن هناك نسبة منها لا ترتقي فنياً، ولا تجسد فعلياً الأدب الذي يجب أن يُقدم للطفل. وأشار إلى هذا التحدي الشاعر محمد جمال عمرو بقوله: إن الطفل العربي عموماً يتعرض للتغريب واستهداف الهوية وهذا واضحٌ في الأعمال والمضامين المبثوثة في برامج التلفاز وعبر المواقع الإلكترونية، دون مراعاة لخصوصية الطفل ولغته[1].

وترى الباحثة أنّ هذا الواقع يمكن مناقشته من جانبٍ آخر يتمثل بسعي الكتاب وكما يقول القاص والكاتب المسرحي يوسف البري إلى الكتابة للطفل في مراحله

(1) محمد جمال عمرو، أدب الأطفال في الأردن... واقعه وآفاقه المستقبلية، ص3.

العمرية المختلفة؛ فلكل مرحلة ماهيتها الخاصة فكرياً وعاطفياً، ولها قاموسها اللغوي الخاص[1]. لكن هذه الرغبة ليست كافية أمام التحدي الأكبر وهو غياب الدعم كما تحدثت سابقاً أو استغلال بعض دور النشر للكتاب، أو ارتفاع تكلفة تنفيذ الكتب وطباعتها، إضافة لقلة انتشار المجلات بين يدي الطفل وهذا يعود كما يقول منصور العمايرة إلى الضعف المادي للأسرة وأحياناً تردي الوعي الثقافي لديها[2]. مع تراجع الميل للقراءة عند بعض الفئات بسبب مواقع التواصل والنشر الإلكترونية. والتحدي الآخر لهذا الواقع هو عدم مخاطبة جميع فئات الطفل، فهناك مراحل تكاد تغيب عن كتابات الكتاب والشعر خاصة المرحلة الأولى والثانية والتركيز الأكبر على فئة اليافعين. مع أننا فعلياً بحاجة لتسلسل في الأعمال لنقف فعلياً على تطور أدب الطفل؛ ولنخرج بمزايا فعلية لكل مرحلة من مراحله.

وربما يعود السبب في ذلك إلى تقدير الكتاب والشعراء أنّ الأطفال في هذه المرحلة أكثر نضجاً وإدراكاً، فمن السهل مخاطبتهم بأدب يجسد واقعهم، بينما المراحل الأقل عمراً تحتاج إلى لغة أسهل والأطفال فيها يميلون للصورة أكثر من الكلمات، مما يجعلهم يبتعدون عن هذه المراحل العمرية. وفي هذا الجانب تقول القاصة دنيا بدر علاء الدين صاحبة رواية «عبده والبحر» وهي رواية للفتيان: إنّ الكتابة تُعدّ عملاً صعباً، والطفل يتميز بالذكاء، ولكي يستطيع الكاتب جذبه يجب أن يمتلك الحكمة والفن، خاصة أنّ هناك فرقاً بين أدب الطفل واليافعين ويتجسد بالكلمات والصور وغيرها من العوامل التي تجذب الطفل.

الخاتمة:

خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج والتوصيات يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً- وجود حراك ثقافي نشط لأدب الطفل في الأردن في مجال الشعر والنثر. مع تنوع الاتجاهات، لكن هذا الحراك يعاني من تحديات تتمثل بمحدودية الدعم،

(1) يوسف البري، أدب الأطفال في الأردن... واقعه وآفاقه المستقبلية، ص4.

(2) منصور عمايرة، واقع أدب الطفل في الأردن، صحيفة الرأي الأردنية، https//alrai.Com/article/103160.23/5/2005

وقلة الجهات الداعمة، أو توفرها للبعض دون تغطيتها لأغلب الكتاب والشعراء، مما يدفع البعض للتوقف مع ارتفاع التكلفة.

ثانياً- اهتمام كتاب أدب الطفل بمراحل الطفل العمرية. وهذا واضح في كتابات الكثيرين. لكنّ التركيز الأكبر كان على فئة اليافعين أو الفتيان مع اهتمامهم بمداركه ولغته وهذا واضح في حرصهم على مضمون العمل وشكله الفني.

ثالثاً- تطوير الكتاب لماهية أدب الطفل؛ وذلك بميلهم إلى إدخاله مرحلة التجريب والتطبيق الفعلي على محيط الطفل وإشراكه بمرحلة التذوق والفهم ثم تتم عملية الكتابة ليخرج الكاتب بنتيجة أكثر نضجاً لما يقدمه للطفل.

رابعاً- ظهور بعض الكتابات على مواقع التواصل الإلكترونية، بعضها يحاكي واقع الطفل وعالمه. ونسبة منها تزيد من غُربة الطفل وتدخله في عالمٍ يشوبه التشويش، خاصة أنّ البعض يجد سهولة في تصفح المواقع ودور النشر الإلكترونية لدوافع منها عدم وجود تكلفة مادية، أو للسرعة وتقليل الجهد والوقت.

وتوصي الباحثة الكتاب بضرورة الاقتداء بتجربة الكاتب نايف النوايسة في مجال التجريب وإدخال الطفل عالم العمل الأدبي قبل إخراجه للنور، حيث حقق الكاتب نجاحاً واضحاً في سلسلة الأحفاد، والتي يواظب على إصدارها. وتدعو أيضاً إلى إعطاء اهتمام أكبر بالكتاب والشعراء والدارسين لأدب الطفل من حيثُ الدعم والتكريم والتشجيع لدفعهم للاستمرار والتطوير من كتاباتهم.

إضافةً إلى ضرورة عقد مؤتمر فعلي لأدب الطفل، يجتمع فيه أهل الاختصاص لمناقشة أدب الطفل بصورة أكثر عمقاً. لتحديد الواقع الفعلي وما هي سبل التطور والتقدم.

ومن التوصيات أيضاً إقامة جلسات حوارية يتشارك فيها الكاتب والطفل للوقوف على عالمه ورغباته ولا مانع من أن يكون الطفل صاحب الفكرة والممهد لجذورها الأولى. مع ضرورة التركيز على كُلّ المراحل العمرية وليس فئة دون الأخرى. وتشجيع الصحافة والنقاد على التركيز على هذا الأدب وتخصيص جانبٍ من اهتماماتهم لهذه الفئة وما يقدم لها.

المصادر والمراجع والمجلات:

- أحمد حسن، سعيد، أدب الأطفال ومكتباتهم، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، ط1، 1984.
- الأسعد، عمر، أدب الأطفال، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1، 2000.
- أشتي، شوكت، القيم الاجتماعية في أدب الأطفال، دار النضال، بيروت، ط1، 1999.
- البتيري، علي، قصيدة الطفل وسماتها الفنية، مجلة أفكار، عدد 82، وزارة الثقافة، عمان، أيلول – تشرين أول، 1986، طيور الحرية، مجلة وسام، عدد1، وزارة الثقافة، عمان، السنة 9، 1999.
- بلعماوي، نهاية، عين الحياة والأسماء الخمسة، دار البشير، عمان، ط1، 1991.
- أبو جادو، صالح، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، 1998.
- أبو الرضا، سعد، النص الأدبي للأطفال «أهدافه ومصادره وسماته» رؤية إسلامية، دار البشير، عمان، ط1، 1983.
- شحاته، حسن، قراءات الأطفال، الدار المصري اللبنانية، القاهرة، ط1، 1989.
- شرايحة، هيفاء، أدب الأطفال ومكتباتهم، دار المكتبات والوثائق، عمان، ط2، 1990.
- الشلبي، محمود، الديك والنهار، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ط1، 1982.

- الطيطي، هاني، غابة حيفا، قدسية للنشر والتوزيع، إربد، د. ط، 1991.
- الظاهر، محمد، قصائد لأطفال الآر بي جي، دار الكرمل، عمان، ط1، 1984.
- العالول، ناديا، مغامرة على الطريق، مجموعة قصصية للفتيان، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط2، 1996.
- العيسوي، عبد الرحمن، معالم علم النفس، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، د. ط، 1979.
- عيسى، راشد، وطني العربي - هيا إلى العربية، دار المنهل، عمان، ط1، 1994.
- غرايبة، هاشم، غزلان الندى، جمعية عمال المطابع الخيرية، عمان، ط1، 2000.
- القاضي، عمر، الأميرة غسق والغول الشرير، دار الينابيع، عمان، ط1، 1992.
- قعوار، فخري، من الفراشة الملونة إلى الطيور المهاجرة، وزارة الثقافة، عمان، د. ط، 1980.
- القيسي، محمد، بيسان واللصوص، مجلة وسام، العدد 59 - 60، وزارة الثقافة، عمان، السنة 9، 1993.
- الكواملة، أحمد، الحجر الأخضر، مجلة وسام، العدد 59 - 60، وزارة الثقافة، عمان، 1993.
- المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، منشورات وزارة الثقافة والفنون، عمان، ط1، 1983.
- أبو مغلي، سميح، دراسات في أدب الأطفال، عمان، ط1، 1993.
- نجم، محمد، فن القصة، دار الشروق ودار صادر، عمان - بيروت، ط1، 1986.

- النوايسة، عبير، أدب الأطفال في الأردن «الشكل والمضمون»، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004.
- النوايسة، نايف، أبو المكارم، قصص للأطفال، منشورات جمعية المزار الجنوبي، المزار الجنوبي، ط١، ١٩٨٠.
- النوايسة، نايف، الأولاد والغرباء، قصص للفتيان، المطابع التعاونية، عمان، ط1، 1996
- الهور، منير، حكاية البحر، مجلة أفكار، عدد 7، وزارة الثقافة والشباب، عمان، آذار، 1982.
- يوسف، آمنة، تقنيات السرد، دار الحوار، سوريا، ط1، 1997.
- يوسف، عبد التواب، شعر الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، 1988.

الصحف والمواقع الإلكترونية:

- مقال بعنوان أدب الأطفال واقعه وآفاقه المستقبلية. 23/ يناير/ 2020، https//www.alquds.co.uk
- كُتاب المقال ناصر شبانة، تغريد النجار، نضال البزم، محمد جمال عمرو، يوسف البري.
- علاء الدين، دينا بدر، أدب الأطفال والفتيان في الأردن، منتدى جياد مقال منشور، صحيفة الدستور الأردنية، 26 يونيو – حزيران، 2022.
- عمايرة، منصور، واقع أدب الطفل في الأردن، صحيفة الرأي الأردنية، https//alrai.com/article/103160 ،2005/5/23

أدب الأطفال في المناهج الأردنية

د. راشد عيسى[1]

ضوء تاريخي:

حفلت مناهج اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم الأردنية منذ الخمسينات بحضور وافر للمواد التعليمية التي تعزّز تعليم العربية في الكتب المدرسية في المراحل التعليمية الثلاث. كما كانت هذه المواد ساعية إلى تحفيز التلاميذ نحو فنون الأدب المختلفة، حيث الأدب وسيط تعليمي عظيم في صقل الأذواق جماليًا من نحو، وفي تنمية المهارات اللغوية المختلفة من نحو آخر. فكانت مادة اللغة العربية موزّعة على مجموعة من الكتب:

- القراءة.
- النصوص.
- القواعد.
- المحفوظات والأناشيد [داخل كتاب القراءة].
- الخط.
- الأدب والنقد الأدبي للمرحلة الثانوية.
- الإنشاء [التعبير] كانت بغير كتاب، وتعتمد على اختيار المعلم للموضوعات.

---

(1) أستاذ الأدب والنقد الحديث، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

ثم قفزت مناهج اللغة العربية قفزة نوعية حين صارت مشتركة مع المناهج السورية. ولكنها أنجزت قفزة كبيرة أخرى في عام 1987م بعد انعقاد المؤتمر التربوي الشامل الذي انبثقت عنه توصيات أثرت إيجابيًا في مخرجات تعليم العربية، حين قام على تأليفها نخبة ممتازة من المؤلفين والمعلمين والتربويين والأكاديميين المختصين. وظهرت عدة محاولات بارزة في إسناد التعليم بالمسرح المدرسي، والدراما عن طريق قسم متخصص فنيًا في إنتاج وتفعيل مواد اللغة العربية لكن التجربة ما لبثت أن تلاشتْ.

ومع عام 2006م تقريبًا تم إنجاز خطوة كبيرة في تحديث كتب اللغة العربية عن طريق رفدها بكتاب مهارات الاتصال بالعربية يتناول المهارات الأساسية [القراءة، الكتابة، التحدث، الاستماع] وهو كتاب يمهد لمثيله الذي يدرس في الجامعات الأردنية منذ عام 1998 كما تم تخصيص كتيّبات إسنادية لنصوص الاستماع. وفي عامي 2006 و2007 تم تقديم برنامج إسنادي رفيع المستوى وهو (محكّات التفكير) يقدم نصوصًا جيدة صالحة لمناقشتها بالأسئلة السابرة المتطورة. ولكن البرنامج لم يستمر.

واستمرت محاولات تطوير مناهج اللغة العربية حتى الآن عبر التعاون مع مركز تطوير المناهج الذي استقل عن مديرية المناهج القائمة ليحمل على عاتقه تأليف كتب اللغة العربية الجديدة. وفي ضوء اطلاعي على مناهج اللغة العربية قيد التأليف رأيت أنها تقوم على معطيات المنهج الجمالي المنفتح على مفاهيم تواكب مستجدات المرحلة كمفاهيم حقوق الإنسان والبيئة والجندرة ومنظومة القيم السلوكية الإيجابية وتقدير الذات وإدارة الوقت، وتقدم اللغة العربية بطرق جاذبة ممتعة. وستخضع الكتب الجديدة لآليات تجريب من التغذية الراجعة التي تعين على استدراك النقص والهفوات وتصويبها بشكل مطرد متواصل، فالآراء التربوية التعليمية متجددة على الدوام. على أن تطوير المناهج وحده سيظل غير كافٍ إذا لم يواكب هذا التطوير اهتمام بليغ بأساليب التدريس. فالمعلم المبدع يسد ثغرات الكتاب.

في مصطلح أدب الأطفال وعلاقته بالمناهج:

لا شك أن أدب الأطفال جزء من ثقافة الطفل، وهو يعني في فنون الشعر [الأناشيد والمحفوظات]، القصة القصيرة، روايات اليافعين. فهذه الفنون متضمّنة داخل كتب اللغة العربية ولا سيّما كتاب القراءة أو النصوص [قديمًا]. ولم يكن مصطلح أدب الأطفال مسْتقلًا في المناهج إنما كان يُدرّس تلقائيًا على أنه جزء من مسار تنمية تعلم اللغة العربية.

غير أن مكتبات المدارس كانت حريصة على اقتناء الكتب الأدبية المناسبة للأطفال كالقصص والأشعار والمسرحيات، فكانت هذه الكتب رافدًا جيّدًا لذوق التلاميذ واستمتاعهم بجماليات التعبير في النصوص الأدبية. ولتغذية معلوماتهم الحياتية في العلاقات الشعورية الإنسانية المختلفة.

ومن الملاحظ أن كتب اللغة العربية القديمة والجديدة حريصة على اختيار النصوص الأدبية من مختلف مراحل تاريخ الأدب العربي. إضافة إلى تنويع النصوص من الدول العربية لكبار الأدباء العرب كعمر أبو ريشة وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وزكريا تامر، والسياب، وفدوى طوقان، والطيب صالح، وإبراهيم طوقان، والزهاوي والرصافي وسليمان العيسى، كما اغتنت كتب اللغة العربية بأدباء أردنيين مثل: حسني فريز، عيسى الناعوري، مصطفى وهبي التل، حيدر محمود، عدي مدانات، حبيب الزيودي، سليمان المشيني، إدوارد عويس، خليل قنديل، خالد الكركي، بسمة النسور، قاسم أبو عين، وإبراهيم العجلوني وغيرهم.

أدب الأطفال بين الإبداع والتربية:

اعتادت وزارات التربية في العالم أن تدرّس النصوص الأدبية للتلاميذ من خلال الكتب المدرسية، ومع ظهور المؤلفات الخاصة من الأناشيد والقصص والروايات والمسرحيات الموجّهة للأطفال، أصبح أدب الأطفال متنازعًا عليه بين أقسام التربية في الجامعات، حيث يُدرس مساق أدب الطفل في أقسام التربية بصفته مادة تربوية تعزز حضوره في كتب اللغة العربية المدرسية. كما حرصت أقسام اللغة العربية في الجامعات على تدريسه بصفته نوعًا من الأدب، وحرصت المؤسسات الأدبية كذلك

على ضمّه إلى فعالياتها وخططها، والسبب في هذا التنازع هو أن الطفل هو الفئة المستهدفة وهو العامل المشترك بين الأدب والتربية.

فالتربية تعنى بأساليب تدريس أدب الأطفال بصفته مصدرًا للتربية بالدرجة الأولى، ومديرية المناهج في وزارة التربية والتعليم تقدم أدب الأطفال ضمن كتب اللغة العربية.

والمؤسسات الثقافية تتناول أدب الأطفال كفن أدبي مستقل فتقيم له الجوائز على غرار مؤسسة شومان، حيث تواكب المؤسسة الاتجاهات العالمية نحو خصوصية أدب الأطفال. فالكتب الفائزة هي أفضل الكتب بالضرورة. ولكن أين هذه الكتب؟ هل هي في متناول الأطفال؟ هل تقيم لها المؤسسة ورشات تقييمية كأن تدعو نخبة من الأطفال وتناقشهم في استيعابها وقراءتها القراءة الفائقة ثم تطبع الكتب وتعممها بالتعاون مع وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم. إن مناقشة الأطفال للأعمال الفائزة هي الإجراء التنموي المباشر لأدب الأطفال في مسارات تعزيزه في نفوس الناشئة. فالطفل صاحب الحكم الأصدق على النص الموجّه له. وهو الفاحص الأكثر صلة بالنص.

أهداف أدب الأطفال:

يتوقع أدب الأطفال من الطفل أن:

- يستمتع بما يقرأ.
- يقضي وقتًا تسْلويًّا نافعًا.
- يتأمل الأفكار المقروءة بحريّة شخصية من الفهم والاستيعاب.
- ينقد المقروء ويُبدي رأيه ويحلل ويصنف ويميز ويربط ويقارن ويستنتج.
- يفكر في النص تفكيرًا إبداعيًا بحيث يستطيع أن يحذف أو يضيف أو يعدّل أو يقترح أو يصدر حكْمًا.
- يحل المشكلات بوجهات نظره.

- يتزوّد بمعارف ومعلومات إضافية في كل ما يتعلق بالحياة.
- ينمي ثروته اللغوية من مفردات جديدة أو أنماط لغوية أو مهارات لغوية متعددة.
- يحبّ اللغة العربية ويقدّرها.
- يقوّي أساليب التعبير لديه.
- يشجّع خياله في التحليق.
- يترنّم بموسيقى الألفاظ.
- يردّد لحن الأنشودة.
- يتأثر بالشخصيات المحبوبة في القصة أو الرواية أو المسرحية.
- يتوقع النتائج من الأحداث.
- يعزز السلوك الإيجابي في المجتمع.
- يمارس القيم الأخلاقية المختلفة من اعتذار، وشكر، والتزام بالنظام، واحترام الآخرين، والمحافظة على النظافة.
- يقدّر ذاته.
- يقيم علاقة سليمة مع أسرته ورفقائه ومجتمعه.
- يحبّ بلاده وينتمي إليها.
- يؤدي مهارات الاتصال الأربع بجودة كافية: القراءة والكتابة والتحدث والاستماع والحوار، فهذه المهارات تسهم في بناء شخصيته وتعده للحياة.
- يتفاعل مع واقعه ورغباته تفاعلًا إيجابيًا.

واقع أدب الأطفال في المناهج الأردنية:

أؤكد أن مفهوم أدب الأطفال في المناهج الأردنية ظل غائبًا من حيث استقلاليته

وخصوصيته، لأنه عاش في كتب اللغة العربية على أنه نصوص أدبية مختارة وواردة لأهداف تعليمية تربوية، وذلك بسبب تأخر استقلالية هذا المفهوم، فلم ينتشر بصورة لامعة إلا بعد عام 1979م عندما نشطت منظمات حقوق الأطفال في يوم الطفل العالمي. فزادت العناية به من لدن أدباء باتوا ينشرون مجموعات شعرية أو قصصية مستقلة عن طريق وزارة الثقافة أو دور النشر الخاصة. وقد بلغت ذروة هذا الانتشار في حقبة التسعينات عندما قدمت وزارة الثقافة مهرجان أغنية الطفل العربي سنويًا في تلك الحقبة فتم إنتاج ما يزيد على مئتي أغنية للأطفال من الشعر الفصيح.

وللحقيقة فإن مسألة إصدار كتب مستقلة من أدب الأطفال في الأردن تعود إلى ما قبل سبعين عامًا حين أصدر حسني فريز بالاشتراك مع عبد الحليم عباس قصة للأطفال وحين أصدر عيسى الناعوري عام 1958م ديوانًا خاصًا من الأناشيد الموجّهة للأطفال أيضًا. أما النصوص الأدبية المتضمنة في الكتب المدرسية فكانت تخضع إلى تقييم نقدي من الأدباء الكبار كروكس العزيزي والناعوري لدراسة ملاءمتها للمرحلة العمرية وللمستوى الفني، ثم تطور هذا التقييم عندما بدأت إدارة المناهج تخصّص لجنة تأليف لكل كتاب في اللغة العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية الأردني في أواخر التسعينات، فتتحمل اللجان مسؤولية اختيارها وهي لجان مكوّنة من نخبة من الأساتذة الأكاديميين ومن المعلمين البارزين.

وهكذا ظل التلاميذ وما زالوا يتلقون الأدب من خلال النصوص الموضوعة في كتب اللغة العربية المختلفة. يُزاد على ذلك ما توفّره المكتبات المدرسية من أعمال أدبية مناسبة لهم. كما اجتهدت إدارة التقنيات التعليمية في المناهج بإنتاج مواد تعليمية مساندة لتفعيل النصوص عن طريق مسرحيتها وإعدادها دراميًا، لكن هذه المديرية اختفت كما أسلفت، وكان من الممكن أن تستمر وتقدّم فعاليات عالية المستوى في تطوير التعليم.

وهكذا فإن أنماط النصوص الأدبية في كتب اللغة العربية ما زالت معتمدة على جهود المعلّم في تفعيل هذه النصوص وفق إخلاصه الشخصي أو فهمه لقيمة هذا الأدب في تنمية شخصية الطفل، وكذلك وفق مهارته في إدارة الأسلوب الفني اللازم لتعليم النص.

فهل كل المعلمين قادرون على تدريس النص الأدبي في الكتاب المدرسي بكفاية فنية معينة؟ وهل الإشراف التربوي مؤهل لتقديم إرشاد فني مناسب يعين المعلمين على تأدية مهامهم التعليمية المرجوّة؟

وللحق فإن النصوص الأدبية الجيّدة موفورة في كتب اللغة العربية بصورة عامة، وحسبي التمثيل بنصوص أدبية لخيرة الأدباء العرب والأردنيين كالسياب وزكريا وتامر والطيب صالح وشوقي ومصطفى وهبي التل، وبنصوص من الأدب العربي القديم للمتنبي وبشر بن أبي حازم.

وهي نصوص لم تكتب خصيصًا للتلاميذ إنما يتم التوقع بأنها تلائم المرحلة العمرية للمستوى التعليمي الذي وُضعت له.

فإدارة المناهج في تعاقب مهماتها تجتهد في توفير هذه النصوص في الكتب من قصص وحكايات وأناشيد وقصائد ومسرحيات وخواطر، لكن الأمر يبقى متروكًا للمعلم وقدراته في تنفيذ المهمة.

فأغلب المعلمين يفتقرون إلى المعرفة الكافية بأساليب تدريس النص الأدبي التي يمكن لها أن تحقق أهداف تدريس الأدب ولا سيّما:

- تذوق النص الأدبي والاستمتاع بجمالياته.
- تقدير جماليات اللغة العربية.
- القيام بالعمليات الذهنية الضرورية كالفهم والتمييز والمقارنة والربط والتحليل وإصدار الحكم.
- تفعيل مهارات التفكير المختلفة وهي جوهر الهدف التعليمي كالتفكير الناقد والإبداعي وحل المشكلات.

إن ما يجري داخل الغرفة الصفية هو أداء تعليمي روتيني رتيب على الأغلب يتضمن قراءة النص ثم توجيه أسئلة معرفية. وقلما يحرص معلم على محاولة تحقيق الأهداف الوجدانية والسلوكية والإبداعية والتذوقية المتعددة. ليس لدى المعلمين معرفة بطرائق تدريس النص الأدبي التي تثير تفكير الطلبة وتنقلهم من

جوّ الحفظ والتلقين إلى جو التفاعل الفكري الناقد وتنمية الشخصية عن طريق الأدب.

التوصيات:

أرى أنه لا يوجد لدينا أزمة نصوص جيّدة من أدب الأطفال وإنما لدينا تقصير وغفلة في أساليب استثمار هذا الأدب للقيم الفنية والسلوكية والوجدانية والمعرفية في بناء شخصية الطفل وتنمية قدراته في ممارسة مهارات الحياة ليكون فنانَ حياة. أو بمعنى آخر كيف تستثمر استمتاع الطفل بالنص لنحقق الأهداف الأخرى!!

أولًا: ما يخصّ أدب الأطفال في المناهج المدرسية:

- إقامة دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية في أساليب تدريس النص الأدبي الموجّه للطفل بتركيز مكثف على محكّات التفكير والتذوق.
- تضمين أدلة المعلمين معالجات نموذجية لنصوص أدبية مختارة يقتدي بها المعلمون ويسترشدون بفنياتها.
- إقامة محاضرات أو ندوات لمعلمين متميزين يقدمون فيها خبراتهم المهمة في هذا المجال.
- تخصيص نماذج خارجية مختارة من أدب الأطفال لتتم مناقشتها كأنشطة إضافية.
- تفعيل المسرح المدرسي عند تدريس النصوص القصصية والمسرحية وإبراز دور الدراما في توصيل جماليات النص والتأثير الانفعالي الإيجابي.
- مضاعفة آليات تشجيع الأطفال الموهوبين في المطالعة والقراءة والتأليف ولفت انتباههم إلى جماليات التعبير بالعربية، لأن الهدف الرئيسي والتلقائي من وجود النصوص الأدبية في الكتب المدرسية هو تعليم اللغة العربية على أفضل وجه بصفتها رمزًا للسان العربي وهوية للمتعلم.

ثانيًا: ما يخصّ مؤسسة عبد الحميد شومان:

استثمار النصوص الفائزة بجوائز المسابقة السنوية. فالهدف الأبرز من هذه المسابقة هو تشجيع الكتاب على إنتاج أدب أطفال متميز. فالفائزون هم الرابحون أضعاف ربح الأطفال من هذه المسابقة. ولكي يتعادل الربح أو يقترب من التعادل فإنني أقترح ما يلي:

أن تقيم المؤسسة بعد إعلان نتائج المسابقة ورشة نقدية تفاعلية للعمل الفائز بالمركز الأول يشترك فيها أطفال الفئة المستهدفة. نريد للأطفال أنفسهم أن يشاركوا في فحص هذا العمل بأفكارهم وانفعالاتهم ومواقفهم. فلجان التحكيم تفرز أفضل الأعمال. أما الأطفال فيقدمون التغذية الحقيقية الراجعة من خلال استجاباتهم المختلفة. فإذا كانت إيجابيات العمل الأدبي فائقة، عند ذلك ينبغي تعميم هذا العمل على مكتبات الأطفال في مدارس المملكة بعد طباعته بالتعاون مع وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم. فالأطفال هم الحكام الأكثر مصداقية، فلجان التحكيم تختار الوجبة المناسبة ولكن الأطفال هم الذين يتناولون الوجبة وهم الذين يستطعمون.

شِعرُ الأطفالِ في الأُردنّ

جُذورٌ تُقاومُ النّسيان وفُروعٌ تَمتدّ

أ. محمد جمال عمرو[1]

مُنذُ البدءِ كانَ الشِّعرُ، ذلك السِّحر الذي تَباهى بهِ العَرب، ورفعوا بهِ الشُّعراءَ المُجِيدِينَ أسيادًا في قَومِهم، إلى أنْ جاءَتْ رسالةُ خيرِ البشرِ محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم، حاملةً إعجازَ التفوّقِ؛ تفوّقِ الذّكرِ الحكيمِ على ما جاءوا بهِ منَ الشِّعر.

وظلّت هذهِ الطّاقةُ المَخزونةُ في الشِّعرِ تُراهنُ على سِحرِها، وتَختَزِلُ بين طيّاتها معانيَ عَميقة، ووقعًا طيّبًا في النّفوس، ووعيًا محمولًا عبر الزّمن، أكّد إنسانيّة الإنسان، وجعلَ في الوجدانِ مكانًا للشعرِ العربيّ والشّعراءِ القُدامى والمعاصرين، في وقوفِنا المُشترك أمامَ أزماتِ الإنسانِ المُتشابِهةِ في كُلّ حالٍ وفي كُلّ حين.

وقد يكونُ في ذلكَ ما يُفسّر كلامَ ابنِ المُعتزّ في نقلِهِ لواقعةٍ، إذْ قالَ ابنُ المُعتزّ: «**قيلَ** لمَعتوهٍ: **ما أحسنُ الشّعر**؟ قالَ: **ما لمْ** يَحجِبْه عن القَلبِ شيْء»[2].

فماذا كانَ منْ شأنِ الشّعرِ والطُّفولةِ؟ وهلْ كانَ الالتفاتُ لهذهِ الفئةِ مُبكرًا أمْ مُتأخِّرًا؟ يُشارُ إلى أنّ العربَ قديمًا في الجاهليّةِ والإسلام، شُغلوا بأمرِ الشّعرِ، وعلّموهُ أبناءَهُم، ووجدوا في ذلكَ أثرًا طيّبًا في أولادِهم، سواء كانوا متعلّمينَ، أو مُتلقّينَ

---

(1) شاعر الأطفال، أردني الجنسية (فلسطينيّ الأصل).

(2) ابن رشيق، القيرواني، الحسن، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، 1955، ص 123.

سَماعًا لهذا الشّعر؛ إذْ رأوا في ذلكَ تثقيفًا للّسانِ، وشجاعةً في القلبِ، وحَضًّا على مَكارمِ الأخلاقِ[1]. **ما تقدّمَ يفتح البابَ** على أهميَّةِ الشّعرِ، ليسَ بكونِهِ نوعًا أدبيًّا يؤدّي مَهمَّةً واحدةً، بلْ لكونِهِ يَجمعُ منَ المَزايا ذاتِ الأثرِ البالغِ والمشهودِ لهُ في تكوينِ الأطفالِ، وسلامةِ نُفوسِهم، وتَطوّرِ لُغتِهم.

غيرَ أنَّ الشِّعرَ المُقدَّمَ للأطفالِ بمَفهومِهِ حَديثًا، والعِنايةَ بهِ، لمْ يكُن مَعروفًا كَما هوَ على وجهِهِ اليَوم، بلْ إنَّ ما يُمكنُ قولُه إنّ الاهتمامَ في هذا الباب كانَ مَحدودًا.

وقد التُفِتَ قديمًا لشِعرِ الأطفالِ، وكانَ الشِّعرُ مادّةً للمُعلّمينَ والمُؤدِّبينَ، واستُعملَ الشِّعرُ أيضًا في الغِناءِ وهَدهداتِ الأطفالِ، بلْ إنّ كثيرًا منَ المَصادرِ تُعيدُ الشِّعرَ لِعُصورٍ قَديمَةٍ، يَمتدُّ فيها عَميقًا في الزَّمانِ لقُرونٍ، عبرَ التَّرنُّم في الغِناءِ بالكَلامِ المَوزونِ لِلأطفالِ لتَنويمِهم، وتَهدئتِهم[2].

ولمّا كانت مادّةُ الشّعرِ هيَ اللُّغةُ في تَشكيلِها الخاصّ، فإنّنا- لا شكَّ- نَعي أنّ اللُّغةَ هيَ «أحدُ وسائلِ النُّموّ العَقلي، والتّنشئةِ الاجتماعيّةِ، والتَّوافقِ الانفعاليّ، وهوَ مَظهرٌ قويٌّ منْ مظاهر النمو الحسي والحركي»[3]. وذلك يُرتّب على شاعر الطفولة مسؤوليّة جسيمة فيما يتوجّب عليه أن يقدّمه للطفل.

فما خصائص هذا الشعر المكتوب للأطفال؟ تقول جوان آيكن: «**إنه أمر اختلف عليه الناس، ما إذا كان من المُتَعَيَّن** – من الأساس- أن يُكتَب شعرٌ خصيصًا للأطفال. وإذا سُئلَ السادة «هيوز» و«كوزلي» **و**«ماكجوف» **سيقولون بغير** شكّ، إنّهم كتبوا هذه الأشعار ليس للأطفال، وإنّما لأنفسِهم»[4].

ولا يمكن فصلُ الحديثِ عن شعر الأطفال في الأردن، عن بدايتِه في أقاليمَ

---

(1) عمار قرايري، مرجعيّة ثقافة الشاعر وتكوينه من خلال كتاب العمدة لابن رشيق، **مجلة العلوم الإنسانية**، مج 32، ع 4، ديسمبر، 2021، قسنطينة، ص310.

(2) انظر: أبو السعد، أحمد، **أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1982، ص21.

(3) المشرفي، انشراح، **أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية**، مؤسسة حورس الدولية، 2005، ص7.

(4) جوان أيكن، **مهارات الكتابة للأطفال**، تر: يعقوب الشاروني وسالي رءوف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص155-156.

مُجاورة، كما لا يمكنُ الحديثُ عن الشعرِ بمعزِلٍ عن الحديثِ عن أجناسِ التعبيرِ الأُخرى؛ فقد اختلطَ الإنجازُ الأدبيّ لدى عددٍ من الكُتّاب، فكانَ أن لجؤوا لشعرِ الأطفال مرّةً في التوجّهِ لهذا الجمهور العزيز، وللكتابةِ النثريّةِ مرّةً أُخرى، ونقفُ لدى البدايةِ في أدبِ الطُّفولة.

أدبُ الطفلِ العربي.. البداية:

مع إطلالةِ العصر الحديث، وفي عهد محمد علي باشا، نشأ أدب الأطفال – عربيًّا – في مصر، حين أصدر رفاعة الطهطاوي قصصَهُ المترجمة «حكايات للأطفال»، و«عُقلة الإصبع» وغيرها، فكان لمصر قصبُ السبقِ في هذا الميدان، ثم تزايد الاهتمام بأدب الأطفال، وظهر من الكتاب والشعراء من تولاه بالعناية أمثال: أحمد شوقي، وعلي فكري، ومحمد الهراوي، وكامل كيلاني[1].

يقول شكري عيّاد في بحثٍ له بعنوان: حول أدب الأطفال[2]: «في التاسع من سبتمبر سنة 1959م مات بيننا رجلٌ وقفَ عمرَه كلَّه على أدب الأطفال، ولم يكُن في ذلك رائدًا فحسب، بل كان رائدًا وبنّاءً صبورًا، لم يمُت حتى بلغ بالمكتبة التي وضعها للأطفال والناشئة قرابة مائة وخمسين كتابًا. ولم ينصرف كامل كيلاني إلى أدب الأطفال عجزًا عن أدب الكبار، فقد كان أديبًا راسخ القدم بمقاييس زمانِه بل بمقاييسِ هذا الزمان: كان مُتمكنًا من العربية وآدابِها، حَسَنَ الإلمام بالآداب العالمية، حسنَ الذوق متنوعَ الثقافة رائقَ الأسلوب، ولكنه آثرَ أن يرتادَ ميدانًا جديدًا للمكتبة العربية على أن يسيرَ في الدروب المطروقة».

بعد مصر انتقل الاهتمام بأدب الأطفال إلى أرجاء الوطن العربي، فنشأ في سوريّة من خلال المدارس حين أصدر الشاعر عبد الكريم الحيدري ديوانه: «حديقة الأشعار المدرسية»، وتبعه الأستاذ نصرت سعيد فأصدر في الأربعينيات ديوانه: «أغاني الطفولة»، وأصدر الدكتور جميل سلطان وأنور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني كتاب: «الاستظهار المصور»، كما أصدر عادل أبو شنب مسرحية: «الفصل الجميل»،

(1) محمد جمال عمرو (مشارك)، المدخل إلى أدب الأطفال، دار البشير، عمان، 1990م، ص18.
(2) شكري عياد، الأدب في عالم متغير، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971م، ص173.

وصدر للشاعر الفلسطيني أبي سلمى عبد الكريم الكرمي ديوان: «أغاني الأطفال» في دمشق سنة 1964م، إلى أن برز الشاعر سليمان العيسى بشكل واضح في ميدان الكتابة للأطفال، فأصدر لهم سنة 1971م مسرحية: «النهر»، ثم ست مسرحيات غنائية سنة 1973م، وأصدر «أناشيد للصغار» سنة 1977م. ثم: «غنّوا أيّها الصغار»، وتوالت الأعمال الموجهة للأطفال من كتب ومجلات.

أما في العراق فقد صدرت مجلة: «التلميذ العراقي» سنة 1922م، وكان من كُتَّابِها: روفائيل بطي، عبد الرزاق الحسني، الشيخ محمد رضا الشبيبي، الشيخ مهدي البصير، والعلامة مصطفى جواد، وفي سنة 1924م صدرت مجلة: «الكشاف العراقي»، وبعدها توالى الاهتمام بأدب الأطفال، فشهدت سنة 1969م صدور مجلة: «مجلتي» الأسبوعية، فكانت نواة لدار ثقافة الأطفال التي تأسست في السنة نفسِها وأثرَت مكتبة الطفل العربي بفيض رائع من الأعمال الأدبية.

الأوائل.. الجذور:

بدأت محاولات تقديم أدب الأطفال في الأردن وفلسطين منذ سنة 1928م، على يد الأساتذة: إبراهيم البوراشي، وإسكندر الخوري، وإسحاق موسى الحسيني، وراضي عبد الهادي، وعيسى الناعوري، وروكس بن زائد العزيزي، وعبد الرؤوف المصري، وحسني فريز، وفايز علي الغول، وإبراهيم القطان، وأحمد العناني، ويوسف العظم، وهذه الكوكبة من الرواد تمثلُ جذورَ أدب الطفل في الأردن وفلسطين.

توالت محاولات الكُتّاب والمربّين في الأردن وفلسطين لإنتاج أدب الأطفال، وبرز عدد من الكتاب والشعراء الذين تخصصوا في إبداعِ هذا اللون من الأدب، وأتقنوا فنونه، وامتلكوا أدواتِه، فحازوا الجوائزَ المحلية والعربيَة، وأثمرت أقلامُهم ثمراً طيباً اختلفت ألوانه وتكاثرت أعداده، ليُسهم في تثقيف الجيل الواعد، وليَسُدَّ نقصًا كبيرًا في مكتبةِ الطفل، وليحتلَّ مكانةً مرموقةً إلى جانب أدب الطفل العربي في دول مشارقِ الوطن ومغاربِه، إذ تنبه كُتَّابها ومربوها إلى أهمية أدب الطفل قبل أن يتنبه إلى ذلك كُتّابنا ومربُّونا روادُ أدبِ الطفل في الأردن وفلسطين[1].

---

(1) محمد جمال عمرو، مقدمة ثبت منتقى من أدب الأطفال في الأردن، إعداد: محمد بسام ملص، منشورات مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، عمان، 2006م، ص5.

شعرُ الأطفالِ في الأردن:

حظيَ الأردن بشعراء أولَوا قصيدة الطفل عناية فنية وغنائية إيقاعية مميزة، فجاءت قصائدُهم حافلة بشفافية الكلمة، وشعرية الصورة، وجمالية الإيقاع الموسيقي، الذي يستند إلى أوزانٍ وتفعيلات خفيفة راقصة، تنسجم مع مضامين شعر الأطفال، ما جعل الغنائية في شعرِهم نابعة من صميم النص، وليست غنائية شكلية خارجية، وهذه الغنائية تشكل في القصيدة بناء عضويًّا متكاملاً، يؤالفُ بين شكل النص ومضمونِه في سياقاتٍ إيقاعية تُحققُ المُتعةَ والفائدة، وتُساعدُ الأطفال على حفظِ النصِّ الشعري واستظهارِه[1].

ومن الذينَ كتبوا شعرَ الأطفال: يوسف العظم، حسني فريز، كمال رشيد، علي البتيري، محمد جمال عمرو، راشد عيسى، محمد الظاهر، محمود الشلبي، نبيلة الخطيب، مصلح النجار، ناصر شبانة، يوسف حمدان، يوسف الغزو.

يؤرخ الكاتبُ والشاعر بيان الصفدي في كتابهِ المُهم للتجارب الشعرية في البلاد العربيّة، ويرى أنّ انطلاقةَ الكتابة في شعرِ الأطفال في التجربة الأردنيّة الفلسطينيّة كانت من عند إبراهيم البوراشي عام 1928، في «مجموعة الأناشيد المدرسيّة» بحُكم كونِه أوّل عمل مُدوّن للأطفال. ثم ظهرت بعد ذلك مولّفات ومجاميع شعريّة من مصادر قديمة وحديثة في جهد كلّ من إسكندر الخوري في «الطفل المُنشد»، و«أغاريد الطفولة» لعبد الحفيظ أبي نبعة، و«أغاني الطفولة» لجاك سليم، و«الزنابق» لروكس بن زائد العزيزي، و«البستان» لإسعاف النشاشيبي، و«أغاني الأطفال» لعبد الكريم الكرمي[2].

ثم يُشير إلى كُتّاب آخرين لمعت أسماؤهم في حقول الكتابة للكبار، ومنهم: محمد القيسي، وهارون هاشم رشيد، وإبراهيم نصرالله، ومحمود الشلبي، ويوسف حمدان، ووداد قعوار، ومحمد الظاهر، وعلي البتيري وغيرهم[3]. أُضيفُ إلى هؤلاء

---

(1) د. إبراهيم صبيح، **أدب ومسرح الطفل في الأردن**، تحرير: باسم الزعبي ومحمد جمال عمرو، وزارة الثقافة، عمان، 2002م، ص23.

(2) الصفدي، بيان، **شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة تاريخية نقدية**، ص249.

(3) انظر: المرجع السابق، ص 249.

أسماء شُعراء أعطوا للطّفولة وحازوا الجوائزَ منهم: راشد عيسى وناصر شبانة، وسواهما.

ويحسُنُ بنا هنا أن نقف عندَ بعضِ أعلام الشعر من الروّاد لِنذكرُ منهم إسكندر الخُوري البَيتجالي.. وهُوَ أحدُ أعلام الفِكرِ والأدبِ في فِلَسطين، وأحدُ رُوّادِ الشِّعرِ القَصَصِيّ، نَظَمَ كثيرًا مِنَ الأناشيدِ الوَطَنِيَّة، وأَثرى المكتبةَ بالرَّوائعِ الشِّعريَّةِ والرِّوايات. أتقنَ العَرَبِيَّةَ، والإنجليزيَّةَ، والتُّركِيَّةَ، والفرنسيَّةَ، واليونانيَّةَ، والرُّوسيَّة. وُلِدَ في بيت جالا – مُحافظة بيتَ لَحم قُربَ القُدسِ، عامَ ألفٍ وثمانمئةٍ وتسعينَ ميلاديّة.. وتلقّى دِراسَتَهُ في بيت جالا وبَيتَ لَحْم والنّاصِرة، وتَخَرَّجَ في الكُلِّيَّةِ البَطرِيَركِيَّةِ للرُّوم الكاثوليكِ في بَيروتَ، حَيثُ درسَ اللُّغةَ العربيَّةَ وآدابَها، ثمَّ دَرَسَ القانونَ في معهدِ الحُقوقِ في القُدس. عَمِلَ مُديرًا لِمَدرَسةِ الكركِ الأرثوذكسِيَّة، ثمَّ مُعلِّمًا للُّغةِ العَرَبيَّةِ والفرنسيَّةِ في مَدارِسِ القُدسِ المُحتلَّة، كَتَبَ الشِّعرَ في حَداثَتِه، ونَشَرَهُ في الصُّحفِ اللُّبنانِيَّة، وزارَ القاهرةَ وتعرَّفَ على أدباءِ مِصرَ، ونشرَ إنتاجَهُ الأدبيَّ في صُحُفِ القاهرة.

أثناءَ الاحتلالِ البريطانيّ لِفلَسطينَ عَمِلَ في سلكِ القضاءِ رئيسًا لكُتّابِ محكمةِ الاستئنافِ، ثمَّ قاضِيًا للصُّلحِ. وبعدَ نكبةِ فِلَسطين عامَ ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانية وأربعين عَمِلَ مُستشارًا قانونِيًّا للصَّليبِ الأحمرِ في القُدسِ والخليل، ثمَّ مُفتِّشًا لِمدارسِ وكالةِ الغوث. تُوُفِّيَ في بيت جالا عامَ ألفٍ وتسعمئةٍ وثلاثةٍ وسبعين، وتَرَكَ إرْثًا ثَقافيًّا زادَ على العشرينَ كِتابًا، بَينها عَشرَةُ دَواوينَ شِعرِيَّةٍ وسَبعَةُ مُؤلَّفاتٍ أَدَبِيَّةٍ، وثلاثةُ أعمالٍ مُترجَمَةٍ. ومِنْ مؤلَّفاتِهِ لِلأطفال: (الطِّفل المُنشِد)، وهيَ أناشيدُ للصِّغارِ، و(المَثل المنظُوم)، وهيَ قَصائدُ على ألسِنَةِ الطَّيرِ والحيوانِ.

ومنْ أشعارِهِ التي يدعو فيها إلى الوحدةِ الوَطَنِيَّة:

لا لنْ تنالَ منَ اتِّحادِ.. المِلَّتينِ يدُ الفِتَنْ
كُنَّا وما زِلنا كما.. كُنَّا فِدى هذا الوطنْ
قبلَ المسيحِ وأحمد.. كُنَّا وما زِلنا عرَبْ
لا دينَ يجمُعنا سِوى.. دين المحبَّةِ والنَّسَبْ

وإلى نموذج آخر، نقفُ فيهِ عندَ شاعر الأقصى يوسف العظم، الذي يُعدُّ من

أبرزِ المُهتمّينَ بأدبِ الأطفالِ وشعرِهم. ولدَ في مدينةِ معان عام 1931، وفيها درسَ المرحلتينِ الابتدائيّةَ والثّانويةَ، ثمَّ التحقَ بكليّةِ اللغةِ العربيّةِ بجامعةِ الأزهرِ، وتخرّجَ فيها عام 1953، ثمّ التحقَ بمعهدِ التّربيةِ للمُعلّمينَ بجامعةِ عين شمس، وتخرجَ فيهِ عام 1954 .

بدأ حياتَهُ في مجالِ التّدريسِ في الكليّةِ العِلميّةِ الإسلاميّةِ، ودرسَ فيها الثّقافةَ الإسلاميّةَ واللغةَ العربيّةَ، وأسّسَ فيما بعدُ مدارسَ الأقصى التي تعدُّ منْ أوائلِ المدارسِ الخاصّةِ في عمّان. انتُخبَ عضوًا في المجلسِ النّيابيّ في الأعوامِ 1963 و1967 و1989 وعملَ وزيرًا للتّنميةِ الاجتماعيّةِ.

اهتمَّ بالقضيّةِ الفِلَسطينيّة، وكانت فِلَسطين شُغلَهُ الشّاغلَ ومِحورَ اهتِمامِهِ، ونظَمَ لها قصائدَ عدّة، وخصّ المسجدَ الأقصى بأحدِ دواوينِهِ الشّعريّةِ بعُنوان: (في رحابِ الأقصى)، ولُقّبَ بـ «شاعرِ الأقصى».

كانَ طُموحُهُ مُنذُ طُفولتِهِ أنْ يكونَ مُربيًا ناجِحًا، وقدْ تحقّقتْ أُمنيتُهُ بعملِهِ في مجالِ التّعليمِ وإسهامِهِ في وضعِ مناهجَ خاصّة برياضِ الأطفالِ بتكليفٍ مِنْ وزارةِ التّربيةِ والتّعليمِ، كما أسهمَ في وضعِ مناهجِ التّربيةِ الإسلاميّة.

صدرَتْ لهُ مجموعاتٌ قصصِيّةٌ عدَّة، وكُتبٌ في الأدبِ والفِكْر، واعتنى بالتّأليفِ للفِتيانِ والفَتياتِ، وكتبَ لهُم شِعرًا يُعدُّ مِنْ أجملِ ما كتبَهُ شُعراءُ جيلِهِ، ومِنْ كُتبِهِ في هذا المجالِ: أناشيد وأغاريد للجِيلِ المُسلِم، وبراعِمُ الإسلام، وأدعيةٌ وآدابٌ للجِيلِ المُسلِم، وأخلاقُ الجِيلِ المُسلِم، وألوانٌ مِنْ حضارةِ الإيمان، وديارُ الإسلامِ للجِيلِ المُسلم، وقِصّةٌ مُترجمةٌ إلى اللغةِ الفرنسيّةِ. وقدْ تُرجِمتْ بعضُ أعمالِهِ التّربويّةِ إلى الإنجليزيّةِ والفرنسيّةِ والتّركيّةِ.

ومن شعره للأطفال، قصيدة بعنوان: «اللهُ ربّي» يقولُ فيها:

إنْ سألتُمْ عَنْ إلهي
فهوَ رحمنٌ رحِيمْ
أو سألتُمْ عَنْ نبيّي

فهوَ إنسانٌ عظِيمْ

أو سألتُمْ عَنْ كِتابي

فهوَ قُرآنٌ كريمْ

أو سألتُمْ عَنْ عدوّي

فهوَ شيطانٌ رجِيمْ

ومنْ شاعرِ الأقصى نَجدُنا أمامَ شاعرٍ كتبَ للصّغارِ والكبارِ، هو شاعرُ القدس علي البتيري، الذي ولدَ في بتير- بيت لحم 1945م، ويحملُ دبلوم معهد المعلمين/ العروب عام 1964.

عمل منذ تخرجه في التربية والتعليم حتى تقاعد عام 2000، ثم عمل في مجال المكتبات العامة وصحافة الأطفال، كتب العديد من المسرحيات للأطفال، بالإضافة إلى كتابته (أوبريت عمّان).

وله مؤلفات منها: «لوحات تحت المطر» (شعر) عمان: المطبعة الأردنية، 1973م، و«المتوسط يحضن أولاده» (شعر) بغداد: وزارة الإعلام والثقافة 1981، و«لماذا رميت ورود دمي؟» (شعر) اللجنة الوطنية لإعلان عمان عاصمة للثقافة العربية، 2002، و«شبابيك أتعبها الانتظار» وزارة الثقافة، عمان، 2004.

ودواوين شعر للأطفال، منها: «القدس تقول لكم» عمان: رابطة الكتاب الأردنيين، 1983، و«أطفال يكتبون الرسائل» عمان: دار ابن رشد، 1984، و«فلسطين يا أمي» عمان: دار الكرمل، 1986، و«صوت بلادي» عمان: مطبعة الصفدي، 1990، و«الحروف الهجائية» عمان: دار يمان، 1992، و«الجد والأحفاد» عمان: دار يمان، 1992، و«شيخ فلسطين» عمان: دار البشير، 1997، و«العصفور الغريب وحكايات أخرى»، و«مهند يرفع العلم» عمان: دار يمان 1998 .

ومن أشعاره للأطفال قصيدةٌ بعنوان: لِمَدارسِنا عُدْنا، يقولُ فيها:

عُدْنا عُدْنا لِمَدارِسِنا

لِمَقاعِدِنا ومُدرِّسِنا

عُدْنا لِلدَّرسِ ولِلمَقعَدْ
بِمَدارِسِنا الحُلوَةِ نَسعَدْ
نَنهَلُ عِلمًا نَجني أدَبا
ولِمَجدٍ نَنشُدُهُ نَصعَدْ
رُحْنا نَعدو بِحَقائِبِنا
لِمَدارِسِنا لِمَلاعِبِنا
نَسعَى شَوقًا لِمُعَلِّمِنا
لِمُربّينا ومُهَذِّبِنا
ما أحلَى اليَومَ تَلاقينا!
فاليَومَ تَلاقَى الأصْحابْ
أدواتُ العِلْمِ بِأيدينا
مِبْراةٌ قَلَمٌ وكِتابْ
ما أحلَى العَودَةَ لِلدَّرسِ!
لِلمَدرَسَةِ اشتاقَتْ نَفسي

فروعٌ تمتدّ

باتت الكتابة للأطفال مدارًا للتجربة لدى كثيرين، وهو ما يحمل بين طيّاته خطرًا داهمًا يتهدّد قيمة ما يمكن أن يقدّم لهذه الفئة؛ فالأعمال التي تصدر لا تخضع للتقويم أو النقد، بل إنها تجد طريقها مباشرة لأيدي الأطفال.

ما سبق من استسهالِ البعض للكتابة للطفل، لا ينفي وجود أقلام أردنيّة شابّة يمكن المراهنة عليها، والوقوف لدى مشروعها الأدبيّ، ومن هذه الأقلام الشاعرة الدكتورة إيمان عبد الهادي، والدكتور لقمان الشطناوي.

وكلا الكاتبين يأتيان من حقل الأكاديميا، وقد حازا درجة الدكتوراه في اللغة العربيّة، كلّ في مجاله. وقد نجد في ذلك انطلاقة من نقطة إدراك متطلبات هذا المشروع، وفهم لما يترتّب على الكلمة التي تُقال وتقدّم للطفل.

أما إيمان محمّد عبد الهادي، فقد ولدت في عمّان 1982، وحصلت على الدّكتوراه في الأدب والنّقد الحديث من جامعة اليرموك بتقدير امتياز. عمِلت رئيساً لقسم النّشر والفعاليات الأدبيّة في الدّائرة الثّقافيّة/ أمانة عمّان الكبرى، وقدّمَت برنامجاً حواريّاً ثقافيّاً على إذاعة هوا عمّان، وتعمل أستاذاً مساعداً في الأدب والنّقد الحديث جامعة الزّيتونة الأردنيّة. شاركت في عديد المهرجانات والأمسيات الشّعريّة والمؤتمرات الأكاديميّة، وحصلت على عدّة جوائز أدبيّة منها: جائزة وزارة الثّقافة الأردنيّة، وجائزة سواليف، وأسرة أدباء المستقبل، وبيت الشّعر الأردني، ومسابقة القدس، وجائزة الشّارقة التي كرّمت عشرة شعراء شباب من الأردن، وجائزة راشد بن حمد الشّرقي للإبداع/ حقل أدب الأطفال 2020، وجائزة برنامج أمير الشّعراء في الموسم الخامس.

شاركت في تحكيم المسابقات الشّعريّة وتنظيم المهرجانات. عضو رابطة الكتّاب الأردنيين وعضو جمعيّة النّقّاد الأردنيين، عضو رابطة الأدب الإسلامي. صدر لها ديوان «فليكن»، وكتبت في مجال قصصِ الأطفال، ومسرحيّةِ الأطفال، ولها أعمالٌ مخطوطة.

وإلى جانب خوض غمار تجربة الكتابة، ونيل الجوائز والمنافسة عليها، تقدّم إيمان عبد الهادي كلمتها في الشعر للأطفال، فتقول في إحدى قصائدها احتفاءً بعرار شاعر الأردنّ:

كانَ عرارْ

ولدًا في عُمرِ الأزهارْ

لمّا أبصرَ وجهَ الشِّعرْ

يَخفِقُ في مِرآةِ النَّهر

وتقترب الشاعرة في هذه الأبيات من أسطورة نرسيس حين رأى وجهه الجميل

في صفحة النبع، فافتُتِن فيه. وكذا افتتن عرار بالشعر، حتى أخذه كما أخذ نرسيس، فكان أوّل فِتنَتِه وعنوانَ شقائه وانتهائه.

واستعمال الألفاظ في أبيات إيمان عبد الهادي والصورة المشهديّة، تأخذنا في البعيد إلى عرار الولد الصبيّ الذي قد يرى فيه الأولاد اليوم صورة عن أنفسهم، وكيف غدا شاعرًا مُهِمًّا يقرؤون شعرَهُ في المناهج المدرسيّة والكتب والدواوين.

وقد تكون فتنة الشعر هذه هي التي تسحب الشعراء إلى دوّامتها، حتى يخسروا معها ربما بإرادتهم وبغير إرادتهم القدرة على الصمت، أو ترك الكلام. فالشاعر من خلال الشعر يراجع نفسه وعالمه، وقد يحصل هذا أيضًا للشعراء حين يكتبون للأطفال. ومن مجموعة «أجنحة الورد» الفائزة بجائزة راشد بن حَمَد الشّرقي لأدب الأطفال للعام 2020، تقول إيمان عبد الهادي في قصيدة لها بعنوان «فوق سطح الخيال»:

سنبني على الرّملِ بيتَ الصَّدَفْ
أنا وعُلا ورؤى ورهَفْ

وأرفعُ وحدي نجومَ السّماءِ
فتسقطُ واحدةٌ للأسفْ!

سأقطِفُ غيماً: فِراشَ سريري
وأكمِلُ حلْماً من المنتصفْ

غصونُ «الصّنوبَرِ» تحمِلُ كوخي
الصّغيرَ، المُطِلَّ على المنعطَفْ

أنامُ بهِ فأرى أرجلي...
تطولُ... وخطوي البطيءَ يَخِفّ

فـــأركـــضُ خـــلـــفَ الـنّـســيـــمِ الـلـطـيـفِ
ولا أتـــــوقّـــفُ حـــــيـــثُ يَـقِـــفْ!

وأَصـــنـــعُ لـــــغـــزاً، وأَجـــمَـــعُ كـــنـزاً
قـــراصـــنـــةً بـــحـــــرُهُـــم قـــد عَـصـــفْ

أحـــــاولُ إنـــــقـــــاذهـــم والـسّـفـيـنـةُ
لـــلـــقـــاعِ تـــأخـــذُنـــــــي... تـــنـــجـرِفْ

أرى ضـــفـــدعـــاً لا تـــشِـــفُّ الـبـحـيـرةُ
عـــن لـــونِـــهِ الأخـــضـــرِ الـمـخـــتـلِـفْ

فـهـل جـــلـــدُهُ صـــارَ عـشـــبـاً وشـمـســاً!
ومـــلءَ (نـقـيـقِ الـمـيـاهِ) اغـــــتَرَفْ!

تـــــــراءى لـــــه خـــــاتـــــمٌ ذَهـــبـــيٌّ
فـــمـــدَّ الـــلـــســـانَ لـــــهُ وقَـــطَـــفْ

فـــصـــارت ضـــفـــافُ الـــمـــيـــاهِ رخـــامـــاً
ومـــاءُ الـبـحـيـرةِ صـــــــارَ خَـــزَفْ!

ولـــم أســـتـــطِـــعْ فـــي الـــجـــمـــادِ الـعـبـورَ
ولـــم أنـــقِـــذْ الـــخـــاتَـــمَ الـمُـخـتَـــطَـفْ

تـــــرى... مـــا تـــــزالُ الأمـيـــــرةُ تـبـحـــــثُ؟
أم نـسـيـــــتْ بـــحـثَـــــهـــا فـــي الـــتّـــرَفْ

ومـــــن (آلـــــةِ الـــوقـــتِ) حـــيـــــن أَعـــــــودُ
تـــــرى هـــل إلـــــى والـــــــدي أعـــــــتـــرِفْ؟

أريـــــــــدُ الـــــذّهـــــــابَ إلـــى الأمـنـيـاتِ
وأن أتـــــــعـــــــلّـــــمَ كـــلَّ الـحِـــــــــرَفْ

وأن أدخـــــــــلَ الـقـصـصَ الـعـالـمـيـةَ
أفـتـــــــحَ فـــــي الـقـصـرِ كـــلَّ الـــغُـــرَفْ

وأكـــــــشـــفَ آثـــــــــــارَ مـــــن سـبـقـونـي
وأتـــــــركَ سِـــــــــرِّي لـــــــمـن يَـــكـتـشِـفْ

أرى الـــسِّـــرَّ مُـخـتـبِـئـاً فـــي الـــظِّـــلالِ
فـــــإنَّ حـــلَّ فـيـــهِ الـــشّـــعـــاعُ انـــصـــرَفْ!

ســـــأوقِـــــدُ شـــمـــسَ الـــــــذي سـيـجـيءُ
وأطـــــفِـــــئُ عـتـمـــةَ مـــا قَـــــدْ سَـــلَـــفْ

أنـــا فـــي الـــخـيـــالِ... أنـــا فـــي الـحـقـيـقـةِ
بـــنـــتُ الـــجـــمـــــالِ وبـــنـــتُ الـــشَّـــغـــفْ

تأخذ إيمان عبد الهادي الأطفال معها في رحلة في الخيال، ونجد تحيُّزها هنا للفتيات، في صحبة ثلاث بنات. لكن اللافت في هذه القصيدة هي أنّ الكاتبة لا تجعل الحلم مكتملًا ومثاليًّا، لأنّ الواقع ليس كذلك. كأنها تقول لا بأس إذا سقطت نجمة، ولا بأس إذا لم يأتِ الواقع مُشابهًا للأحلام التي تخيّلناها، فيكفي أن نتخيّل.

والقصيدة مليئة بالصور والحركة والخيال؛ واستعارة الحكايات وتكثيفها، والتمثيل بها على الأمنيات، واستدعاء قصة الأمير الضفدع، والأميرة التي قد تكون نسيته، والأحلام التي ستكملها من المنتصف، إذ لا وقت للانتظار طويلًا، ولا بُدّ من تجاوز الخيبات.

وماذا يعني إذا أنقذت القراصنة؟ وهل تُحَدِّثُ والدها عن آلة الزمن والرحلات التي خاضتها، وأرجلها التي استطالت وتدلّت من كوخ فوق شجرة الصنوبر. يمكن أن تكون هذه القصيدة تمرينًا لخيال الأطفال.

ومنَ الفروعِ التي امتدّت في فضاءِ شعرِ الأطفالِ في الأردن، لقمان شطناوي، المولود سنة 1974م. حاز دكتوراه اللغة العربية من جامعة مؤتة 2004م، وهو يعمل في وزارة التربية والتعليم/ الإمارات العربية المتحدة.

عمل محررًا في مجمع اللغة العربية بالشارقة (عضو فريق تحرير المعجم التاريخي للغة العربية)، ومحاضرًا غير متفرغ في جامعة البلقاء التطبيقية سابقًا.

من مؤلفاته وإنجازاته: «الرمز في الشعر الأردني الحديث» (دراسة نظرية وتطبيقية)، عمان، الأردن، أمانة عمّان، 2006، «الملك المؤسس عبد الله بن الحسين حياته وشعره»، (1882 – 1951) وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، 2007م، تحقيق كتاب «جمهرة العرب» (سير العرب وقصصهم وحروبهم في الجاهلية)، لأبي زيد عمر بن شبه، إربد، الأردن، 2013، ديوان «نسائم الطفولة» (شعر للأطفال) دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة 2013، ديوان «أناشيد الضياء» (شعر للأطفال) جائزة خليفة التربوية/ التأليف التربوي للطفل – أبو ظبي 2016، مسرحية «القرية والوحش»، دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة 2017، ديوان «مواسم الغياب»، دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، عمّان، 2021، ديوان «نفح الأزاهير» (شعر للأطفال) دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة، 2021م.

ومن أبرز إنجازاته وأعماله: عضو رابطة الكتاب الأردنيين، واتحاد الكتاب العرب، عضو اتحاد الكتّاب والصحفيين العرب – فرنسا، عضو لجنة تحكيم في مسابقة تحدي القراءة العربي وفي مسابقة حكماء الأمة الشعرية ومسابقة كُتّاب الخمسين، عضو فريق (اللغة العربية) في وزارة التربية والتعليم بالإمارات، وعضو فريق إعداد ومراجعة وتصحيح الاختبارات الدولية والمحلية، وعضو الاتحاد الدولي للغة العربية منذ عام 2020، وعضو الاتحاد العالمي للأكاديميين ورواد العلم (العرب والناطقين باللغة العربية) عام 2020م، وعضو أكاديمية سفراء السّلام الدولية ومنظمة الاعتماد الدوليّة JAO، ونشرت مجموعة كبيرة من قصائده في مناهج اللغة العربية في عدد من الدول العربية، وهو حاصل على وسام وقلادة السّلام وعلى لقب (سفير سلام دولي)، وجائزة الشارقة للإبداع العربي بالشارقة/ الإمارات، دائرة الثقافة والإعلام، الدورة 17 – 2014م، وجائزة القصيدة الوطنية، المركز الأول، عجمان/ الإمارات، دائرة الثقافة، 2013م، وجائزة خليفة التربوية في التأليف التربوي للطفل/ جائزة خليفة، أبو ظبي/ الإمارات، 2015 – 2016، وجائزة الشارقة للتأليف المسرحي، الشارقة/ الإمارات، دائرة الثقافة والإعلام، 2016 – 2017م.

ومن أعماله للأطفال، قصيدة «الكِتاب» المنشورة في ديوانه «أناشيد الضياء»، يقول فيها:

أعـزُّ الصِّحاب عليَّ الكتابْ ففيهِ وجـدتُ الهنا والرَّغابْ

فـكَـمْ مـن حـديـثٍ بـهِ لَـذّةٌ وكمْ قِصةٍ تروي أمـراً عُجابْ

وكـمْ مـن عـلـومٍ بها أرتـوي وتدفعُ شكّي بعينِ الصّوابْ

وكـمْ من حُـروفٍ بها سُطّرتْ قصائدُ تُحيي النُّفوسَ العِذابْ

به يُكشفُ الكونُ في صَفحةٍ لكلِ سـؤالٍ لـديـهِ الـجـوابْ

أعـزُّ صـديـقٍ لـديَّ الكتابْ يـداوي أساي بوقتِ الصّعابْ

ويسهرُ قربي ليؤنسَ نفسي ويبعدَ همّي إذا الكلُّ غابْ

فـنِـعـمَ الأنـيـسُ لـه هيبةٌ صَديقٌ صـدوقٌ عزيزُ الجَنابْ

كـريـمُ الـمـقـامِ لـهُ حُـظـوةٌ ومن لا يواليه في العلمِ خَابْ

ومن مناهل المعرفة يسوق لنا الدكتور لقمان الشطناوي قوله:

هيّا بنا نسعى معًا للعلم والفلاحْ
في كل يومٍ نلتقي، شعارُنا النجاحْ
هيّا بنا أحبتي نحو ظِلالِ العِلمْ
نسيرُ في رِكابِها بهمَّةٍ وعَزمْ
من كلّ نبعٍ ننهلُ.. فخيرُنا وفيرْ
وزادُنا من دَرْسِنا أزكى من العبيرْ

***

هيّا بنا أحبّتي لصحبةِ العلومْ
فيها يطيبُ درسُنا ونبلغُ النجومْ
ففي العلوم نلتقي بكلّ ما يفيدْ
وكلّما نزورها نتوقُ للمزيدْ

***

هيّا بنا، هيّا بنا لصُحبةِ اللُّغاتْ
كنوزُ علمٍ نافعٍ، ومنبعُ الهِباتْ
وكلّما نزورُها نُجدِّدُ اللقاءْ
ففي اللغاتِ عالَمٌ يموجُ بالبهاءْ

وفي خطابٍ تحفيزيّ، يدفع لقمان شطناوي الأولاد إلى السعيِ في دروبِ الفلاحِ والعلمِ، ويشيرُ إلى أهميّةِ اللقاء وتجديده، فالمعرفةُ تمنحنا القوّة، والمشاركة تقوّي العزم. ويبيّن أنّ للعلم ظلال يتفيّؤها الإنسان، وينعم بها، وهي حصيلة الصبر والتعلّم ومكافأةٌ لا بُدَّ منها. فالخير وفير والعلم موفور وطيّب، وهو زادُ الطريق الأزكى والأنفع للنّفس. ويتحدّث عن اللغات وما تفتحها من آفاق جديدة للمعرفة، ويسميها منبعًا للهِبات، «ففي اللغاتِ عالمٌ يموجُ بالبهاءْ».

هذان فرعانِ من الأسماء الشابّة والفروع الممتدة، التي حملت وتحمل لواء شعر الطفولة اليوم، وهذه طريق الشعر؛ شعر الأطفال، نرجو أن تظلّ مُعبَّدة بالورود، وبكلّ ما هو جميل للأطفال العابرين منها.

تشجيع القراءة بمختلف المراحل العمرية

أ. تغريد النجار[1]

تختلف احتياجات القراءة ونوعية الأدب في مختلف المراحل العمرية، ويصبح أدب الأطفال واليافعين أكثر تعقيدًا وتنوعًا مع تقدم العمر. ولهذا السبب، علينا أن نتبنى استراتيجيات مختلفة لتشجيع القراءة في كل مرحلة عمرية.

يمكننا بناء جيل مثقف ومستقل من خلال تحديد احتياجات واهتمامات كل مرحلة عمرية وتوفير الكتب والمواد المناسبة لها.

أجمع المختصون على أهمية القراءة للإنسان في كل مراحل حياته. فهي تساعد على تخفيف الضغط والتوتر عند كبار السن وبالأخص قبل النوم، تخفف من شعورهم بالوحدة وتنشط الخلايا العقلية عندهم مما يساعد على تأخير أعراض أمراض الشيخوخة الذهنية. أما بالنسبة للأطفال فالقراءة تمتعهم، توسع آفاقهم، تطور مهاراتهم اللغوية وتساعدهم على التعبير عن أفكارهم بطلاقة.

ولكن لكل فئة عمرية خصوصية من ناحية الاستعداد الذهني والعاطفي والاجتماعي، لذلك من المهم جداً أن نحدد الفئات العمرية المختلفة ونبين خصائص كل منها لنعرف المواضيع التي تهم وتناسب كل مرحلة عمرية.

مع الأسف حتى الآن لا يوجد اتفاق بين دور النشر العربية على تقسيم المراحل العمرية وعلى بعض تسمياتها وهذا من الأمور التي من الضروري أن تعالج من قبل الهيئات الرسمية حتى لا يكون هناك لبس بالمفاهيم.

---

(1) من رواد أدب الأطفال الحديث في الأردن.

الكثير من دور النشر تعود إلى التصنيف الأجنبي، ولكن خصوصية اللغة العربية تجعل هذا الخيار غير مناسب في كثير من الأحيان.

حديثو الولادة حتى سن (1):

يستمتع الأطفال من عمر مبكر جداً بوقت قراءة القصة مع الأم أو الأب وذلك لأن الأطفال يتعرفون على أصوات والديهم وعلى نمطية وصوت اللغة ويستمتعون بالنظر إلى الصور.

القراءة للطفل منذ الولادة ليست بدعة، بل لها فوائد جمة؛ حتى ونحن ندرك أن الطفل في أشهره الأولى لا يستوعب معنى ما نقرأ له لذلك ممكن أن نقرأ له أي نص.

يستمتع الطفل بهذا العمر بكتب مصورة منوعة ممكن أن تكون على شكل كتب لوحية وكتب قماشية أو تفاعلية.

في هذه المرحلة يستمتع الطفل بموسيقى اللغة وحميمية الحضن، ويتهيأ لاستقبال اللغة. وكلما نما تطورت مهارة اللغة عنده؛ فيتعرف على كلمات جديدة وتراكيب لغوية متنوعة وثرية قد لا يصادفها في الحديث اليومي الذي يسمعه من عائلته والمحيطين به.

تساعد القراءة أيضاً على نمو الذكاء العاطفي عند الطفل. فهو يراقب ويتابع ملامح والديه التي تبدي مشاعرهما، على وجهيهما وفي أصواتهما خلال القراءة تمشياً مع أحداث القصة.

يستمتع الأطفال في هذا العمر بالأهازيج البسيطة المغنّاة والتي يصاحبها حركات ولمس. وتعتبر الأهازيج أول لقاء للطفل مع الأدب، وبالإضافة إلى كل ما ذكر فإن هذا الطقس اليومي يساعد على تنظيم وقت الطفل، ويحبب إليه الكتاب والقراءة، وينمي خياله.

قد لا يفهم الطفل في هذا العمر المبكر القصة وأحداثها، ولكن من خلال هذا النشاط تبدأ علاقة وثيقة للطفل بالكتاب والقراءة، ومع الاستمرار يبدأ الطفل يطلب القصة من والديه وتصبح القراءة والكتاب حاجة من حاجاته. تقول **Emilie Buchwald**: «يصبح الأطفال قراءً في أحضان والديهم».

من عمر (2-4) سنوات:

في هذه المرحلة يكون الطفل مستعداً للاستماع إلى قصص مصورة بسيطة عن محيطه المباشر: العائلة، الحضانة، الحي، الطبيب، الحيوانات.

إذ يبدأ الطفل في فهم تركيب القصة وأن لها بداية، ووسط، ونهاية. ويحب الأطفال القراءة عن موضوعات مختلفة تناسب مرحلتهم العمرية.

القصص الموجهة للأطفال في سن العمر من 2 إلى 4 سنوات تحتاج إلى تصميم محتوى ملائم لهذه الفئة العمرية الصغيرة. إليك بعض العناصر الأساسية التي يجب أن تتضمنها هذه القصص:

- أن تكون اللغة بسيطة وسهلة الفهم.
- مواضيع من صميم اهتمامات هذه المرحلة العمرية.
- قصص مصورة وبشكل فني جاذب للأطفال.
- فكرة مركزية واحدة ونص قصير يراعي مدة انتباه هذه المرحلة.
- شخصيات محببة قريبة من عالم الطفل.
- اللغة المتوقعة والترداد المحبب لهذا العمر الذي يشجع على تفاعل الطفل مع القصة.
- استخدام الإيقاع في اللغة محبب لهذا العمر.
- حبكة، واضحة، ونهاية سعيدة واضحة.
- القصص لهذه الفئة العمرية تكون تعليمية وترفيهية في الوقت نفسه، وتستهدف تطوير مهارة الأطفال اللغوية والاجتماعية، وتعزيز خيالهم وإثراء تجربتهم العاطفية.
- كلما قرأت للطفل في هذه المرحلة ازدادت مفرداته ومقدرته على التعبير عن نفسه بطلاقة أكثر.

من عمر (4-7) سنوات:

الأطفال في هذا العمر يهتمون بموضوعات عن تفاصيل الحياة الأسرية والمدرسية إلى مغامرات الحيوانات والشخصيات الخيالية. عادة ما تكون الشخصية الرئيسية حيواناً أو طفلاً صغيراً، وعادة ما يكون هناك مشكلة تحتاج إلى حل.

ومن خصائص قصص الأطفال لهذه المرحلة:

- أن تدور القصة حول فكرة أساسية واحدة.
- أن يكون للقصة بداية واضحة وتتابع سريع شيق للأحداث ثم نهاية مريحة واضحة.
- أن تكون اللغة سليمة ومناسبة للمرحلة العمرية الموجهة لها.
- أن تعكس القصص اهتمامات الطفل وميوله وتنمي اهتمامات جديدة.
- أن تراعي القصة توازن الخيال والواقع.
- أن تعكس القصص أساليب متعددة في التعبير والرسوم.
- أن توازن القصص بين الأبطال الذكور والإناث.
- أن تعبر الرسومات عن أحداث القصة وتضيف إليها بعداً فنياً.
- أن يتناسب شكل وحجم الكتاب والخط مع المرحلة العمرية، ويراعى استخدام الورق المتين الجذاب.
- أن يكون الغلاف جذاباً لافتاً للنظر.
- أن تبتعد عن المباشرة والتلقين في إيصال القيم والمفاهيم للطفل.
- أن تتطرق القصص إلى مشاعر الأطفال الإيجابية والسلبية؛ ليتعرف الطفل على مهارات التعامل مع هذه المشاعر وذلك بتسليط الضوء عليها.
- أن تمتع القصة الطفل وتسعده.

من عمر (7–10) سنوات:

قصص الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (7–10) سنوات أطول وأكثر تعقيداً من الكتب المصورة. Early Readers تسمى بقصص «القراءة المبكرة» وهي مكتوبة للأطفال لبدء تحسين مهاراتهم في القراءة والكتابة ولتعزيز ثقتهم بقدرتهم على القراءة. ما يهم أكثر في كتاب «القارئ المبتدئ» هو النص، والذي يجب أن يكون واضحاً وموجزاً وسهلاً وممتعاً للقراء المبتدئين لمتابعته.

يجب أن تكون معظم الكلمات مألوفة، ويجب أن يكون الخط واضحاً وكبيراً، ومن المهم أيضاً أن تبتعد عن النهج التعليمي وتعالج مواضيع من صميم اهتمامات هذه المرحلة العمرية بأسلوب طريف ومسلّ ومبتكر حتى يقبل الأطفال على القراءة.

القصص في هذه المرحلة لديها المزيد من الشخصيات والحبكات الفرعية من القصص المصورة، وعدد الكلمات يتراوح ما بين 1000 و2000 كلمة. البعض يعتبرها قصصاً مصورة طويلة كونها مرحلة انتقالية ما بين القصص المصورة وكتب الفصول. أما بالنسبة للتصميم فإن النص يعرض كفصول ليؤكد على مرحلة قرائية جديدة.

من عمر (10/ 12– 14) سنة:

كتب الفصول لهذا العمر تحتاج إلى حبكة ممتعة ومسلية وسريعة الخطى وأكثر تعقيداً من كتاب مصور أو قارئ مبتدئ، ولكنها ليست معقدة مثلما قد يظهر في روايات اليافعين.

كتب الفصول تسمح للأطفال العودة إلى كتاب بعد استراحة بدلاً من الحاجة إلى قراءة قصص قصيرة في جلسة واحدة. تساعد الفصول القصيرة في الإشارة إلى نقاط توقف جيدة وتغييرات في المشهد أو النغمة أو الموضوع. ويتراوح طول معظم كتب الفصول بين 1500 و5000 كلمة. وكتب الفصول قد تحتوي على صور توضيحية بالأسود والأبيض أو تقدم للطفل كنص فقط دون صور.

من عمر (12/ 14-18) سنة:

- مرحلة المراهقة هي مرحلة تتضمن تغيرات جسدية ونفسية وعقلية وشخصية كبيرة.
- الأصدقاء يلعبون دورًا مهمًا جدًا في حياة المراهقين.
- المراهقون يسعون إلى إثبات ذواتهم والتميز في تصرفاتهم ومظهرهم.
- يميلون إلى المغامرة وقد يتعرضون لبعض المخاطر.
- يشعرون بأن الكبار لا يفهمونهم دائمًا وقد يحاولون التعبير عن أنفسهم بأشكال شبابية عالمية.
- يمرون بصراعات داخلية حيث يسعون للاستقلال وفي الوقت نفسه يعتمدون على عائلاتهم.
- يجب على المراهقين أن يوازنوا غرائزهم الجسدية مع القيم والمعتقدات الاجتماعية والدينية.
- قد ينجذبون إلى الانسحاب والعيش في عالمهم الخاص.

من المهم أن يتسم أدب اليافعين بعدة سمات ليكون ناجحًا ويجعل اليافع يقبل على القراءة، ومنها:

الصدق: يجب أن يتميز هذا الأدب بالصدق، حيث يتم كتابته بواسطة شخص يفهم تمامًا اهتمامات هذه الفئة العمرية واحتياجاتها، والضغوط الاجتماعية والعائلية التي تؤثر عليها.

التفهم والتأثير: يجب على الكاتب أن يكون حساسًا لكيفية تأثير الأحداث والتغيرات في المجتمع على حياة الشباب، سواء كانت إيجابية أو سلبية.

عدم الوعظ والنصح المباشر: الكاتب لا ينبغي أن يتصور نفسه كمعلم أو ملهم، بل يجب عليه احترام عقول الشباب وقدرتهم على استنتاج الأمور بأنفسهم.

التواصل كصديق: يجب على الكاتب التوجه لليافعين كصديق يفهم بما يمرون

به من مشاعر ومشاكل وتحديات.

الدراية بخصائص المرحلة: بالإضافة إلى ذلك، يجب على الكاتب أن يكون على دراية ببعض الخصائص المهمة لمرحلة المراهقة ومشكلاتها حتى ينجح في التواصل معهم.

باختصار فإن أدب اليافعين الناجح يقدم قصصاً وروايات تلامس تجارب ومشاعر الشباب في مرحلة المراهقة بشكل حقيقي ومؤثر.

دور العائلة والمدرسة والمجتمع في تشجيع القراءة لكل فئة عمرية:

في مرحلة الطفولة المبكرة (0-5 سنوات):

- اختيار القصص المناسبة والمنوعة للأطفال.
- قراءة القصص يومياً للأطفال بتفاعل وحماس.
- تشجيع الطفل على اختيار القصة التي يريد الاستماع إليها.
- تأسيس مكتبة بيتية في غرفة الطفل.
- تشجيع الطفل على المشاركة في إعادة القراءة من خلال الصور.
- حضور جلسات القراءة القصصية في المكتبات.
- زيارة المكتبات العامة لاستعارة الكتب.
- زيارة المكتبات لاختيار الكتب للشراء.
- أن يكون قدوة لهم.
- زيارة معارض الكتب.

في مرحلة الطفولة المتوسطة (6-12) سنة:

- اختيار كتب تناسب اهتماماتهم وتتناول مواضيع تشد انتباههم.

- تشجيعهم على المساعدة في اختيار الكتب التي تهمهم.
- تحديد وقت للقراءة اليومية، وتحفيزهم على تسجيل الكتب التي قرأوها.
- قراءة مشتركة: مشاركة الكتب وقراءتها مع الأهل والأصدقاء.

في مرحلة المراهقة (13-18) سنة:

- اختيار الكتب بحرية: شجع المراهقين، أن يختاروا الكتب التي يودون قراءتها وأن يجربوا أنواعاً مختلفة من الأدب.
- إنشاء نادي قراءة: يمكن تشجيع المراهقين على إنشاء نادي قراءة مع أصدقائهم لمناقشة الكتب ومشاركة التجارب.
- تقديم الكتب الشبابية: توفير مجموعة متنوعة من الكتب الشبابية التي تتناول قضايا تهمهم.

ختاماً:

في ختام هذه الورقة، يمكننا التأكيد على أن التشجيع على القراءة في مختلف المراحل العمرية يمثل استثماراً قيماً في المستقبل. إن فوائد القراءة تمتد من تخفيف الضغط على كبار السن إلى تطوير مهارات الأطفال اللغوية والإبداعية. ومن أجل تحقيق هذه الفوائد القيمة، يجب علينا دعم القراءة وتشجيعها في كل مرحلة عمرية، وفهم احتياجات كل فئة عمرية بعناية.

نحث الهيئات الرسمية ودور النشر على تبني تصنيفات أدبية تأخذ في اعتبارها خصوصية اللغة العربية واحتياجات القراء في المنطقة. علاوة على ذلك، يجب على الكتّاب والمؤلفين العمل بجدية على تقديم محتوى مثير ومفيد يتناسب مع كل مرحلة عمرية.

لنضمن تحقيق هدفنا في جعل الأطفال والشبان «قراءً مدى الحياة»، يجب أن نعمل معاً كمجتمع لتعزيز القراءة وتوفير الوقت والموارد اللازمة لذلك. القراءة تعزز

التعلم والتفكير النقدي، وتوسع آفاق المعرفة، وتغذي الخيال. لذلك، دعونا نعمل جميعًا على تشجيع القراءة وجعلها جزءًا لا يتجزأ من حياة الأجيال القادمة لنتمكن من بناء مستقبل أفضل وأكثر تعليمًا وتطورًا للجميع عن طريق التعاون المشترك والاهتمام بتلبية احتياجات القراء في جميع المراحل العمرية، وذلك لأن «القراءة هي الشمس التي تضيء الطريق إلى العلم والمعرفة» وفق ما تقوله Emilie Buchwald.

النص المسرحي الموجَّه للطفل في الأردن

جذوره وموضوعاته

د. صبحة أحمد علقم[1]

تشير الأبحاث المعنية بتاريخ النص المسرحي الأردني الموجه للطفل، إلى أن أول نص مسرحي مؤلف خصيصاً لمسرح الطفل هو نص بعنوان «سمير والوردة» لفؤاد الشوملي عام 1976[2]، تلاه نص «الغابة الذهبية» لجميل عواد عام 1978[3]، ولعل هذين التاريخين يشيران إلى تأخر في كتابة النص المسرحي الخاص بالطفل، ولكن هذا لا يعني عدم وجود مسرح للطفل في الأردن قبل هذا العام، فقد كانت بعض العروض المسرحية عن نصوص معدة أو معربة أو لكتاب مسرحيين عرب مثل نص: «عنبرة والساحرة» الذي أعدته مارجو ملاتجليان عام 1971، و«الحمار الراقص» لخيري أسعد عام 1971[4] وغيرها من الأعمال الكثير التي عرضت في السبعينيات من القرن المنصرم[5]، تقول مارجو ملاتجليان: «إنها قدمت خلال السنين من عام 1970

---

(1) أستاذة الأدب والنقد الحديث، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن.

(2) أبو حجلة، أميرة، في مسرح الكبار والصغار، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع: عمان، 1980، ص108.

(3) غنام، غنام، موجز تاريخ المسرح الأردني 1918–2006، ط1، منشورات وزارة الثقافة: عمان 2008.

(4) غنام، غنام، مرجع سابق، ص124.

(5) غنام، غنام، موجز تاريخ المسرح الأردني 1918–2006، ط1، منشورات وزارة الثقافة: عمان 2008.

– 1981 أكثر من عشرين مسرحية للأطفال، وإنها اعتمدت على الأدب الأجنبي من خلال اختيار أجود القصص التي قامت بتعريبها كي تتناسب مع الطفل العربي»[1].

ومن هنا يمكن أن نقرر أن المشتغلين في مسرح الطفل أدركوا أهميته في تنشئة الطفل، وصقل شخصيته، وتنمية طاقاته الإبداعية، والارتقاء بذائقته الفنية وسلوكه، وزيادة معارفه وعلومه، ونشير هنا إلى النص التثقيفي الذي كتبه هاشم القضاة بعنوان «رقصة على وثيقة السلط» عام 1971.

ولكننا نلمح بجلاء ووضوح ندرة النص المسرحي الأردني المكتوب محلياً، فلا نجد إلا ثلاثة نصوص محلية – كما تقدم–، وهذا يوضح لنا لماذا لا نجد في الكتاب الأول من سلسلة كتب المسرح التي أصدرتها رابطة المسرحيين الأردنيين في بداية الثمانينيات سوى عشر صفحات من أصل صفحات الكتاب البالغة 280 صفحة[2]. وقد حملت هذه النصوص المؤلفة كالمعدة والمنقولة عن التراث بما فيه من أمثال وأغانٍ وحكايات شعبية الدعوة إلى قيم الخير والعدالة، والتمتع بجمال الوطن والطبيعة والمحافظة عليها. وتطغى عليها المباشرة، وبساطة الطرح والاستعانة بالتراث الشعبي، وذلك لتتلاءم مع فئة الأطفال التي يتوجه إليها المسرحيون بنصوصهم.

وفي الثمانينيات زاد الاهتمام بالنص المسرحي، واقترب عدد كتابه من الـ«عشرين» كاتباً نذكر منهم: مارجو ملاتجيان، وحسن ناجي، ومحمد ملص، وأكرم أبو الراغب، ونادية أبو طه، وبشير هواري، وعلي عليان، وفتحي عبدالرحمن، وإبراهيم العبسي، وسليم حسن، وعبدالله رشيد، ونانسي باكير، ومنيرة شريح، ومحمود إسماعيل بدر، كتبوا ما يقارب أربعين نصاً مسرحياً، وهذا رقم كبير في النصوص المسرحية الموجهة للطفل، وقد عزاه بعض الدراسين إلى الاحتفال بالسنة الدولية للطفل 1979 التي كانت حافزاً للمتعاملين مع صنوف الأدب التي تقدم للأطفال ومنها المسرح، وبوادر التأسيس لمسرح الطفل الأردني، وإنشاء المراكز الثقافية والأدائية مثل: مركز هيا الثقافي، ومركز الفنون الأدائية التابع لمؤسسة نور الحسين الذي أثرى

---

(1) ملاتجليان، مارجو، نحو إيجاد مسرح للأطفال، جريدة الرأي الأردنية، 21–8–1981.

(2) شما، عبد اللطيف وآخرون، المسرح في الأردن، ط1، منشورات رابطة المسرحيين الأردنيين، ص125–134.

المسرح التعليمي والتفاعلي بنصوص كثيرة ألّفت فردياً وجماعياً، ناهيك عن ظهور المسرح المدرسي وتفعيله في المدارس والجامعات، ومهرجان جرش للثقافة والفنون الذي اهتم بمسرح الأطفال[1].

ومن هذه النصوص التي كان لها حضور فاعل إبان تقديمها: مسرحية «مظلوم والأسد» 1981، و«مسرحية بيسان» 1981، و«مسرحية افتح يا سمسم» 1981، و«مسرحية الثعلب الماكر» 1982، و«مسرحية أحلام الساحر» 1982، ومسرحية «الأسد المغرور» 1982، ومسرحية «حارتنا» 1984، و«مسرحية يا عم جمال» 1985، و«مسرحية حذاء الطنبوري» 1987، و«مسرحية الكنز» 1988، و«مسرحية بساط الريح» 1989. والمطلع على بعض ما تبقى من هذه النصوص، أو ما كتب عنها، يلحظ توجهها نحو التراث الشعبي وحكاياته وأغانيه والقصص العالمية والدينية والتاريخية لطرح مضامين تربوية وقيمية وأخلاقية، ولعل هذه المضامين تنسجم مع طبيعة مسرح الطفل التوعوي والتربوي، لأن هذا الشكل المسرحي الذي ينهل من التراث، ويحاول أن يمسرح حكاياته، ويقدمها للأطفال برؤية إيجابية يساعد في نفي قصص الخرافة والسحر العالقة بأذهانهم، ويثبت فيهم التوجه العقلاني والعواطف الصادقة[2]، وقد كان في فوز مسرحية «الكنز» لحسن ناجي 1988 بأفضل عرض مسرحي متكامل في مهرجان السويس إشارة واضحة إلى تقدم النص المسرحي الأردني الموجه للطفل، إذ استطاع الكاتب أن يقدم الأغاني الشعبية والتراث بقالب فني يتلاءم مع ميول الأطفال واهتماماتهم، ويوجه لهم رسالته التثقيفية بأهمية الأرض، وضرورة المحافظة عليها فالكنز هي الأرض التي يمتلكونها[3]، ولا بد من الإشارة إلى التجربة التي قامت بها فرقة الفوانيس بالمشاركة الجماعية لعدة مؤلفين في كتابة النص المسرحي، وكتبوا عملين هما: «أبو الفوانيس في واد الريحان» 1986، و«أبو الفوانيس في واد السكساك» 1986، وما يميز هذين النصين محاولة الارتقاء بمخيلة

---

(1) المصلح، أحمد، أدب الأطفال في الأردن، 1977–1998 (دراسة تطبيقية)، ط1، وزارة الثقافة، عمان 1999، ص127.

(2) أبو السعد، عبد الرؤوف، الطفل وعالمه المسرحي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993.

(3) ناجي، حسن، مسرح الطفل العربي، ط1، وزارة الثقافة، عمان، 2019، ص 123.

الطفل، وإثارة أسئلة حول الحياة، وكيفية العيش فيها، ولعلها إرهاصات بحكايات الخيال العلمي التي كثر استخدامها في النص المسرحي لاحقاً.

أما التسعينيات فقد شهدت اهتماماً واضحاً بالنصوص المسرحية المحلية، نتيجة للجهود المبذولة من وزارتي الثقافة والتربية والتعليم، وأمانة عمان الكبرى، وغيرها من المؤسسات التي اهتمت بالأطفال والفنون، إذ بلغت النصوص المحلية في هذه الفترة واحداً وعشرين نصاً من أصل سبعة وثلاثين عرضاً هي مجموع عروض مسرح الطفل في الأردن[1]، ومن هذه النصوص: «الباعة الصغار» لأحمد الكواملة 1990، و«الشجرة» لنادية أبو طه 1991، و«دعبل وبنت السلطان» لفؤاد الشوملي 1992، و«بياض الثلج والأقزام» لفتحي عبدالرحمن 1992، ومن النصوص التي عرضت في مهرجان مسرح الطفل الأردني الأول «تعالوا نلعب مسرح» لجولييت عواد 1992، و«صراع في الغابة» لروضة الهدهد 1992، و«قرقوش والموسيقى» لفتحي عبد الرحمن، و«السؤال» لفينيسيا مشارقة في مهرجان مسرح الطفل الأردني الثاني 1993...[2].

وفي هذا العقد أيضاً نقرأ أسماء جديدة حاولت التأليف المسرحي تنضاف إلى الأسماء التي تم ذكرها منها: ربيع شهاب الذي كتب نص «عليوة والوحش» 1996، وغنام غنام ونصه «كيف نرجع أساميناً» 1997، ونص «وطن الطائر» لعلي خلف 1998، و«دار الصديقة» لمحمد البطوش 1999، ويوسف العموري الذي كتب «عنبر والدجاجة الذهبية» عام 1999، ولا بد من الإشارة إلى النصوص المسرحية التي قدمها مركز الفنون الأدائية في هذا العقد بهدف تفعيل أسلوب المسرح في التعليم والتي كتبها أكاديميون ومشتغلون في المسرح ومنها: مسرحية «نقوش زمنية» لوليد سيف 1991، و«ليلة الهلال» للينا التل، و«رحلة إلى عالم الكنافيش» نص جماعي[3]،

---

(1) البراري، هزاع، مسرح الطفل في الأردن: إطلالة تاريخية واستشرافات مستقبلية، جريدة الرأي، 23-3-2007.

(2) غنام، غنام، مرجع سابق، ص136.

(3) إبراهيم، صبيح وآخرون، أدب ومسرح الطفل في الأردن، ط1، وزارة الثقافة، الأردن، 2002، ص127.

وما يميز هذه النصوص المسرحية وغيرها من التي تم الإشارة إليها سابقاً، محاولة استفادتها من الواقع المعاش وتوظيفه في بناء النص المسرحي وخدمته لرسالته، فكان هناك حديث عن الحروب وآثارها على الأطفال، والصراع بين الخير والشر والحث على قيم الانتماء وحب الوطن، والدعوة إلى الاهتمام بالفنون والموسيقى لأهميتها وأثرها الإيجابي على الطفل، ولكن هذا لا يعني الانسلاخ من التراث المحلي والعالمي وقوالبهما وحكاياتهما وشخصياتهما، بل بقي حاضراً، ولكن بحلة عصرية جديدة، وبطابع تعليمي. ونذكر هنا مسرحية «نقوش زمنية» للدكتور وليد سيف؛ لأنها أول مسرحية تستخدم أسلوب المسرح في التعليم، قدمها مركز الفنون الأدائية التابع لمؤسسة نور الحسين عام 1991، وحمل مضمونها واقع الأحداث الساخنة التي كانت تمر بها المنطقة العربية أثناء حرب الخليج، والانتفاضة الفلسطينية الأولى ونتائجها وانعكاساتها من خلال اللجوء إلى التاريخ، لاستقاء واستشراف الماضي والحاضر والمستقبل من خلال رحلة عبر التاريخ يقوم بها شاب عربي مصاب بالإحباط من واقعه المرير فيلتقي بنماذج إيجابية من التاريخ العربي لتقتل الإحباط واليأس عند هذا الشاب وأمثاله[1]. وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن الألفية الجديدة لا بد من الإشارة إلى مسرحة بعض القصص وتحويلها من قبل المخرجين أو الكتاب أنفسهم مثل روضة الهدهد التي حولت بعض قصصها إلى مسرحيات وهذا أضعف الاهتمام بالنص المسرحي لاستسهال المخرجين فكرة مسرحة القصص بدلاً من البحث عن كتاب لنصوص المسرح.

أما في العقد الأول من الألفية الجديدة، فقد تكرس حضور المرأة في الكتابة المسرحية للطفل الذي لازم بدايته بنصوص مارجو ملاتجليان وجولييت عواد ولينا التل ومن خلال عشرات المسرحيات التي أمدت بها نهلة الجمزاوي مكتبة مسرح الطفل من خلال مجموعتها «أنا الفرح ومسرحيات أخرى» التي صدرت عام 2011[2]، وقد تضمنت إحدى عشرة مسرحية كتبتها الجمزاوي ما بين الأعوام 2000–2009، ومن هذه المسرحيات: مسرحية «كوكب الأحلام» التي عرضت في مهرجان مسرح الطفل

(1) إبراهيم، صبيح وآخرون، مرجع سابق، ص132–133.

(2) الجمزاوي، نهلة، أنا الفرح ومسرحيات أخرى، ط1، دار فضاءات، عمان، 2011.

الثالث، ينضاف إليها مسرحيات «أنا الفرح» 2005، و«كوكب الأحلام» 2000، و«ثورة الحمير» 2005، و«ومصباح الأحلام» 2001، و«نقاء وشقاء» 2003، و«بائع الفرح» 2005، و«قرية نمنم» 2009، و«مغامرات العم فرحان» 2002، و«من يحكم الجزيرة» 2009، و«الأشجار العطشانة» 2002، وما يميز هذه المسرحيات أنها تستنطق الطفل وتجعله في مواجهة مجموعة من الثنائيات؛ العلم مقابل الجهل، الغنى مقابل الفقر، العدل مقابل الاستبداد، لتنفر الطفل من الجهل، وتجعله يساعد الفقراء والمظلومين، ويشعر بالكره للمستبدين والمغرورين، بلغة شعرية قريبة من الأطفال، وقد تنبهت هذه المسرحيات إلى ضرورة استفادة الطفل من التكنولوجيا في حياته ودراسته، وحثه على تنمية خياله، وقدرته على البحث والابتكار.

ولا بد من ذكر جهود غنام غنام وعبد اللطيف شما ومحمد بسام ملص وحسن ناجي وأكرم أبو الراغب في كتابة النصوص المسرحية التي عرضت في مهرجانات مسرح الطفل التي حرصت وزارة الثقافة على استمرارها حتى عام 2006 ومن هذه النصوص اللافتة: «صحبة الأخيار» لعبد اللطيف شما، و«زمرد» لمحمد بسام ملص و«سهرة مرحة» لغنام غنام، و«رحلة الأمان عبر الزمان» لأكرم أبو الراغب.

كما لا بد من الإشارة إلى بعض جهود الشباب المهتم بمسرح الطفل مثل: أشرف العوضي وزيد خليل مصطفى فقد كتبوا بعض النصوص المتميزة مثل: «ليلى ذات البرمودا الأحمر» و«سوق البركة» وغيرها.

وقد دخلت موضوعات جديدة في النص المسرحي تتلاءم مع طفل الألفية الجديدة الذي يعيش تطوراً تكنولوجياً هائلاً مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي وزيادة الضغوطات التي يفرضها التطور العلمي والتكنولوجي الهائل، والحقيقة أن هذه الموضوعات فرضت شكلاً مسرحياً يميل إلى التجريب والإثارة، ليبقى الطفل محباً للعروض المسرحية ومن هذه المسرحيات: «وقفة في زمن البرمجة» لوصفي الطويل 2004، و«أبو الغيوم» لحسن سبايلة 2004، و«التدوير» لحسن ناجي 2005.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النص المسرحي بقي محافظاً على توجهه التعليمي بتقديم العالم الجديد وعلومه ومتطلباته، والتعامل معه بقالب حواري ممزوج بالكوميديا الهادفة.

أما في العقد الثاني وبدايات العقد الثالث من الألفية الجديدة، فبدأت تزداد النصوص المسرحية لا سيما المطبوعة منها، وذلك بفعل المسابقات المحلية والعربية، وقد استطاعت بعض النصوص على الحصول على جوائز عربية، واللافت للنظر في نصوص هذه الحقبة أنها تحذر من مخاطر الانغماس في التكنولوجيا ووسائلها مثل مسرحية «عالم مايكرو» لهيا صالح، وكذلك الدعوة إلى احترام عقل الطفل وعدم تغييبه عند الكتابة مثل: مسرحية «في يديه نجمة» للكاتبة ذاتها، والاهتمام بالمواضيع الإنسانية والاجتماعية، بالإضافة إلى الاستمرار في المواضيع التقليدية التي تعلم حقوق الطفل وواجباته، والصراع بين الخير والشر وقيم الجمال والمواطنة والحب والنظافة والمحافظة على البيئة، كما نقرأ في أعمال الكاتب المسرحي يوسف البري: «مهمة ديمة» ومسرحية «شموسة» ومسرحية «أردننا بيتنا» لفداء الزمر.

والحقيقة أن كثرة العروض المسرحية التي تقدم للطفل في المدارس ومراكز الطفولة والمؤسسات الثقافية تجعل من مهمة حصر النصوص في هذا العقد صعبة، ولكن الأمر الواجب علينا كنقاد هو الاهتمام بنصوص المسرح المقدم للطفل لأننا بدون نقد يقيم هذه النصوص ويوجهها قد يكونون فريسة لنصوص غريبة تحمل قيما بعيدة عنهم، تسلبهم هويتهم، وبالتالي هوية الوطن لأن الأطفال هم نواة المستقبل.

يقول مارك توين: «أعتقد أن مسرح الأطفال من أعظم الاختراعات في القرن العشرين، وأن قيمته التعليمية الكبيرة التي لا تبدو واضحة أو مفهومة في الوقت الحاضر سوف تنجلي قريباً، إنه أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع إلى السلوك الطيب، اهتدت إليه عبقرية الإنسان، لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة، أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس، وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال التي تعتبر أنسب وعاء لهذه الدروس... حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال، فإنها لا تتوقف في منتصف الطريق، بل تمضي إلى غاياتها» [1]، وتحقيقاً لهذه الغاية يجب على مؤسسات الدولة التي تعنى بالطفولة العناية بكتاب مسرح الطفل، وتوفير الظروف الملائمة – لإبداعهم بالمحافظة على حقوقهم بالملكية كالمخرج والممثل

(1) وارد، وينفريد، مسرح الأطفال، ترجمة محمد شاهين وكامل يوسف، ط4، الدار العربية للنشر والتوزيع، عمان، 1986، ص38.

خلال العروض المسرحية المتعددة – مادياً ومعنوياً، وذلك لدور نصوصهم المهم والخطير في تشكيل عقول أطفالنا وميولهم، والاهتمام بنقده وتقييمه، لأن الكثير من النصوص المسرحية تغفل عن ذكر الفئة العمرية المستهدفة بالنص وهذا أمر مهم في مخاطبتهم حتى لا يعزفون عن حضور المسرح الذي لا يلبي طموحاتهم.

أدبُ الفِتيانِ الأُردُنيّ.. مَلامِح وتَحَدِّيات

أ. يوسف البري[1]

*** مقدّمة:**

ممّا لا شكَّ فيهِ أنَّ أدبَ الفتيانِ في الأردنِّ يمتلكُ حضورًا غنيًّا ونتاجًا عميقًا، استطاعَ أنْ يثبت حضورَهُ على السّاحةِ الأدبيّةِ العربيّةِ بجدارةٍ عاليةٍ، تمثّلَ في كثيرٍ منَ الجوائزِ العربيّةِ المُهمّةِ التي حصدَها نخبةٌ منَ الكتّابِ والأدباءِ الأردنييّنَ في هذا المجالِ، مما يضعنا أمامَ مسؤوليّاتٍ كبيرةٍ توجبُ علينا الوقوفَ والإطلالةَ على هذا الأدبِ بعُمقٍ وتحليلٍ موضوعيٍّ، ومعرفةَ نقاطِ الضّعفِ والقوّةِ، وتحديدَ الأولويّاتِ وتشريحَ أهمِّ التجاربِ الأردنيةِ التي خطّها الكتّابُ والأدباءُ على مرِّ سنواتٍ طويلةٍ منَ العطاءِ في هذا المجالِ الأدبيِّ، الذي يحتاجُ إلى مهاراتٍ خاصّةٍ وثقافةٍ عاليةٍ، لذلكَ يمكننا القولُ إنَّ الرغبةَ وحدَها في الكتابةِ للفتيانِ لا تكفي أبدًا، بلْ منَ الضروريِّ أنْ يتمتعَ الكاتبُ بكثيرٍ منَ المهاراتِ التي تؤهلهُ للخوضِ في الكتابةِ بهذا المجالِ بحرفيّةٍ وإتقانٍ، وأن تكون لديهِ القُدرةُ على مَهارَة إرسالِ أفكارهِ ومضامينِها بِوَعي كبير مُراعِيًا الخصوصيَّة التي تُحيط بِهذه الفِئةِ العمريَّةِ بِكلِّ أبعادِها، فالفتيانُ لديهِم خيال عالٍ وقُدرَةٌ كَبيرَةٌ على الرَّبطِ والتَّأويلِ وفهمِ المَغزى، ويُدركونَ بِسهولةٍ أيَّةَ هَفوةٍ قد يقعُ فيها الكاتبُ، مِثل: المُراوغة العبثيَّة التي لا تَستَنِدُ إلى هَدفٍ واضِحٍ، ومن هُنا علينا أولاً أنْ نُحدّدَ الفئةَ العمريّةَ التي يَستهدفُها أدبُ الفتيانِ، وهيَ مرحلةُ الطّفولةِ من (12 – 18) سنة، وأعتقدُ أنَّ هذا التَّقسيمَ بحدِّ ذاتِه بحاجةٍ إلى تقسيمٍ فرعيّ، بحيثُ يكونُ منْ (12–14) سنة مرحلة، ومن (14–16) مرحلة، ومن (16–18) مرحلة أخرى، بحيثُ

(1) كاتب أردني، عضو هيئة تحرير مجلة وسام، وزارة الثقافة الأردنية.

يُمكنُنا تحديدُ أهمِّ الأفكارِ التي يُمكنُ تناولُها، وتحديدُ القاموسِ اللغويِّ المُستَخدمِ في لُغةِ الطَّرحِ بشكلٍ أكثرَ دقةٍ، وفقَ كلِّ تقسيمٍ فرعيٍّ لهذهِ الفئةِ، وبالتَّالي يكونُ الطَّرحُ مُتلائمًا معَ احتياجاتِ هذهِ الفئةِ الفكريّةِ والعاطفيّةِ، لِلوقوفِ على أهمِّ التّحدياتِ التي تُواجهُها وفقَ طرحٍ أدبيٍّ مُحكمٍ وعميقٍ، ينسابُ بسلاسةٍ ويتماهى معَ الأحلامِ والتَّطلعاتِ والأُمنياتِ التي تعيشُها فئةُ الفتيانِ، بحيثُ تُناقشُ مُشكلاتِهمْ واهتماماتِهمْ بوعيٍ كبيرٍ وموضوعيّةٍ بعيدةٍ كلَّ البُعدِ عنِ الوعظِ والإرشادِ والتَّلقينِ المُباشرِ، لذلكَ فنحنُ نتحدّثُ عنْ كاتبٍ منْ نوعٍ خاصٍّ، يمتلكُ أدواتِ طرحٍ عميقةً قادرةً على بناءِ جُسورِ التَّواصلِ والمُحاكاةِ معَ هذهِ الفئةَ، ويكونُ في الوقتِ ذاتِهِ قارئًا عميقًا لديهِ ثقافةٌ عاليةٌ ورصيدٌ غنيٌّ منَ الأفكارِ والجُملِ والمُفرداتِ؛ ليبُثَّ إبداعَهُ الفكريَّ والأدبيَّ لهذهِ الفئةِ بمهارةٍ عاليةٍ، بحيثُ يُدركُ تمامًا المشاعرَ والأحاسيسَ التي يَشعرُ بها اليافعُ، ويكونُ قادرًا على مُحاكاتِها ببراعةٍ عاليةٍ، بحيثُ يُؤمنُ القارئُ بأهميَّةِ ما يقرأُ وما يُمكنُ أنْ يُضيفَ لهُ، وكيفَ يُمكنهُ التّعاملُ معَ مشاعرَ مُعيّنةٍ تكونُ قدْ سبّبتْ لهُ قلقًا أوْ تَخبُّطًا جعلَهُ غيرَ قادرٍ على اتّخاذِ القرارِ السّليمِ، وهوَ في مرحلةٍ مُهمَّةٍ ومفصليّةٍ منْ نموّهُ الفكريِّ والعاطفيِّ.

ربّما يُعدُّ الفارقُ الأهمُّ في الكتابةِ في أدبِ الفتيانِ عنْ الكتابةِ للأطفالِ الصّغارِ، هوَ خصوصيّةُ الأفكارِ التي يَجبُ تناولُها، وضرورةُ احترامِ وعيِ وأفكارِ الفتيانِ كما يرونَها هُم وليسَ كما يراها الكاتبُ، والتَّعاطي معَها برؤيتِهِمْ وتطلُّعاتِهمْ وطريقتِهمْ بالتَّماهي معَها، وذلكَ بعنايَةٍ فائِقةٍ بما يَنسجمُ معَ عاداتِنا المُجتمعيّةِ، وبالتّالي يَجبُ أنْ تُركّزَ الفكرةُ بشكلٍ مُباشرٍ على أهمِّ التّحدياتِ التي تُواجهُ الفتيانَ، والتي قدْ تكونُ فكريّةً أو اجتماعيّةً أو اقتصاديّةً أو وطنيّةً، ويَجبُ التّنويعُ في الطّرحِ، وتوفيرُ جُملةٍ مُتكاملةٍ منْ أشكالِهِ منْ خيالٍ علميٍّ، وأفكارٍ فيها أبعادٌ سياسيّةٌ، ومغامراتٌ وأحداثٌ شيّقةٌ، واكتشافاتٌ وتجاربُ علميّةٌ، والحثُّ على التّفكيرِ خارجَ الصُّندوقِ بأسلوبٍ مَرنٍ يَنسجُ الحَبكةَ على نحوٍ يكونُ قادرًا على شدِّ انتباهِ اليافعِ، تُشعرُهُ بأنّهُ بطلُ هذهِ الرّوايةِ، وأبطالُها تُشبهُهُ وتَتناسبُ معَ أفكارهِ وردودِ أفعالِهِ وطريقتِهِ في التّفكيرِ، وهذا يَستوجبُ أنْ يكونَ بطلُ أو بطلةُ الرّوايةِ منْ فئةِ اليافعِ العُمريّةِ، يحملُ عليهِ نبضُ الحَبكةِ ونُموّها، وصولاً إلى نتيجَةٍ تُلبّي تطلُّعاتِ اليافعِ المَنطقيّةَ وفقَ أسلوبٍ غنيٍّ بالتّشويقِ العَميقِ.

*** مَهاراتُ الكِتابةِ لِلفتيان:**

عندَ الكتابةِ للفتيانِ، منَ الضّروريِّ مُراعاةُ مجموعةٍ منَ المهاراتِ؛ لضمانِ وصولِ الفكرةِ بكلِّ أبعادِها، ومدِّ جُسورٍ مبنيّةٍ على الثّقةِ والمحبّةِ والاحترامِ بينَ الكاتبِ واليافعِ، بحيثُ يؤمنُ الأخيرُ أنّهُ ليسَ وسيلةً للتّجريبِ، وأنَّ أفكارَهُ تُحترمُ، وأنّهُ يُخاطَبُ بلُغةٍ تَتناسبُ معَ فكرِهِ، وتُقدّمُ لهُ طرحًا أدبيًّا غنيًّا قادرًا على أنْ يكونَ مُنافسًا للأعمالِ الأدبيّةِ الغربيّةِ، أو المُترجمةِ والموجّهةِ لهذهِ الفئةِ منَ الأطفالِ، ومنْ أهمِّ تلكَ المَهاراتِ:

أوّلًا: اختيارُ أفكارٍ مُناسبةٍ: وهذا يتطلّبُ منَ الكاتبِ أنْ يكونَ مُطلًا على فئةِ الفتيانِ عنْ قُربٍ، ومُلمًّا بكلِّ ما تُواجهُها منْ صعوباتٍ وتحدّياتٍ وتطلّعاتٍ وآمالٍ، وأنْ يكونَ واضحًا وصريحًا، يكتبُ بحُبٍّ وصدقٍ، تكونُ أفكارُه منَ الواقعِ الذي يَعيشهُ اليافعُ، يتناولُ فيها التّقاليدَ الاجتماعيَّةَ والعواطفَ الدينيَّةَ والوطنيَّةَ، وأهمَّ القضايا الاجتماعيّةِ والفكريّةِ والاقتصاديّةِ، وتُعزّزُ لدى القارئِ عادةَ التّفكيرِ النَّاقدِ، بحيثُ تُوظّفُ ضمنَ سياقِ الحَبكةِ بأسلوبٍ مَرنٍ مُنسجمٍ معَ سياقاتِ مَجرى الحَدثِ ونموِّ الحَبكةِ، ومنَ الخطأِ أنْ يتمَّ إقناعُ الفتيانِ بأنّهمْ يُمكنُ أنْ يَجدوا حلاً لكُلِّ مُشكلاتِهمْ، وأنَّ العالمَ مِثاليٌّ ونقيٌّ يَخلو منَ التَّعقيدِ والصُّعوباتِ والأزماتِ المُعقَّدةِ، بلْ هوَ عالَمٌ مُتوازنٌ وعَميقٌ فيهِ الخَيرُ والشرُّ، وتحكُمهُ أنظمةٌ وقوانينُ قدْ لا يَبدو بعضُها مثاليًّا مِنْ وجهةِ نظرِهمْ، لكنَّنا أمامَ حياةٍ يُمكنُ أنْ يكونَ لنا بصمَةٌ في رسمِ كثيرٍ منْ ملامحِها، مِنْ خلالِ تحديدِ الأهدافِ والعملِ على تحقيقِها، فالخيرُ والحُبُّ والعدالةُ موجودةٌ، والشرُّ والظُّلمُ مَوجودانِ، وهُما يَسيرانِ جنبًا إلى جنبٍ ما دامتْ هذهِ الحياةُ مُستمرَّةً فليسَ كلُّ مَنْ على هذهِ الأرضِ يعيشُ بحُبٍّ وهَناءٍ، وليسَ كلُّ منْ عليها تُعساء، هيَ مُعادلةٌ كونيّةٌ يجبُ أنْ يتمَّ طرحُها بواقعيّةٍ، بحيثُ لا يكونُ الطَّرحُ مِنْ وراءِ قِناعٍ يُخفي ملامِحَ الواقعِ، الذي يُفترضُ أنْ يكونَ اليافعونَ على اطّلاعٍ عليهِ في المَرحلةِ العُمريّةِ الفرعيّةِ الثّالثةِ على الأقلِّ فقدْ أصبحوا يُدركونَهُ، معَ حِرصِ الكاتبِ المُطلقِ على دَيمومَةِ بثِّ الأمَلِ وحُبِّ الحَياةِ والنَّظرةِ الإيجابيّةِ لكلِّ أشكالِ الطّموحِ والأُمنياتِ، والتّعاطي معَها بتفاؤلٍ وعزيمةٍ وإرادةٍ قويّةٍ قادرةٍ على قهرِ كلِّ التَّحدياتِ.

ثانيًا: الصّراعُ والتّشويقُ: لا بدَّ أنْ يكونَ الصّراعُ في أدبِ الفتيانِ بكلِّ أشكالِهِ،

بما فيهِ الصّراعُ الدّاخليُّ، عَميقًا قادرًا على الجَذبِ والإثارةِ، بحيثُ يكونُ وسيلةً منْ وسائلِ الانسجامِ والاهتِمامِ بتتبُّعِ أدقِّ التَّفاصيلِ، بعيدًا عنْ السَّردِ الطَّويلِ الذي قَدْ يُوقعُ الكاتبَ في فخِّ المَللِ، والاعتمادِ بشكلٍ أعمقَ على توظيفِ التّشويقِ بشكلٍ كبيرٍ، بحيثُ يُفضي في كلِّ حلقةٍ منْ حلقاتهِ إلى فضاءٍ جديدٍ، لهُ احتمالاتٌ عَميقةٌ ومختلفةٌ سيّدُها التّأويلُ، الذي يحثُّ اليافعَ على التّفكيرِ والتّحليلِ ووضعِ حُلولٍ أو توقُّعاتٍ مُحتملةٍ تُفضي إلى فكِّ خُيوطِ الحَبكةِ وتشابُكِها.

ثالثًا: التَّنويعُ في أشكالِ الطّرحِ: إنَّ التّنويعَ في أشكالِ الطّرحِ في أدبِ الفتيانِ، يلعبُ دورًا كبيرًا في تَلبية ذائِقةِ أكبر شَريحةٍ مُمكنةٍ منْ هذهِ الفئةِ، لذَلكَ يجبُ التّنويعُ في الطّرحِ، وتوفيرُ جُملةٍ مُتكاملةٍ منْ أشكالهِ، منْ خيالٍ علميٍّ، ومُغامراتٍ وأحداثٍ شيّقةٍ، واكتشافاتٍ وتجاربَ علميّةٍ، ومُغامراتٍ غريبةٍ وعجيبةٍ، والخوضِ في عُمقِ التّاريخِ والحضاراتِ، وأنْ نتطرّقَ إلى موضوعاتٍ تَهُمهمْ، مثل: الصّداقةِ، والتّواصلِ معَ الآخرينَ، والبحثِ عنْ الذّاتِ، وقُبولِ الآخرِ، والدّينِ، والموتِ، والأسرةِ، والحُلمِ بالمُستقبلِ المُشرقِ، والمُوسيقى، والفنّ، والسّينما، والرّياضةِ، والسّياسةِ، وفرصِ العملِ، والسّفرِ، والتّراثِ الشّعبيّ الغنيّ بالكَثيرِ منَ القصصِ الجميلةِ والعبرِ، ونسجِ عالَمٍ ملؤهُ الدّهشةُ والخيالُ، والقَـفزُ خلالَ مَجرى الحَدثِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ ومنْ زمانٍ إلى زمانٍ.

رابعًا: التّركيزُ على لُغةِ الخطابِ والطّرحِ: أصبحَ منَ المُتّفقِ عليهِ أنَّ ثمّةَ أسلوبُ طَرحٍ، وقاموسٌ لُغويٌّ خاصٌّ بفئةِ الفتيانِ، رغمَ عدمِ وجودِ مَرجعٍ حقيقيٍّ يُحدّدُ ملامِحَ ذلِكَ القاموسِ، وبُنيته وآليّة تطويرهِ، كونَ الأمر يختلَفُ منْ ثقافةٍ إلى أخرى بينَ شعوبِ العالمِ المُختلفةِ، وبحسبِ التّقسيمِ الفرعيِّ لِلمراحلِ العمريّةِ لفئةِ الفتيانِ، بحيثُ تُصبحُ ثلاثَ فئاتٍ يَجمعُ بينَها الكثيرُ منَ المُصطلحاتِ، ولُغةُ الخطابِ والسّردِ والتّواصلِ، إلا أنَّ ثمّةَ ما يجعلُ لكلِّ فئةٍ مِنها خصوصيّةً مُعيّنةً، علينا الأخذُ بها عندَ التّحديدِ الدّقيقِ لِلفئةِ العمريّةِ المُستهدفةِ، ومنها الاطّلاعُ على مُفرداتِ ذلكَ القاموسِ، منْ خلالِ لُغةِ الخِطابِ والتّواصلِ التي تستخدمُها الكتبُ المدرسيّةُ لكلِّ فئةٍ فرعيّةٍ، ومجالسةِ المُعلّمينَ والتّربويّينَ خلالَ لقاءاتِهمْ معَ مجموعةِ الطّلبةِ، وبحسبِ كلِّ فئةٍ فرعيّةٍ للفتيانِ؛ لإثراءِ لُغةِ التّواصُلِ والخِطابِ لدى الكاتبِ وبحسبِ الفئةِ المُستهدفةِ، وهذا لا

يُنقصُ أبدًا منْ شأنِ الأديبِ والكاتبِ أو يقللُ منْ عُمقِ مهارتهِ وسِعةِ اطّلاعهِ، بلْ يشكّلُ شراكةً حقيقيّةً معَ فئةٍ مهمَّةٍ جدًّا منْ فئاتِ المُجتمعِ – وهم المُعلّمونَ والتّربويّونَ– الذينَ همْ على تَماسٍ دائمٍ ومُباشرٍ معَ فئةِ الفتيانِ.

خامسًا: سلامةُ اللُّغةِ: إنَّ سلامةَ اللُّغةِ مُهمَّةٌ جدًّا عندَ الكِتابةِ للفتيانِ؛ لأنّها تُمكّنُ الكاتبَ منْ التّواصُلِ بشكلٍ واضحٍ ودَقيقٍ معَ اليافعِ، كما أنّها تُظهرُ احترامَ الكاتبِ للفتيانِ، واهتمامَهُ بتقديمِ مُحتوىً عالي الجودةِ لهُمْ، ويجعلهمْ أكثرَ تقبُّلاً للمُحتوى الذي يُقدّمهُ، وهذا يَسمحُ لهمْ بالتّركيزِ على المُحتوى والاستفادةِ منهُ بشكلٍ أكبرَ، فمثلاً عنْد الكتابةِ للفئةِ الفرعيّةِ الثّانيةِ والثّالثةِ للفتيانِ منْ (14– 16) سنة، ومنْ (16 – 18) سنة، وهيَ الفئاتُ التي يكونُ فيها الفتيانُ قدْ تمكّنوا بشكلٍ جيّدٍ منْ اللّغةِ، يُفضّلُ ألا نُقدمَ لهُمْ النصَّ مَشكولاً شَكلاً كاملاً، بلْ يَقتصرُ التّشكيلُ على الحُروفِ التي يُحتملُ أنْ يُخطئَ اليافعُ في قراءتِها، وبالتّأكيدِ يكونُ الضّبطُ أعمقَ عندَ الفئةِ العمريّةِ الفرعيّةِ الأولى منْ (12 – 14) سنةٍ، بحيثُ يكونُ الشّكلُ أكثرَ دقّةٍ، معَ مُراعاةِ المَواضعِ المُهمَّةِ كذلكَ.

* مَلامِح مِن أدبِ الفتيانِ الأُردُنيِّ:

تُعدُّ التّجربةُ الإبداعيّةُ الأردنيّةُ فيما يخصُّ أدبَ الفتيانِ، تجربةً عميقةً ومُتوازنةً إلى حدٍّ كبيرٍ، فقدْ استطاعَتْ مجموعةٌ مُميّزةٌ منَ الكُتّابِ والأدباءِ الذينَ يكتبونَ للفتيانِ في الأردنِّ، أنْ يكونوا سُفراءَ إبداعٍ وتميُّزٍ، امتلكوا أدواتِ الكتابةِ لهذهِ الفئةِ العمريّةِ المُهمّةِ بكلِّ خصائِصِها ببراعَةٍ وإتقانٍ، فكانَ نتاجُهمْ الإبداعيُّ حاضرًا ومُنافسًا بقوَّةٍ، مُتربّعًا على عَرشِ أهمِّ الجوائزِ المَحليَّةِ والعربيّةِ والعالميّةِ في هذا المَجالِ، فنحنُ أمامَ مَجموعةٍ منَ التّجاربِ الإبداعيّةِ العَميقةِ، التي استطاعتْ أنْ تُحاكيَ التّركيبةَ الفكريّةَ والنّفسيّةَ التي تُعنى باليافعِ، لتكونَ قريبةً منْ عالمِهِ وطريقَةِ تفكيرهِ وفلسفتِهِ في فهمِ الحياةِ، وتاليًا أهمُّ الإبداعاتِ التي حَصلتْ على جوائزَ مُهمّةٍ في مجالِ أدبِ الفتيانِ الأردنيِّ، والتي شكّلتْ نقلةً نوعيّةً في هذا النّوعِ منَ الطّرحِ الأدبيِّ:

عندَما يقفُ المُتأمّلُ أمامَ تَجربةِ الكاتبةِ تغريد النجّار، والتي تُرجمت كثيرٌ منْ أعمالِها إلى لُغاتٍ أجنبيّةٍ، كالإنجليزيّةِ والفرنسيّةِ والسويديّةِ والتّركيّةِ والصّينيّةِ،

يجدُ نفسَهُ أمامَ جُملةٍ منَ الأعمالِ الرّوائيّةِ المُهمّةِ المُوجّهةِ للفتيانِ، وهيَ: (لمَنْ هذهِ الدُّمية؟، ستُّ الكُلّ، لغزُ عينِ الصّقر، ستُشرقُ الشّمسُ ولو بعدَ حينٍ، أبي السّجينُ 118، قُبَّعةُ رغدة)، وهيَ أعمالٌ روائيّةٌ استطاعتْ بجودَةِ أفكارِها وعُمقِ رسائِلها، أنْ تكونَ قريبةً كلَّ القُربِ منَ القارئِ، مُشكِّلةً حالةً منَ الانسجامِ معَ الواقعِ الذي يعيشُهُ اليافِعُ بأدقِّ التّفاصيلِ دونَ أيّ تكليفٍ، بعدَ أنْ أشرعَتْ كلَّ نوافذِ التّواصلِ معَ هذهِ الفئةِ العمريّةِ منْ: فِكرةٍ ولُغةٍ، وأسلوبِ طرحٍ، وتشويقٍ يحترمُ مخيّلةَ اليافعِ، ويحلّقُ بها في فضاءاتِ التّأويلِ، بعيدًا عنْ أسلوبِ السّردِ الطّويلِ غيرِ المُبرّرِ، وغيرِ القادرِ على شدِّ انتباهِ القارئِ، فاليافعُ المُطلُّ على هذهِ الأعمالِ الأدبيّةِ، يجدُ نفسَهُ أمامَ طرحٍ غنيّ قادرٍ على استفزازِ مُخيّلةِ اليافعِ، وحثّهِ على البَحثِ والتّفكيرِ العَميقِ كما هوَ الحالُ في روايةِ «أبي السّجين 118» حيثُ يجدُ بطلُ الرّوايَةِ حُسام نفسَهُ أمامَ تحدٍّ كبيرٍ لإثباتِ براءَةِ والدِهِ. وفي روايةِ «ستُشرقُ الشّمسُ ولوْ بعدَ حين» ، أدركَتْ «شادِنْ» بطلَةُ الرّوايةِ – وهيَ كابتن فريقِ كُرةِ السلّةِ في مدرستِها – أنَّ عالمَها سيتغيّرُ كُليًّا، وأنَّ عليها أنْ تكونَ قويّةً وتتحمّلُ مسؤوليّةً تفوقُ خبرتَها في الحياةِ، هلْ ستَستطيعُ الصُّمودَ أمامَ الصّعابِ والوصولَ إلى برِّ الأمانِ؟ جُملةٌ منَ التّساؤلاتِ التي تَضعُها الكاتبةُ أمامَ اليافعِ، لتجعلَهُ شريكًا حقيقيًّا في كلِّ ما يَدورُ منْ أحداثٍ في فضاءِ هذهِ الرّوايةِ. وفي روايةِ «ستّ الكُلّ» ، التي تدورُ أحداثُها في مدينةِ غزّةَ، نَجدُ أنفسَنا أمامَ بطلةٍ منْ نوعٍ خاصٍّ «يُسرى» ذاتِ الخمسةَ عشرَ ربيعًا، هذهِ البطلةُ اليافعةُ التي تجدُ نفسَها أمامَ تحدٍّ كَبيرٍ، وأمامَ مُفترَقِ طُرقٍ وجُملةٍ من المُتغيّراتِ التي تقودُها لاكتشافِ أحدِ أهمِّ أسرارِ الحياةِ، بطلةُ الرّوايةِ «يُسرى»، التي عاشَتْ صِراعًا عميقًا معَ نفسِها لِتنجحَ بأنْ تكونَ مُلهِمةً وقادرَةً على التّغييرِ. أمّا روايةُ «لمَنْ هذهِ الدُّميةِ؟»، وهيَ الرّوايةُ الفائِزةُ بجائزةِ اتّصالات لِلعامِ 2019، فنحنُ أمامَ طرحٍ منْ نوعٍ مُختلفٍ، تناولَ عدّةَ أجيالٍ، ووظَّفَ المكانَ والزَّمانَ ببراعَةٍ فَريدةٍ، وطَرحَ جُرحَ الوطنِ بشاعريّةٍ عاليةٍ، مُرورًا بمجموعةٍ منَ الأحداثِ، كانتْ بطلتاها كلٌّ منَ الجدّةِ «ليلى» والفتاةِ اليافعَةِ «أروى»، التي سَعتْ لِمعرفَةِ كيفَ وصلَتْ هديّتُها منْ مدينةِ يافا إلى مدينةِ شيكاغو بمُساعدَةِ صديقتِها الأميركيّةِ، «أروى»، التي تَعيشُ صراعًا داخليًّا بسبب تناقُضِ ثقافتَي عالَمَينِ تعيشُ فيهما، عالمِها في الولاياتِ المُتّحدةِ، وعالمِها الآخر في لبنانَ، حيثُ تمتدُّ جُذورُها لعائلةِ والدِها، الذي فُقدَ في أحداثِ لبنانَ، منْ خلالِ سَردِ الذّكرياتِ على صُورةِ التُقطَتْ في يافا، وما زالَتْ «ليلى»

تَحتفظُ بِها في برواز في غُرفةِ الجُلوسِ، تَظهر ليلى في الصُّورةِ وهيَ تَحضنُ دُميَتها «سالي»، لتأتي هذهِ الرّوايةُ لتطرحَ مَجموعةً منَ الأسئلةِ المُهمّةِ التي تُجيبُ عليها أحداثُ الرّوايةِ، ومنْ أهمّها: هلْ يُعتبرُ اختلافُ الثّقافاتِ بينَ الشُّعوبِ حاجزًا بينَها أم حافزًا للتّعرُّفِ على الآخرِ وإثراءً للتنوُّعِ؟

وعنْ تَجربةِ الدّكتورةِ سناء الشّعلان، الحاصلةِ على نحوِ (66) جائزة دوليّة وعربيّة ومحليّة وإقليميّة، في حُقولِ: الرّوايةِ، والقصّةِ القَصيرةِ، وأدبِ الأطفالِ، والتي تُرجمَتْ أعمالُها إلى كثيرٍ منْ لُغاتِ العالَمِ المُختلفةِ، والتي تَمتلكُ مَجموعةً كَبيرةً منَ الأعمالِ الرّوائيّةِ المُهمّةِ، التي استطاعتْ أنْ تُثبتَ وجودَها وتفرضَ حضورَها على السّاحةِ الأدبيّةِ العربيّةِ بجدارةٍ عاليةٍ، نقفُ عندَ قصة: «أصدقاء ديمَة» ، الحاصلةِ على جائزةِ كتارا عنْ فئةِ روايةِ الفتيانِ غيرِ المَنشورةِ للعامِ 2018، تناولَتْ فيها الكاتبةُ موضوعَ إرادةِ الأطفالِ مِنْ (ذوي القُدراتِ الخاصّةِ)، على أنْ يَندمجوا في الحياةِ منْ خلالِ الإيمانِ بإمكاناتِهمْ وقُدراتِهمْ التي يَملكونَها، على الرّغمِ منْ التّحدّي الكبيرِ الذي يَعيشونَهُ بسببِ إعاقاتِهمْ، وهذهِ القصة التي تُؤكّدُ على ضرورةِ صَحوةِ الضميرِ الإنسانيِّ اتّجاهَ هذهِ الشّريحةِ مِنَ المُجتمعِ، وعلى أهميَّةِ أنْ يُؤمنَ الإنسانُ بضرورةِ تَحقيقِ حُلمِهِ وأمانيهِ مهما كانتْ التّحدياتُ كبيرةً، إنَّ هذا العملَ الأدبيَّ قدْ اكتملتْ فيهِ كلُّ عناصرِ البناءِ والطَّرحِ، منْ فكرةٍ ولُغةٍ وأسلوبٍ وخِبرةٍ عميقةٍ لكاتبةٍ مُحترفةٍ، راعَتْ بمَهارةٍ عاليَةٍ خُصوصيَّةَ هذهِ الفئةِ العُمريّةِ، وآليّةَ مُخاطبتِها وفقَ قاموسِ سَردٍ لُغويٍّ مُحكمٍ، كانَ قادرًا على أنْ يَنسجَ الأُلفةَ معَ اليافعِ، مُرورًا بمجموعةٍ كبيرةٍ منَ الأحداثِ التي استَحضرتْ مجموعةً منَ التّجاربِ الحقيقيّةِ، التي عاشَتها شخصيَّاتٌ تاريخيَّةٌ ومُعاصرَةٌ، كانتْ لديها إعاقاتٌ لكنَّها بعزمِها وقوّةِ إرادتِها، استطاعَتْ أنْ تقهرَ العَجزَ بالتَّحدّي والإرادةِ. وفي دراسةٍ تحليليَّةٍ عَميقةٍ حولَ قصة «أصدقاء ديمة؟»، للأُستاذِ الدّكتورُ إبراهيم الكوفحي منَ الجامعةِ الأردنيّةِ، يقولُ فيها: «هذهِ القصّةُ هيَ سياحةٌ خياليّةٌ في عوالمَ مُختلفةٍ، انتقلَ الأبطالُ إليها منْ خلالِ الفجواتِ النُّورانيَّةِ المُنطلقَةِ منْ نظريّاتِ الفَجواتِ الزَّمانيَّةِ، التي يَعتقدُ بعضُ العُلماءِ أنَّها مَوجودةٌ في أماكنَ شتّى مِنْ جغرافيا الأرضِ، ويُمكنُ الانتقالُ بواسطتِها إلى عوالِمَ وأزمانٍ مُوازيةٍ أو ماضيةٍ أو مستقبليةٍ» ، انتهى الاقتباسُ. بطلَةُ هذهِ القصة «ديمة»، التي كانتْ تُعاني منْ «مُتلازمةِ داونْ» كانتْ شُجاعةً وقويَّةً، لديها عَزيمةٌ كبيرةٌ، وهيَ بطلةٌ تُمثّلُ نموذجًا في غايةِ

الأهميَّةِ لأبطالِ الأعمالِ الأدبيَّةِ الموجَّهةِ للفتيانِ، وهيَ تُشكّلُ لهُمْ رمزًا وقُدوةً إيجابيَّةً، تبثُّ فيهِمْ كثيرًا منَ الأملِ والعَزيمةِ والعملِ بإرادةٍ لقَهرِ التَّحدياتِ.

وفي حالةٍ إبداعيّةٍ نوعيّةٍ تمثّلتْ في تجربةِ الدّكتورِ راشد عيسى فيما يخصُّ أدبَ الفتيانِ، كانَ أهمّها رواية «لمْ أكُنْ أتوقّعُ»، والصَّادرةُ عنْ دارِ دجلةَ عام 2017، والتي وصلَتْ إلى القائمَةِ القصيرَةِ في جائزةِ الشّيخ زايد، وقصَّة «واحِدَةٌ تكفي»، الصَّادرة عن البَنكِ التّونسيّ، والفائزة بجائزةِ مصطفى عزّوز عام 2011، نجدُ أنَّنا أمامَ عَملٍ شكَّلَ نقلةً نوعيّةً في أدبِ الفتيانِ الأردني، مِنْ خلالِ طرحِ موضوعٍ في غايةِ الأهميّةِ، وطالما كانَ خلفَ السّتارِ، وهوَ حينما تكونُ الأُسرةُ هيَ العائقُ الحقيقيُّ وراءَ الإبداعِ، تدورُ أحداثُ قصة «واحِدةٌ تكفي» حولَ قصَّةِ طفلٍ يُدعى «سَلمان» – بعينٍ واحدةٍ– يعيشُ في مَغارةٍ على أطرافِ وادي عَبدون، في ظروفٍ معيشيّةٍ قاسيةٍ جدًّا، وفقرٍ شديدٍ، معَ أبٍ مُقعدٍ، وقاسٍ لِلغايةِ، يَمرُّ بأزمةٍ نفسيَّةٍ صَعبةٍ، وأُمٍّ تَسعى جاهدةً في كلِّ صباحٍ للعَملِ كخادمَةٍ، لتأمينِ ما يلزمُ منْ طعامٍ، لكنَّ الفقرَ الشّديدَ وضيقَ الحالِ والأزمةَ النّفسيّةَ التي لازمَت الأبَ، تدفعُ بِهِ إلى أخذِ قرارٍ يَجزمُ بتركِ سَلمان للمَدرسةِ رغمَ تفوُّقِهِ الدّراسيِّ.

ويتمُّ ذلكَ رغمَ رَفضِ سلمان ومحاولاتِ الأمِّ المُستميتةِ للحَيلولةِ دونَ ذلكَ، لكنْ دونَ فائدةٍ فهيَ لا تملكُ أيَّ رأيٍ، وشخصيّتُها ضعيفةٌ ومنهزمةٌ جدًّا أمامَ قراراتِ الأبِ الجائرَةِ، وتبدأُ الأحداثُ بالتَّسارُعِ بشكلٍ كبيرٍ ومُتصاعِدٍ، لتُجسّدَ عزمَ وإرادةَ الطّفلِ سلمان على كَسرِ كلِّ هذهِ القُيودِ وقهرِها، والإصرار على المُضيِّ قُدمًا نحوَ تحقيقِ أهدافِهِ.

وعنْ تجربةِ الدّكتورِ محمود أبو فروةِ الرّجبي في مجالِ الرّوايةِ للفتيانِ، فثمَّةَ مجموعة كبيرة من الأعمالِ الرّوائيةِ المُهمَّةِ التي كَسرتْ حاجزَ حساسيةِ الطّرحِ، وبرعَتْ في تسليطِ الضّوءِ على كثيرٍ منَ المُشكلاتِ التي قدْ يتعرّضُ لها اليافعُ في هذهِ المرحلةِ العُمريّةِ، ومنها روايةُ «جودْ في مَهبِّ الريحِ»، الصّادرةُ عنْ دارِ الفُرسانِ للنّشرِ والتّوزيعِ عام 2017، وهيَ تتحدّثُ عنْ مُشكلاتِ البناتِ في سنِّ المُراهقةِ. وقصّة «نحلُم برغيف» والتي حُولتْ إلى عملٍ دراميٍّ فازَ بالجائزةِ الذّهبيّةِ في مهرجانِ الأردنِ الإعلاميِّ الأوّلِ 2010، وهيَ قصة مُهمّةٌ ركّزتْ على مُعاناةِ الشُّعوبِ التي تُعاني الفقرَ والاضطهادَ، لتؤكّد القصة في رسالتِها أنَّ الفائزَ هوَ الذي يبقى على قيدِ الحياةِ.

وعند تَجرِبَةِ الكاتب رَمزِي الغزَوي، نَقِفُ أمامَ حالَةٍ إبداعيَّةٍ بنكهةٍ خاصّة، فقد استطاعَ مِن خِلالِ أعمالِه الرِّوائيَّةِ المُوجَّهةِ لِلفتيانِ، أنْ يُبرهِنَ أنْ لا حُدودَ تَحكُمُ الفِكرةَ، والإطلالةُ مَفتوحةٌ على مِصراعَيها أَمامَ البحثِ والتَّأويلِ، مِنْ خِلالِ طَرحِ تَجارِبَ عِلميَّةٍ ومعلوماتٍ فيزيائيَّةٍ تَحُثُّ على التَّفكيرِ خارِجَ الصُّندوقِ، ومِنْ أهمِّ تِلكَ الرِّواياتِ «قِرشٌ فِي كَأسِ ماءٍ»، و«قمَر وَرد»، الفائِزةُ بِجائِزةِ عَبد الحَميد شُومان لِلعام 2014.

وأمامَ تَجرِبَةِ الكاتبةِ فداء الزُّمر في أدبِ الفتيانِ، نقفُ أمامَ قصّةِ «جوارب الحَكايا»، الفائِزةِ بالمَرتبةِ الأولى في مُسابقةِ عبدِ الحميد شومان للعام 2022، حيثُ نَسجتْ هذهِ القصّةُ عالمًا غنيًّا بالدّهشةِ والمُغامرةِ والخَيالِ، ضمنَ سياقِ طَرحٍ دراميٍّ حاكى مُخيّلةَ الطّفلِ بكُلِّ أبعادِها، وأثبتَ أنْ لا حُدودَ تحكُم فضاءَاتِه، حيثُ تدورُ أحداثُ القصّةِ المُشوّقةُ داخلَ جواربِ الجدّةِ التي تَمتلئُ بالعَفاريتِ كُلّما قصّت الجدّةُ حِكايةً جديدة، وفي أحدِ الأيّامِ تَصطادُ هذهِ العفاريتُ الطّفلَ ليَدخُلَ عبرَ الجورَبِ إلى عالمٍ غريبٍ وعجيبٍ، فيهِ منَ العفاريتِ أشكالٌ وألوانٌ، وبعدَ أنْ يَعيشَ مَجموعةً منَ المُغامراتِ الشيّقةِ، يعودُ الحفيدُ إلى بيتِ جدّتِه، ويَرتدي جوربَها ويبدأُ في قصِّ حكاية، لتبدأَ رحلةٌ جديدةٌ داخِلَ الجَوربِ، بطلُها هذهِ المرّةِ الجدّة.

أمّا روايةُ «أرضِ الحكاياتِ» للكاتبةِ أسماء زيتون والفائزة بجائزةِ خليفة التّربويّةِ/ فئة التّأليفِ التّربويِّ للطّفلِ 2023، تطرحُ الكاتبةُ تساؤلاً يُثيرُ شهيّةَ الطّفلِ على القِراءةِ بذكاءٍ كبيرٍ في مطلعِ روايتِها، وهوَ: هلْ فكّرتَ يومًا بالدُّخولِ إلى الحكايةِ، وتَغييرِ أحداثِها لتُصبحَ أكثرَ سعادةً وإنسانيّةً؟ لتبدأ بعدَها رحلةٌ منَ المُغامراتِ والأحداثِ، التي يَعيشُها فتىً في السَّادسة عشرة منْ عُمرِه، يَتعرّضُ لحادثٍ مُؤسفٍ، ليتلقّى بعدَها هديَّةً ثمينةً وهيَ عبارةٌ عنْ مَجموعةٍ منَ الكُتبِ، ليكتَشفَ أنَّ ثمّةَ علاقةٌ بينَ أحلامِه وبينَ العِبَرِ في القصصِ التي يقرأها، حيثُ يقومُ بطلُ الرّوايةِ بزيارةِ أرضِ الحكاياتِ، ليعيشَ أحداثَها ويتحكّمَ في نِهايتِها.

ومنَ المُؤكّدِ أنَّ ثمّةَ كثيرٌ منَ التّجاربِ الإبداعيّةِ النّوعيّةِ في أدبِ الفتيانِ الأردنيِّ، التي لمْ تفُزْ أو أنّها لمْ تُشاركْ في جوائز، خطّها عددٌ منَ الأدباءِ الأردنيّينَ، وعلى مدارِ سنواتٍ طويلةٍ منَ الإبداعِ والعَطاءِ، والذينَ حصلوا على كثيرٍ منَ الجوائزِ في مجالاتٍ أُخرى في أدبِ الأطفالِ، نذكرُ منها روايةَ «الثّلاثة الشُّجعان»، لمُؤلّفِها

الكاتب محمد جمال عمرو، حيثُ نجحَ الكاتبُ في صياغةِ لُغةِ حوارٍ تَتناسبُ معَ الفئةِ المُستهدفةِ، وقد طرحَ مِحورًا مُهمًّا تُفضّلُهُ فئةُ الفتيانِ، وهوَ عُنصرُ التّشويقِ منْ خلالِ مُغامراتٍ تفاعليّةٍ تقومُ بها مَجموعةٌ منَ الفتيانِ، في إطارِ طَرحٍ عَميقٍ يَستَندُ على صِناعةِ الدّهشَةِ ببراعَةٍ وإتقانٍ. ونقفُ كذلكَ أمامَ تَجربةٍ عَميقةٍ للكاتبةِ أُميمة النّاصر، والتي صدرَ لها روايتانِ للفِتيانِ، هُما: «حِكايةٌ في البتراءَ»، و«نصفُ قلبٍ مَكسورٍ»، نجدُ أنّنا أمامَ لُغةٍ شاعريّةٍ تُحاكي القُلوبَ، وهيَ قادرةٌ على أنْ تكونَ قريبةً بصدقِ مَشاعرِها منَ الطّفلِ اليافعِ، لتُلامسَ روحَهُ ووجدانَهُ، وهُنا أقتبسُ بعض العِباراتِ منْ على غِلافِ روايةِ «نصفُ قلبٍ مَكسورٍ»: «حينَ أفاقوا على الحَياةِ، وجدوا أنفسَهُمْ أطفالاً مَتروكينَ منْ آبائِهِمْ، ليُواجهوا قَدرهمْ داخلَ بيوتٍ خاصّةٍ تُؤويهمْ إلى سنٍّ مُعيّنةٍ. لمْ يَعرفوا شكلَ الحياةِ خارجَ أسوارِ تلكَ المَنازلِ، وفي سنِّ الثّامنة عشرة يَضطرّونَ لمُغادرتِها، ليواجِهوا المُجتمعَ والحَياةَ بلا أيِّ خبرةٍ سابقةٍ.. طريقٌ شائكةٌ تلكَ التي يَمشيها هؤلاءُ، ما يُضيفُ مُعاناةً أخرى إلى قائِمةِ شقائِهِمْ الذي بدأَ مُبكرًا، لكنْ هُناكَ دائِمًا قوةٌ كبيرةٌ يَستحضرُها الإنسانُ في داخلِهِ؛ إنّهُ الأملُ الذي يَمنعُ منَ السُّقوطِ في اليأسِ»، انتَهى الاقتباسُ. وبالطّبعِ ثمّةَ كثيرٌ منَ الأُدباءِ الأردنيّينَ الذينَ كانتْ لهُمْ بصماتُهمْ الإبداعيّة المُميّزة على أدبِ الفتيانِ الأردنيِّ، أذكُرُ مِنهُمْ لا على سَبيلِ الحَصرِ الكاتبة: هيا صالح، والكاتبة عبير الطّاهر، والكاتبة سناء الحطّاب، والكاتبة روضة الهُدهد، والكاتبة هالة النّوباني، والكاتبة صفاء الحطّاب، والكاتبة هوازن القاضي وغيرهن كثير.

* تَحدِّيَاتُ الكتابةِ لِلفِتيان:

تُعدُّ الكتابةُ للفتيانِ عمليّةً صعبةً، تحتاجُ إلى كثيرٍ منَ الخِبرَةِ والثّقافةِ والمَهاراتِ المُتعدّدةِ التي يَجبُ أنْ يَمتلكَها الكاتبُ، بالإضافةِ إلى بَعضِ التّحدّياتِ التي قدْ يتعرّضُ لها، ومنْ أهمّ تلكَ التّحدياتِ:

أوّلا: ضعفُ التّسويقِ لهذا النّوعِ المُهمِّ منَ الأدبِ، حيثُ إنَّ كثيرًا منْ دورِ النّشرِ تُفضّلُ نشرَ قصصِ الأطفالِ أو الأدبِ المُوجّهِ للكِبارِ، وذلكَ يَعودُ لعواملَ عِدّة منها: عدمُ إقبالِ هذهِ الفئةِ على القِراءةِ، أو ربّما هُروبًا منْ حساسيةِ الطّرحِ الذي قدْ يلجأُ إليها الأدباءُ عندَ الكتابةِ لهذهِ الفئَة.

ثانيًا: صُعوبةُ إقناعِ القارئِ في هذهِ المَرحلَةِ العمريّةِ المُهمّةِ، بأهميّةِ القراءَةِ في ظلِّ إقبالِهم المُفرطِ على استِخدامِ وسائلِ التّواصُلِ الاجتماعيِّ، وقضاءِ مُعظمِ أوقاتِهمْ في التّفاعُلِ معَ الأجهزةِ الإلكترونيّةِ المُختلفَةِ.

ثالثًا: تُعدُّ هذهِ المرحلةُ العمريّةُ منَ المَراحلِ المُهمّةِ على مُستوى الدّراسةِ، وكثيرٌ منَ الفتيانِ لا يَستطيعونَ تَنظيمَ أوقاتِهمْ بشكلٍ جيّدٍ لإيجادِ وقتٍ كافٍ للقِراءَةِ في ظلِّ الواجباتِ المدرسيّةِ الكثيرةِ، والامتحاناتِ المُزدحمَةِ على مدارِ العامِ الدّراسيِّ.

رابعًا: عدمُ الدّرايَةِ الكافيّةِ بأهميّةِ هذا النّوعِ منَ الأدبِ عندَ الأُسرَةِ.

خامسًا: عدمُ التّواصُلِ المُباشرِ بما يَكفي معَ هذهِ المَرحلَةِ العُمريّةِ مِنْ قِبلَ الأدباءِ، للوقوفِ على احتياجاتِ هذهِ الفئةِ الفكريّةِ والعاطفيّةِ، والاكتفاءُ فقط بما لدى الكاتبِ مِنْ خِبرةٍ وثقافةٍ ومعلوماتٍ ودراساتٍ أكاديميّةٍ، والتي قدْ تكونُ مُتغيّرةً حسبَ المكانِ والزّمانِ.

سادسًا: حساسية الطّرحِ في كثيرٍ منَ الموضوعاتِ التي يتطلّعُ إليها اليافعُ، وخُصوصًا في المَرحلَةِ العُمريّةِ الفرعيّةِ الثّالثةِ، وعدمُ التّطرُّقِ لها منْ قبَلِ الأُدباءِ بحرفيّةٍ ومنطقيّةٍ، بما يتناسبُ معَ العاداتِ والتّقاليدِ المُجتمعيّةِ، بدافعِ الخَوفِ منْ رُدودِ أفعالِ المُجتمعِ، الذي يَجعلُ القُرّاءَ يَعتقدونَ أنَّ هذا العملّ أقلّ منْ مُستَوى تفكيرِهِمْ، وأنّهُ لا يُلبّي طُموحاتِهمْ، ولا يُغذّي احتياجاتِهمْ الفكريّةَ والعاطفيّةَ، وبالتّالي يلجؤون لِلقراءّةِ في أدبِ اليافعينَ المُترجَمِ.

سابعًا: التّجديدُ والإبداعُ، حيثُ إنَّ الفتيانَ يَبحثونَ دائِمًا عنْ قصصٍ جديدَةٍ ومُبتكَرةٍ، لذا يجبُ على الكُتّابِ في مجالِ أدبِ الفتيانِ، أنْ يكونوا قادرينَ على تقديمِ قصصٍ فيها أفكارٌ تَستحوذُ على انتباهِ القُرّاءِ، تجعلُهمْ يُقبلونَ على القِراءَةِ.

* التَّوصيات:

أوّلا: التّنسيقُ معَ وزارةِ التّربيةِ والتّعليمِ – مديريّة المّناهجِ، لغايةِ إدراجِ أدبِ الفتيانِ في المّناهجِ التّعليميّةِ، وذلكَ منْ أجلِ تّعريفِ الطُّلابِ بهذا النّوعِ منَ الأدبِ وأهميّةِ قراءَتِهِ.

ثانيًا: زيادةُ أعدادِ المُسابقاتِ والجوائزِ الخاصّةِ بأدبِ الفتيانِ، وذلكَ منْ أجلِ تَشجيعِ الكُتّابِ على كتابةِ أعمالٍ جيّدةٍ في هذا النّوعِ منَ الأدبِ.

ثالثًا: التّركيزُ على النّقدِ البنّاءِ والمّوضوعيِّ، الذي يُسهمُ في تطويرِ هذا النّوعِ منَ الأدبِ مِنْ قبَلِ نُقّادٍ أكاديميّينَ مُتخصّصينَ في هذا المَجالِ.

رابعًا: العملُ على زيادةِ المُحتوى الرّقميِ لهذا الأدبِ بشكلٍ أكثرَ فاعليّةٍ.

خامسًا: الاستماعُ إلى الآراءِ والتّغذيةِ الرّاجعَةِ الواردةِ منَ القُرّاءِ، والأخذُ بها بوعيٍ واهتمامٍ كبيرَينِ.

سادسًا: التّواصلُ المُباشرُ معَ القُرّاءِ في هذهِ المَرحلةِ العُمريّةِ، منْ خلالِ وسائلِ التّواصُلِ الاجتماعيِّ، أو المَدارسِ أو التّجمُّعاتِ الأدبيّةِ والثّقافيّةِ، ومُحاورتُهم والاستماعُ إلى اقتراحاتِهمْ ومُشكلاتِهمْ وآرائِهمْ، والتّعرُّفُ على طريقةِ تَفكيرِهمْ.

سابعًا: العملُ على تَفعيلِ دورِ الأُسرةِ، وتوعيتِها بأهميّةِ هذا الأدبِ ودورهِ الفاعلِ في تَطويرِ شخصيّةِ أبنائِهمْ، وقُدرتهِ على مُعالجةِ كثيرٍ منَ الأُمورِ ضمنَ سياقٍ أدبيٍّ مُتوازنٍ.

ثامنًا: تَنظيمُ ورشٍ تفاعليّةٍ، تَجمعُ بينَ الكُتّابِ والأدباءِ منْ جهةٍ، والمُعلّمينَ في المَدارسِ منْ جهةٍ أخرى، للخُروجِ بتَوصياتٍ مُشتركَةٍ حولَ أهمِّ الموضوعاتِ التي يجبُ تناولُها في أدبِ الفتيانِ، ذلكَ أنَّ فئةَ المُعلّمينَ هيَ الفئةُ الأقربُ لهذِهِ الشّريحةِ.

المصادر والمراجع:

1) رواية «أبي السجين 118» للكاتبة تغريد النجار الصادرة عن دار السلوى 2022.

2) رواية «ستشرق الشمس ولو بعد حين» للكاتبة تغريد النجار الصادرة عن دار السلوى 2017.

3) رواية «ست الكل» للكاتبة تغريد النجار الصادرة عن دار السلوى 2013.

4) رواية «لمن هذه الدمية؟» للكاتبة تغريد النجار الصادرة عن دار السلوى 2019.

5) رواية «أصدقاء ديمة» للكاتبة الدكتورة سناء الشعلان الصادرة عن دار كتارا للنشر 2019.

6) رواية «لم أكن أتوقع» للكاتب الدكتور راشد عيسى الصادرة عن دجلة 2017.

7) قصة «واحدة تكفي» للكاتب الدكتور راشد عيسى الصادرة عن البنك العربي التونسي 2011.

8) قصة «جود في مهب الريح» للكاتب الدكتور محمود أبو فروة الرجبي الصادرة عن مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع 2017.

9) قصة «نحلم برغيف» للكاتب الدكتور محمود أبو فروة الرجبي.

10) رواية «قرش في كأس ماء» للكاتب رمزي الغزوي الصادرة عن وزارة الثقافة الأردنية 2022.

11) رواية «قمر ورد» للكاتب رمزي الغزوي الصادرة عن مؤسسة عبد الحميد شومان 2014.

12) رواية «الثلاثة الشجعان» للكاتب محمد جمال عمرو الصادرة عن مؤسسة بيت الأفكار الدولية 2000.

13) رواية «نصف قلب مكسور» للكاتبة أميمة الناصر الصادرة عن دار شان للنشر والتوزيع 2023.

14) كتاب «رواية الفتيان» للكاتب نجم عبد الله كاظم الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2021.

منظور العمل الإنساني وأدب الطفل في الأردن

أ. آية يونس[1]

تعصف الأزمات ببلادنا العربية وتجبرنا على إعادة النظر بطرق تعاملنا مع الاضطرابات النفسية من القلق والصدمة والاكتئاب التي تلقي بظلالها علينا وعلى أطفالنا.[2] تجلى ذلك بوضوح في مجال ثقافة الطفل عندما أجلت الحرب في سوريا 6.3 مليون إنسان[3]، ولا سيما في الأردن، الذي استضاف 1.3 مليون لاجئ في المدن الأردنية والمخيمات الثلاث الأزرق والزعتري والإماراتي[4]. تستحوذ الأزمات على اهتمام المؤسسات الإنسانية والجهات المانحة والتي بدورها تصمم مشاريع تخاطب اللاجئين بشكل أساسي والمجتمعات المستضيفة بشكل ثانوي. تتناول هذه المقالة إيجابيات وسلبيات بعض من إنتاجات العمل الإنساني لأدب الطفل في الأردن استجابة للحرب في سوريا، وذلك بمناقشة كيف تتيح هذه المشاريع الإنتاجات بأعداد كبيرة لكنها تأتي مستعجلة ولا توضح القارئ المستهدف، أو تنشر القصص لكن بحبكة غير متقنة وغالباً نمطية ومكررة، أو تنتج الرسوم لكن بمحدودية في التعبير. كذلك تبحث

---

(1) تعمل في مجال الابتكار والتعلّم غير الرسمي وأدب الأطفال. (عُرِض جزء من هذه الورقة في مؤتمر أدب الأطفال العربي: الحركة النقدية في عمان عام 2018 بتنسيق وإدارة مؤسسة تامر).

(2) للتوسع أكثر حول أثر الحروب في اليافعين.

K. Barber, *Adolescents and War: How Youth Deal with Political Violence*. Oxford, UK: Oxford University Press, 2008.

(3) لمعلومات أكثر عن أزمات اللجوء في العالم https://www.mercycorps.org/articles/worlds-5-biggest-refugee-crises، يوليو / تموز، 2018.

(4) لمعلومات عن وضع اللاجئين السوريين في الأردن https://data2.unhcr.org/en/situations/syria/location 14 سبتمبر / أيلول 2018.

المقالة في أمثلة من تاريخ أدب الطفل العربي الذي أنتج في سياق الحروب والنزاعات وتقارن بين المحتوى والإنتاج والتمويل.

سبّب اللجوء السوري تضاعف حجم المنح والمساعدات المقدمة للأردن أربع مرات، حيث ارتفع بعد اندلاع الحرب في سوريا عام 2011 من 700 مليون دولار ليتجاوز 3 مليار دولار في عام 2017، وجاء 47٪ منها لتمويل خطة الاستجابة الأردنية للأزمة السورية ووصلت قيمتها إلى 1.7 مليار دولار أمريكي[1]. عادة ما تملي المنح والمساعدات الخارجية أولويات وشروط نفقات الدول المستقبلة لتخدم مصالح أو أهداف الدول والجهات المانحة للمساعدات والمنح. يرى اقتصاديون أن المنح والمساعدات الخارجية شكل حديث من الاستعمار يسمح للدول المانحة بنشر نفوذها الثقافي والفكري في الدولة المستقبلة[2]. تصبح هذه المنح والمساعدات أكثر خطورة عندما تستحوذ على اهتمام المؤسسات المحلية أو تتفوق عليها في النفوذ الذي تتسرب به إلى التعليم والثقافة. وفعلاً توجهت بعض هذه المشاريع لإنتاج أدب الطفل في الأردن.

في الأردن، تعمل حوالي أربعين منظمة دولية إنسانية وتنموية في مجال التعليم[3]، تضع وتنفذ برامجها بشكل مباشر أو من خلال مؤسسات المجتمع المحلي. لكل برنامج هدف خاص؛ يركز بعضها على التعليم غير الرسمي أو على تدريب المعلمين أو توجيه الدعم النفسي الاجتماعي أو تنظيم نشاطات ترفيهية. على إثر

---

(1) «ملخص حول المساعدات الخارجية المتعاقد عليها للأردن للعام 2017»، موقع وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الأردن، سبتمبر 2018.

http://www.mop.gov.jo/EchoBusV3.0/SystemAssets/pdf/Foreign%20aids%20pdf/FA%202017%20report%20Arabic%20March2018.pdf

(2) Alberto Alesina, and David Dollar, “Who gives foreign aid to whom and why?”, *Journal of Economic Growth*, 5(1), 2000, p 33-63. http://nrs.harvard.edu/urn-3:HUL.InstRepos:4553020.

(3) Colette Salemi, Jay A. Bowman, and Jennifer Compton, “Services for Syrian Refugee Children and Youth in Jordan: Forced Displacement, Foreign Aid, And Vulnerability”, *The Economic Research Forum*, 2018, P 37 & 38.

الأزمة السورية، توجهت هذه المشاريع لمخاطبة أو معالجة أو تمثيل حالات اللجوء والظروف التي استدعت أو رافقت رحلات اللاجئين أو استقرارهم في المجتمعات المستضيفة، وتسللت هذه المواضيع إلى أدب الطفل الذي لم يتجنب تذكير اللاجئين السوريين بصور ظروف معيشتهم الجديدة.

مما لا شك فيه أن اهتمامات وخبرة المؤسسات الإنسانية في أدب الطفل ساهمت في تنمية أدب من شكل دون آخر. ذلك لأنه غالباً ما جاءت هذه المشاريع كاستجابة سريعة للظروف الطارئة لتقديم برامج تعليمية تستهدف الأطفال، ولم تهدف بشكل رئيسي إلى تطوير أدب الطفل مما أثر على نوعية ومحتوى الأعمال التي أنتجتها. نذكر منها مشروع مؤسسة «مساحة للقراءة» (Room to Read) الذي أصدر عشرين قصة مصورة للأطفال اللاجئين السوريين من عمر (7–11) في عام 2017.[1] بدعم من مؤسسة دبي العطاء، نفذ المشروع ورشتين تدريبيتين في عمان استخدمتها لكتابة النصوص ثم رسم القصص بأيدي مبدعين مقيمين في الأردن. ثم تعاون مع ثلاثة دور نشر أردنية: جبل عمان ناشرون، ودار الياسمين، ودار روائع المجدلاوي، على طباعة هذه القصص في 600 ألف نسخة.

كان للمشروع آثار إيجابية، منها تشغيل المبدعين المحليين وتحفيز اهتمامهم بأدب الطفل واللجوء، وكذلك توزيع نسخ القصص مجاناً في مخيمات اللاجئين السوريين والمجتمعات المستضيفة لهم والمدارس الحكومية في الأردن، لتصبح بذلك متاحة لكثير من الأطفال وعائلاتهم ممن قد لا يملكون فرصة الذهاب إلى المكتبات وشراء القصص أو الكتب. لكن سلبيات المشروع بدأت من ضيق الوقت الذي خصص لكتابة القصص (أربعة أيام)، ولم يخصص وقتاً لفهم مراحل نمو الطفل أو استعراض هوية الطفل السوري، أو النظر في تجارب أدبية سابقة في أدب الطفل العربي بمقابل النظر في قصص إنجليزية. كذلك ركزت نتائج الورشة على تشجيع اندماج الأطفال اللاجئين في المجتمع الجديد، وتقبل الاختلاف، وأخلاقيات حسن

(1) خبر نشر على موقع مؤسسة «مساحة للقراءة»، 20 يونيو / حزيران 2017.
http://www.roomtoread.org/the-latest/room-to-read-accelerator-brings-500-000-arabic-children-s-books-to-jordanian-students-syrian-refugees

الجوار من قبل أطفال المجتمع المستضيف، وغاب بشكل ملحوظ موضوع الحرب في سوريا والتحديات التي مر بها الأطفال أثناء تحركهم، وآثار ذلك على واقعهم الجديد. كذلك أدى اقتصار غالبية المشاركة على المؤلفين والفنانين المقيمين في الأردن إلى محدودية في القصص والصور والتعبيرات والتجارب.

عند الحديث عن أدب الطفل في ظل سياقات الحروب والتهجير لا بد من تذكر تجربة «دار الفتى العربي»، وكيف أثر اللجوء الفلسطيني على ظهور أدب طفل عربي في القرن العشرين. عام 1974، ارتأت منظمة التحرير الفلسطينية إطلاق «مشروع يعنى بالأطفال وأدبهم»، وانطلق على إثر ذلك مشروع «دار الفتى العربي» في بيروت عبر تسجيل شركة بهذا الاسم ساهم فيها 15 رجل أعمال عربي. في منشور من معرضها الذي أقيم مطلع العام 1975، وصفت الدار نفسها بأنها تسعى لإنتاج كتب تسهم في «تثقيف الطفل وتعريفه بالمعالم الحضارية المحيطة به، وزرع القيم الأخلاقية في نفسه، وتربيته بروح عربية قومية إنسانية، وتنمية حسه الجمالي وقدرته على التذوق الفني وروح الإبداع والابتكار»[1]. وبما أن مشروع «دار الفتى العربي» ولد على إثر النكسة وتهجير موجة ثانية من الفلسطينيين، فقد ركزت منشورات الدار على مواضيع ترمز إلى التمسك بالأرض وحب الحرية وقسوة التهجير ورفع الوعي الوطني وبث روح الثورة في الأطفال، ولو بشكل غير مباشر. شارك عدد من المبدعين العرب في صياغة رؤية هذا المشروع وقيادته، وقدموا أعمالاً متنوعة للأطفال بالكتب التي نشرتها «دار الفتى العربي»، الأمر الذي صنع تجربة جديدة تناغم بين الأدب والفن تخيل فيها عرب بمختلف أطيافهم شكل «العناية» بأطفال فلسطين.

طبعت كتب «دار الفتى العربي» في بيروت، وتوزعت على مدن عربية شتى لا سيما في دول الخليج العربي والعراق ومصر والأردن. تنوعت إصدارات الدار بحسب أعمار القراء واستمرت في إصداراتها مدة عشرين عاماً. كانت الإدارة في «دار الفتى العربي» تبيع مجموعات الكتب للمقتدرين أو المهتمين بدعم القضية الفلسطينية من الأفراد والشركات، ثم تقوم بتوزيع هذه المجموعات المَبيعة كهدايا على دور الأيتام والمخيمات والمدارس المحدودة الدخل. كذلك شاركت الدار في معارض الكتاب

(1) نجلا جريصاتي، «حول أدب الطفل»، شؤون فلسطينية، العدد 77، ص 195.

العربية وباعت نسخاً مباشرة للجمهور.

يمكن ملاحظة اختلافات جوهرية بين «دار الفتى العربي» ومشاريع النشر المرتبطة باللجوء السوري في الأردن. على سبيل المثال، يمكن مقارنة بعض القصص التي تناولت مفهوم البيت ورمزية الوطن بين قصة «البيت» منشورات «دار الفتى العربي» من عام 1974، وقصة «بيتي» من مشروع (مساحة للقراءة) من عام 2017. يوظف الكاتب زكريا تامر والرسام محيي الدين اللباد العلاقة بين ستة حيوانات وأسماء مساكنها الطبيعية لتمهيد الحديث عن بيت الإنسان الذي يمنحه الطمأنينة والسعادة. وهي مشاعر يمكن للطفل فهمها عبر تجارب حياته اليومية. يتجلى الهدف الأساسي من القصة عندما تسأل بصراحة «أين هو بيت الفلسطيني»، ثم تقول مباشرة للطفل الفلسطيني وغيره ممن يقرأ القصة؛ أن للفلسطيني بيتاً وأن خيمة اللجوء ليست بيته. توظف القصة الوضوح ونبذ الواقع المَعيش؛ لتعزز عند الأطفال وعيهم بالانتماء الفلسطيني والتمسك بحقهم في العيش في بيتهم.

تطرح قصة «بيتي» أفكاراً تساعد الطفل في تقبل فكرة الانتقال من بيته والتأقلم مع المتغيرات التي تطرأ في حياته، وهي من تأليف لما عازر ورسوم جهاد غرايبة وإصدار جبل عمان ناشرون عام 2017. يبدأ النص بعرض علاقة أربعة حيوانات بمساكنها قبل أن تسرد قصة على لسان طفلة اسمها «فرح». كلما وصفت «فرح» بيتها، استعملت صيغة النفي بدلاً من تأكيد النفع، مثلاً يتكرر على لسان الحيوان أو «فرح» أن البيت «يبعد عني الحر والبرد والخطر والضجيج حينما أنام/ ننام/ ينامون». لا يحضر في النص أي أسباب لما حدث مع فرح ويترك للطفل مسؤولية استنباط الأسباب من قصص الحيوانات التي وردت في القصة، أو لماذا لم يبعد عنها بيتها في سوريا الخطر أو كيف سبب غيابه ضرراً لها. وبينما يشير النص إلى التهجير الذي تعرضت له «فرح»، فإن عقدة القصة تتلخص في قدرة الطفلة على حمل بيتها معها أينما ذهبت، دون أن يحدد صراحة أن التهجير متعلق بسوريا، أو يذكّر بانتماء الطفلة إلى وطنها وحقها بالعيش فيه أو ماذا يمكن لمنزلها الجديد أن يتشابه أو يختلف عن بيتها الأصلي. كما نسيت القصة أن الأطفال السوريين فقدوا أشخاصاً من عائلاتهم في الحرب عندما ذكرت أن «فرح» تسكن مع من تحب في منزلها الجديد.

في قصة «البيت» دعوة صريحة إلى استعادة البيت الفلسطيني باستخدام الكفاح المسلح، الأمر الذي يراه التربويون والعاملون في مجال حقوق الطفل غير مناسب للأطفال. لسنا هنا في معرض أن نناقش توجه الكتابة لترويج رؤية دون غيرها بما يخص المقاومة والتحرير وحق العودة وغيرها من علاقات التمسك بفلسطين كوطن. إلا أننا نشير لخطورة طرح أفكار مشابهة قد تدفع خيال الأطفال وفضولهم للعب بأسلحة تعرضهم أو تعرض أصدقاءهم للخطر، خصوصاً أن قصة «البيت» لا تشرح دور الطفل في عملية التسلح التي يروج لها، ولا تضع حلاً عملياً بين يدي القارئ الصغير، ويمكن اعتبار ذلك مأخذاً على القصة. كما فعلت ذلك قصة «بيتي»، إذ لم توفر للطفل حلاً عملياً للتعامل مع رحيله من منزله، واكتفت بتذكيره بقدرته على بناء منزل من جديد في مكان جديد مع أصدقاء جدد، دون التطرق للمشاعر التي تغمر الأطفال الذين يتعرضون للصدمات وما قد يرافق ذلك من مشاعر عدم الأمان والخوف والذنب (بسبب النجاة).

تجنبت بعض إصدارات (مساحة للقراءة) طرحاً مباشراً لحيثيات الحرب التي أنتجت قصص اللجوء السوري، وربما صنعت أدباً بسّط مشكلة الطفل اللاجئ ولم يوفر أفكاراً فعالة لمساعدته في تجاوز صدمته. ركزت بعض القصص على التخيل، وربما دفع ذلك الأطفال إلى العيش في عالم موازٍ لواقعهم، ليس فيه مرجعية لهويتهم وبيئتهم الأصلية. مثلاً في الصفحة الأولى من قصة «سلمى والبرتقالة»، تأليف هيا منصور ورسوم غادة جرمي وإصدار دار روائع مجدلاوي للنشر عام 2017، تصل طفلة اسمها «سلمى» إلى المخيم، «بيتها الجديد» كما تشير إليه القصة، مع حقيبة وقطة. في الصفحات اللاحقة، وعلى أقمشة جدران الخيمة التي تسكن فيها، تبدأ «سلمى» برسم شجرة برتقال تعزيها عن شجرة في ساحة دارها التي هجرتها. تتابع سلمى رسم أشجار البرتقال الذي تتحول استخداماته إلى موضوع القصة، مثلا يتحول مرة إلى طبلة ومرة أخرى إلى وجه ضاحك. لا نقرأ ربطاً واضحاً لهذا الخيال باستخدامات حقيقية لمشاكل قد تواجه الطفل اللاجئ في المخيم. مثلاً، لا يوفر المخيم ما يؤوي سكانه من البرد أو الثلج أو المطر، بينما تروي القصة كيف تقي ورقة البرتقال «سلمى» من المطر. ولا حرج في ذلك إلا أنه في النهاية، تأخذ بطلة القصة البرتقالة لتريها بلدها الذي يبدو من بعيد بلا أي دمار، مما يدفعنا للتساؤل هل جاء ذكر الوطن بالنهاية شكلياً

فقط لأننا لا نفهم كيف ولماذا هجرته «سلمى» أصلاً، ولم لا تعود إليه. وهنا يتجلى كيف أن عمليات الكتابة التي حصلت أثناء ورشة من أربعة أيام حدت من إنجاز قصص متعمقة، وأنتجت روايات مبتورة تعتمد على معرفة سابقة وعامة.

تؤكد قصة «البيت» عودة الفلسطيني لبيته وتطرح الكفاح المسلح وسيلة للعودة، وهو بحد ذاته مسؤولية كبيرة يتحملها الطفل أو أهله. بينما توحي قصتي «بيتي» صراحة و«سلمى والبرتقالة» ضمنياً أن بإمكان الطفل بناء بيت في أي مكان جديد ببساطة. وتغفل الصدمات النفسية التي يعيشها الطفل وذووه بسبب الحرب والتهجير، وتضع عليهم مسؤولية التأقلم مع الواقع الجديد دون طرح حلول عملية أو واقعية لذلك، وتغفل التحديات التي تواجه اللاجئين في المضي بحياتهم بل بنائها من جديد في بلاد ومجتمعات جديدة. وبينما لا تأتي قصة «سلمى والبرتقالة» على ذكر المستقبل بشكل ملموس، فإنها تخاطر باعتبار المخيم بيت الطفل الجديد. إذا ما كانت هذه هي الأدبيات التي يقرأها الطفل في المخيم، فإنها منفصلة عن الأسئلة التي قد تتبادر إلى ذهنه أثناء عيشه حالة اللجوء: لماذا أنا هنا؟ وماذا حصل لبيتي؟ وهل سأعود له يوماً؟ وأين سأعيش لاحقاً؟ وهل المخيم بيت؟ وما هو البيت أصلاً؟ ناهيك عن الأسئلة: هل يمكن أن أكون سعيداً بدون بيتي؟ وهل بيتي (وطني) هو هويتي؟ وهذه السرديات لا توفر معرفة للطفل في المجتمع المستضيف عما حصل في سوريا، ولماذا يعيش الأطفال في المخيم، وماذا يعني ذلك بالنسبة له، وهل يمكن أن يحصل معه شيء مماثل مثلاً؟.

كذلك ينقص هذه الأدبيات مهارة تناول خصوصيات الحضريات والجغرافيات والاقتصاديات واللغات واللهجات التي تعامل معها اللاجئون على تنوع رحلات تحركهم ومصائرها. مثلاً، العيش في مخيم الزعتري في شمال الأردن يختلف عن العيش في مخيم أقجة قلعة في جنوب تركيا أو في أوروبا. كما تختلف الرحلات التي سلكها اللاجئ للوصول للمنطقة الجديدة وما تضمنت من عبور حواجز أمنية أو أراضي واسعة أو بحار هائجة. هذا يعني اختلاف في مخيلة اللاجئ السوري الذي يعيش في الجزء الشرقي من مدينة عمان واتخاذه وظيفة خباز أو خياط أو بلّيط، من ذلك الذي يعيش في الجزء الغربي من المدينة أو في القاهرة أو في بيروت ويعمل في

نفس الوظائف. أو أقرانهم الذين اجتازوا البحر الأبيض وساروا على الأقدام في غابات أوروبا وشراسة الدول الفقيرة منها إلى أن استقروا في مخيمات أو مواقع عمل/ سكن في ألمانيا. وربما شاركوا في الرحلة مع فنانين وأطباء وعجائز وأطفال، وربما شهدوا على ضياع أو موت بعضهم. ناهيك عن تجربة الحرب نفسها والصدمة والتعامل مع المسلحين والمتفجرات وقصص النجاة من عدمها التي يحملونها. وما هي الروائح والأصوات والألوان والأخبار والأسماء والمياه، وفوق ذلك المشاعر التي تستثار، سلباً وإيجاباً، عندما تعود هذه العناصر لتظهر بشكل أو آخر في حياتهم من بعد. وما هي متناقضات النجاة والتعافي والتراضي والتمسك والتفاعل والانسجام والانضباط التي يطالبون بها بشكل يومي. وكذلك التحولات التي استحدثوها في المواقع التي وصلوا إليها من جودة الخدمات ونظافة المظهر وسرعة التعلم والبديهة.

عندما تقود مؤسسات العمل الإنساني مشاريع إنتاج أدب الطفل العربي، بدل التطور الطبيعي لاهتمام الأدباء والفنانين والمجتمع نفسه بإنتاج هذه الأدبيات، تحضر احتمالية ظهور أعمال بدون معايير أدبية راسخة أو قرابة مع الذين يعيشون الأحداث، وقد تعزز معرفة عند الطفل مرجعها نظرة الراعي المموِّل القائد للمشروع بدلاً من حثّ الطفل على صياغة تجربته كفرد يعيش هذه التجربة. يقدم زكريا تامر في «الحمامة البيضاء»، رسوم عدلي رزق الله وإصدار دار الفتى العربي عام 1975، تصوراً آخر للبيت عبر رحلة حمامة أمّ في البحث عن فرخها المفقود. تركز القصة على تفاصيل إضافية من المشاعر، الخوف والقلق، الغضب والتحفيز، التعاطف والحب. يعكس طيف المشاعر هذا التطور العاطفي الذي يخوضه الأطفال أثناء نموهم. تركز القصة على مفهوم العودة إلى البيت بشكل واضح عندما تشير إلى أن الحمامة الصغيرة وجدت الراحة والأمان في عشها، وهنا يسهل للأطفال فهم مثل هذا الاستنتاج. يهتم زكريا تامر بتقديم الأجوبة المشجعة للأطفال وتوجيه عواطفهم نحو مشاعر إيجابية. كان يمكن للقصة أن تروى على لسان الحمامة الصغيرة، وحبذا لو كان فيها بعض الفكاهة، لكانت أقرب للطفل ومكنونه النفسي الذي يحب التعرف على قصص من هم بسنه أو أكبر بقليل.

«عالم همام» هي قصة مصورة من تأليف منيرة صالح ورسوم روان صدر

وإصدار دار الياسمين عام 2017 ضمن مشروع (مساحة للقراءة). تناقش القصة مفهوم البيت من زاوية مختلفة؛ حيث يرسم بطل القصة، همام، بيته على شكل مخيم للاجئين، يفضل العزلة ويرفض المشاركة في الأنشطة اليومية في المدرسة أو المرسم. تحوم فقاعة حول رأس همام وتخبرنا عن أفكاره. لا تذكر القصة أية تفاصيل عن هذه الفقاعة، ويتبدى لنا أنها ربما أفكاره الانطوائية. تختفي هذه الفقاعة عندما يقرر في النهاية أن يذهب إلى المدرسة ويصادق الأطفال. تترك القصة مساحة واسعة لتساؤلات القارئ، وربما تغذي مثل هذه المحفزات خياله لكنها تستوجب تعاوناً أكبر بين نوايا المؤلف التي تترجمها الكلمات والصور وبين قدرة الطفل على تأويلها. من الجلي أن دافع القصة مساعدة الطفل على التأقلم مع ظروف حياته الحالي، إلا أنها لا توفر خوضاً أعمق لفهم انطواء همام أو تصرفاته، وبذلك لا يمكن للطفل القارئ المشاركة الفعالة باقتراح حلول يتخيلها لمشكلة همام. الخطير أيضاً أن تحتوي القصة على أخطاء في النص والرسوم؛ فمثلاً، لا يبني طائر الهدهد عشه من القش كما هو مصور في القصة، بل داخل جحور في الأشجار، ولا يرمز الهدهد عادة لسوريا، ولا توجد أي أشجار في المخيمات في الأردن إن كانت المقصودة في الرسومات. مرة أخرى، بينما تحاول إصدارات القصص معالجة البيئة المفقرة التي وضع فيها الأطفال، فإنها تحصرهم في عوالم أشد فقراً وتفوت فرصة الأدب على صياغة أوصاف أدقّ أو رفد المخيلة برسوم مثقفة أو متفردة في تجربتها، أو تصورهم في حالة ضعف شديد لمن يقرأ القصص من الأطفال في المجتمع المستضيف.

وهنا لا يمكن أيضاً مقارنة رسومات مشروع (مساحة للقراءة) ولا حتى رسوم أدب الطفل المعاصر بتلك التي أنتجتها «دار الفتى العربي» ما بين ظهورها عام 1974 وانتهاء مشروعها عام 1994. تعكس رسومات «دار الفتى العربي» أساليب الفنانين العرب الذين حملوا مشروع الثقافة البصرية العربية على عاتقهم في ذلك الوقت، بحثوا في أصولها ومستجداتها وما تستورد وما يمكنها أن تجدد، وزرعوا أعمالهم في عدة مدن وإصدارات عربية كانت تتطور في تلك الفترة. رسم للدار محيي الدين اللباد وحجازي وبهجت وغيرهم من الرسامين العرب الذين فتحت أعمالهم آفاقاً جديدة للنصوص التي رسموها، وبغض النظر عن تفضيلات جماليات ممولي الدار أو مشتري الكتب. بينما، ورغم تفاوت جودة رسومات إصدارات مشاريع العمل

الإنساني في العقد الماضي، يبدو أن عدداً منها رسم ليعكس وجهة نظر الجهة المانحة، أكثر من اللاجئين أنفسهم. مثلاً صوّرت رقعاً على ملابس الأطفال في إشارة نمطية إلى الفقر، وزادت على ذلك رسوم الخيم بكثرة وكأن لا شيء آخر في المخيم أو كأن أربعة أخماس اللاجئين لم يسكن في المدن. وقلّما، إن لم يكن أبداً، ليجد القارئ رموزاً بصرية تشير إلى أي من موطنهم في سوريا. تعكس هذه الرسوم مشاريع الثقافة التي ينهل منها الرسامون أنفسهم وكذلك رؤية مشروع العمل الإنساني الذي لم يطور بشكل حقيقي علاقته مع تعقيدات اللجوء وتمثيلاته.

وإن نجحت قصة «طائرة تمطر حباً»، تأليف وفاء القسوس ورسوم كامل عادل وإصدار جبل عمان ناشرون عام 2017 ضمن مشروع (مساحة للقراءة)، بتقديم رسالة مشوّقة تربط بين فكرة الحرب ورسالة السلام. عندما يسأل الطفل «سامر» عن سبب الحرب، تخبره والدته عن أطماع بعض البشر في استلاب القوة بدلاً من بنائها بالحوار والحقوق. تحاول هذه الجزئية الإجابة على تساؤلات الأطفال حول أسباب الأحداث العنيفة التي غيرت حياتهم، وفي معرضها هذا ربما تحاول توجيه رسالة إيجابية تعزز من قيم التعاون والتسامح وحلول السلام. وكلها قيم مهمة تساعد الطفل على تخيل عوالم يمكن أن ينبذ فيه العنف وكيف يمكن للحق والخير والمحبة أن تجنب أطفالاً آخرين الويلات التي يعيشها الأطفال الآن.

يُظهر تحول في نص القصة جمالية اللغة العربية، وكيف يحول حرف واحد أداة القتل إلى رمز للسلام، وذلك عندما تتحور طائرة «حرب» إلى طائرة «حب». يسهم مثل هذا اللعب على اللغة في تطوير علاقات لغوية بين المفاهيم، وترفيه يمكنه أن يحفزهم على البحث عن كلمات أخرى بنفس العلاقات. كذلك يبسط هذا اللعب تخيل أفكار إيجابية حيال استبدال المواقف السلبية بأخرى إيجابية. على ذات النسق، يلاحظ أن رسومات القصة مصممة بعناية وتُبرز عناصر من سوريا وثقافتها وبيوتها وأشجارها، ويعكس كل هذا جمال البلاد والأمل في إعادة بناء الوطن بعد انتهاء الحرب. تضيف الرموز أبعاداً أخرى إلى القصة تجعلها أكثر واقعية وارتباطاً بالهوية الثقافية والأهداف الأخلاقية. وحبذا لو أنتجت المشاريع الإنسانية مزيداً من القصص التي تناولت اللجوء بهذه الحساسية والإبداع.

قد لا يقوم على إدارة المؤسسات والمشاريع الإنسانية أدباء، أو ربما أفراد على اطلاع أدبي وقد لا يقرأون أو يتحدثون العربية أصلاً. يحدّ ذلك حتماً من فهم دقيق للغة النصوص ومن أي معرفة بإصدارات سابقة أو التحقق من أصالة فكرة القصص الجديدة. تتشابه بعض قصص المشروع بشكل كبير مع قصص منشورة سابقاً، فمثلاً تشبه قصة «بيتي» قصة «أريد أن أكون سلحفاة»، تأليف أمل فرح ورسوم أسامة أبو العلا وإصدار دار شجرة عام 2015. في هذه القصة تروي فتاة فلسطينية كيف تحب لو كانت سلحفاة لتحمل بيتها معها أينما ذهبت، وتقدم قصة ««بيتي» نفس العقدة ولو بتفاصيل أقل. حصلت قصة أمل فرح على جائزة الاتصالات من معرض الشارقة للكتاب عام 2016 أي أنها قصة متاحة أو معروفة للعاملين بأدب الطفل. كذلك ورد تشابه كبير بين قصة «شعري منكوش أحمر»، تأليف يزن المصاروة ورسوم فلاين وإصدار جبل عمان ناشرون عام 2017، وقصة «شعر أحمر مجعد»، تأليف أميمة عز الدين ورسوم هذار سنقنقي وإصدار دار أصالة عام 2015. تروي القصتان، مع اختلاف التفاصيل، حكاية طفل أصهب يحزنه تنمر الآخرين على لون شعره، ويحاول خلال القصة تجريب تغيير أو إخفاء شعره، ليحظى بقبول الآخر وحبه. توارد الخواطر وتشابه الأفكار بين المبدعين أمر حتمي لكن هنا يتجلى دور المحررين الأدبيين ودور النشر الذين عليهم أن يتأكدوا من أصالة الأفكار قبل المضي بالنشر أو التنويه لأي تشابهات مع حكايات مشهورة. وهنا يطرح السؤال، لماذا لم تدقق دور النشر في أصالة المحتوى علماً بأن هذه الدور تشارك في معارض الكتاب العربية باستمرار. ربما شعر الناشرون بعدم ملكيتهم للمحتوى بسبب ظروف تمويل عمليات تكليف الكتابة والرسم والإخراج والتوزيع. أو ربما نص العقد على أن (مساحة للقراءة) ومن تعيّنهم من محررين يتخذون القرارات بحسب ما يرونه مناسباً.

وظف مشروع (مساحة للقراءة) عام 2017 (19) كاتباً و(20) رساماً، وعليه فإنه قدم بداية مشجّعة للمؤلفين والرسامين الناشئين في مجال أدب الطفل في الأردن، وأشركهم في ورشات الكتابة ونشر القصص وهي فرص لا تأتي بسهولة للكتاب والرسامين الناشئين في الأردن. ساهمت هذه المبادرات في اكتشاف مواهب جديدة ووضعها في تفاعل مع الآخرين في صناعة كتب الأطفال، ومكنت عدداً منهم من اتخاذ ذلك كمسيرة مهنية، انعكس ذلك بدون شك على تنوع القصص والرسومات

المقدمة في المشروع بالمبدأ، وشجعت المشاركة في المشروع تطوير مهارات البحث والقراءة والتعرف على خصوصيات اللجوء السوري والتعامل مع سياقاته. استخدمت هذه المعرفة لاحقاً عندما عاد المشروع إلى الأردن لإنتاج مجموعة قصصية أخرى عام 2019 بالتعاون مع مشروع أهلا سمسم، وهو مشروع بين لجنة الإغاثة الدولية مع ورشة سمسم. كان هدف المجموعة القصصية الجديدة أكثر وضوحاً واستهدف التركيز على مناقشة فهم المشاعر وإدارتها. وصدر عن المشروع اثنتا عشرة قصة مصورة وزعت في الأردن وسوريا والعراق ولبنان وتتوفر على الموقع الإلكتروني للمشروع.

تعلمت (مساحة للقراءة) أن لا تحد التواصل المباشر بين المؤلفين والرسامين كما فعلت في الورشة الأولى عام 2017، وشجعت في ورشة أهلا سمسم على الحوار البناء بين المؤلف والرسام. خططوا في لقاءات ثم تبادلوا الملاحظات بعدما أنهى الرسامون تصوير القصص. قد تكون الورشة الأولى خلقت توقعات غير واقعية عند المؤلف حول انتهاء دوره بعد الانتهاء من التفكير في القصة وكتابة النص، بينما كان من الضروري دمج ذلك مع خطة تفكير تشمل تصور المنتج النهائي وتجربة الطفل مع الكتاب. وفي أحيان طلبت الورشة منه تغيير النص ليتماشى مع التغييرات التي قدمها الرسامون وربما شوه ذلك النص الأصلي ورسالته. ويضطر المؤلفون في هذه الأحوال إلى قبول التعديلات مأسورين بحيثيات العقود التي وقعوها مع الجهات المكلفة وهي نفسها الجهات الممولة التي تتحكم في بنود العقد ومنتجات الورشات. كذلك منحت هذه العقود أجوراً سخية للمؤلفين الناشئين، إذا ما قورنت بالأجور التي تدفعها دور النشر العربية. ولا نوافق على تدني الأجور، إلا أن ضخ ميزانيات ضخمة وغير متوازنة في إنتاج أدب الطفل العربي رفعت سقف توقعات المشاركين من مشاريع لاحقة، دون الأخذ بعين الاعتبار حجم خبرتهم في هذا المجال، ولن نتتبع في هذه المقالة أثر هذا الأمر على أدب الطفل في الأردن.

في الوقت نفسه، تجعلنا هذه المشاريع نرى تأثيراتها الإيجابية في بعض الجوانب. مثلاً، لاحظنا نمواً في عدد المبادرات التعليمية والثقافية التي تستهدف الأطفال في هذا السياق. إن إشراك الأطفال في هذه العمليات التعليمية والثقافية ليس

مجرد إجراء استجابة، بل تحفيز لتطوير مهاراتهم وإشاعة الأمل في عقولهم. ومن هذا المنطلق، يمكننا القول إن الأزمات قد ألقت بظلالها على تشكيل الثقافة، ولكنها في الوقت نفسه ساهمت في إثرائها من خلال فهم أهمية التركيز على الأجزاء الإيجابية والبناءة في هذه التجارب الحياتية.

ومن التجارب الناجحة في هذا الموضوع، كان مشروع «خارج أسوار المتحف»، وهو مشروع متنقل، من مشاريع متحف الأطفال/ الأردن، يتألف من ستّ مسرحيات علمية تقدم أساسيات العلوم بقالب كوميدي. سافرت هذه المسرحيات العلمية إلى الأطفال من عمر (6–18) سنة في مخيمات اللاجئين والمجتمعات المستضيفة لهم في الأردن والمستشفيات في عمان. تم تقديم (83) مسرحية بين أبريل 2017 ومارس 2018. جاء المشروع بدعم خارجي من منظمة «قلب للأطفال» وهي مؤسسة ألمانية تعنى بتقديم الدعم في داخل ألمانيا وخارجها. بحث متحف الأطفال/ الأردن في ظروف الأطفال في المخيمات والمستشفيات، كما تحدث إليهم وتعلم عن رحلتهم التعليمية، وأنتج ست مسرحيات تقدم العلوم ببساطة وفكاهة تجعل الطفل ينغمس في التجربة. كما راعى فريق متحف الأطفال الصدمات التي مر بها الأطفال وتجنب أصوات انفجارات عالية. قد تذكرنا تجربة متحف الأطفال/ الأردن بالقصص العلمية لصنع الله إبراهيم التي صدرت عن دار الفتى العربي.

نشرت دار الفتى العربي سلسلة مكتبة الروايات العلمية وهي الأولى من نوعها بتحويل المعلومات الصعبة إلى قصص مشوقة. يشيد الباحث الفلسطيني إسماعيل الناشف في كتابه «طفولة حزيران» على نجاح سلسلة الروايات العلمية بمزج الواقع والخيال والأدب والعلم لإنتاج نصوص بسيطة ورشيقة تروي قصص الحيوانات والطيور والنباتات. على الرغم من عدم استهداف أعمال صنع الله إبراهيم الطفل الفلسطيني بشكل رئيسي، فإن أصالة الروايات وابتكار نوع جديد من الأدب يساعد الأطفال العرب جميعهم على بناء معرفة ثقافية وتقارب بينهم وبين العلوم. مما يساعم في تحفيز الفضول لدى الأطفال دون الضغط على امتهان العلوم بالضرورة، ويشجع على الاستكشاف وتنمية الفضول والمعرفة. هذا النوع من الأدب يُعزِّز الثورة المعرفية ويسهم في تفعيل الاهتمام بمواضيع تقدم للأطفال غالباً في نظريات ومراجع

تعليمية. كذلك فعل مشروع «خارج أسوار المتحف» الذي لم يتطرق لموضوع اللجوء عن قصد، لكنه ابتكر سرداً أدبياً عبر- نوعي يوظف الأدب والعلوم والفنون لتجسير الفجوة بين الأطفال اللاجئين والمعرفة بسبب انقطاعهم عن الدراسة.

عند مراجعة المحتوى الذي تقدمه هذه الورقة ومقارنته بقصص مصورة من إصدار «دار الفتى العربي»، بدا أن هناك أصلاً مشتركاً بين تصورات الحل في مثل هذه الأزمات. هو تصور يعتمد على تمركز السلطة أو الرأي الأرجح عند الطرف الأقوى والأغنى والذي يكتسب هذه السلطة بسبب مده يد العون. وعادة ما هم الكبار الذين يأخذون القرارات، مثل الكاتب المشهور في حالة دار الفتى العربي أو مدير المشروع في مؤسسات العمل الإنساني. ويرحل، بذلك كما يصف اسماعيل الناشف، أدب الطفل العربي «الأزمة من الكبار إلى الأطفال»[1]. ما يرى محيي اللباد أن زكريا تامر استطاع أن يوجد مدرسته الرمزية التي كسبت إعجاب القراء والنقاد وتصنيفاً نقدياً على أنها كتابات تقدمية أو وطنية، وبذلك لم يكن الطفل القارئ الأساسي لنصوص زكريا تامر، وإنما كان أدب الطفل ستاراً لما يريد أن يمرره زكريا تامر للمجتمع[2]. كذلك نقرأ في قصص مشروع (مساحة للقراءة) ما يود البالغون إخباره للأطفال. مثلاً نقرأ في ست قصص عن التماسك الاجتماعي وتقبل الآخر ولكن في معزل تماماً عن القضية السورية، وطرحت قصتان مثلاً موضوع التماسك الاجتماعي من خلال رفض الاختلاف الظاهري مع أنه قد لا يختلف الطفل السوري عن الأردني في الشكل. وهنا، يظهر شبه في هيكل العلاقة باتخاذ قصص الأطفال وسيطاً بين رسائل السلطة، وأجندات منظمات العمل الإنساني، والمشاريع الثقافية. كلاهما مشغول بما يريد من الطفل، وليس بما يريده الطفل أصلاً.

تقول المربية والباحثة اللبنانية نجلا جريصاتي إن «الطفل العربي، لا يختلف كثيراً عن الطفل الفلسطيني، فهو أيضاً يعيش في اللا أمان، وإن بحدة أخف ولأسباب

(1) إسماعيل الناشف، طفولة حزيران، مؤسسة تامر للتعلم المجتمعي، رام الله، 2016، ص 14.

(2) عيسى صلاح، «التفاحة الذهبية لكشكول الرسام: محيي الدين اللباد يعلم أطفال الدنيا»، أدب ونقد، 1989، مج 6، ع 52، ص 113 – 114.

مختلفة»[1]. مرت أربعة عقود على دراسة الباحثة اللبنانية التي نشرت في مجلة شؤون فلسطينية عام 1978 ولم تقل أعداد الأطفال العرب الذين يعيشون اللا أمان، إلا أن استراتيجيات العمل الأدبي تطبعت، وبغير إتقان، بألوان وهياكل معرفية مبتورة أو غربية لا تمت للبيئة العربية المعاصرة بصلات وثيقة، أو تمثل طفلها المعاصر. ترينا الفضائيات ومواقع التواصل كم نضجت مهارات الرسم أو الإخراج المسرحي والغناء، لكن في المقابل تراجعت بلاغة التعبير باللغة العربية وضعفت الاستعارات التشبيهية واستنسخ الرسامون مهاراتهم من آخرين وهيمنت خيالات غربية على عوالم الأطفال الخيالية وفضولهم وحساسيتهم الفنية. كما لا تضع الطفل في مركز عملية إنتاج الأدب مما ينتج نوعية خجولة بمحتواها وطموحها. فبين ذلك والآن، ما زالت رؤية جريصاتي تنطبق على معظم قصص المشاريع التي تطرقت لهما هذه الورقة. تدعو القصص الطفل إلى تغيير نفسه لا العالم، طالبة منه التأقلم مع حاله وقبوله كما هو[2].

وهنا لا يمكن تجنب طرح مشكلات الحرب واللجوء بشكل مباشر في بعض القصص عن الحالة السورية، لأن هذا التبسيط قد يحرم الأطفال من أعمال تساعدهم على التعرف على قصصهم بشكل أوضح، وتعريف التحديات التي يواجهونها، وتجاوز الاضطرابات النفسية التي تعرضوا لها. كما يمكن توظيف الخيال في تجاوز الحالات الذاتية دون أن يتجاهل التعامل مع الواقع الصعب الذي يمر به هؤلاء الأطفال كما فعلت كثير من القصص. الصدق مكون أساسي في التأثير على الأطفال وتنمية عقولهم بما يناسب التحديات التي سيخوضونها خلال سنوات قليلة تزحف سريعاً على أعمارهم. فكثير من هؤلاء الأطفال يضطرون إلى ترك الدراسة مبكراً والاتجاه إلى العمل أو الهجرة لتحسين معيشتهم وأهلهم.

على الرغم من الجهود المبذولة من قبل المؤسسات الإنسانية لتعزيز عملية إنتاج أدب الطفل العربي في الأردن، من خلال تخصيص موارد كبيرة لهذا الغرض، إلا أنه ينبغي أن نقف عند طرق نهضة إنتاج هذا النوع من الأدب، عبر توجيه نقد بناء نحو عناصره والتعمق في العمليات التي تراعي خصوصيات أدب الطفل ومسؤولياته.

---

(1) نجلا جريصاتي، «حول أدب الطفل»، شؤون فلسطينية، العدد 77، الصفحات 193 – 213.
(2) المرجع السابق.

ومعالجة القضايا العصرية بطرق مبدعة تشجع الابتكار وتسعى إلى مستوى عال من الجودة والثقافة. تتطلب هذه العمليات وعياً من جانب المشاركين فيها، سواء أكانوا مؤلفين أو رسامين أو ناشرين أو مانحين، وتتطلب أن يكون الأطفال مركز هذه العمليات، كذلك تستوجب العمليات الاستعانة بخبراء نمو وتطور الأطفال والمجتمع والمحررين الأدبيين. وأن يفهموا جميعاً بشكل كامل مراحل إنتاج أدب الطفل، دون إغفال أهمية أي من مراحل هذا التكوين. وأن يحافظ على استقلالية هذه المراحل وألا تقع فريسة ضغط الزمن أو التمويل أو أولويات الأوضاع الطارئة كالحروب. ويمكن العودة لهذه الأعمال الأدبية ونقدها والتفكير في مستقبل نشر أدب الأطفال بعد انتهاء مدد مشاريع العمل الإنساني. والتفكير في مشاريع نشرية مستمرة الحضور والأثر على الأطفال العرب. وكيف يمكن لمثل هذه الأدبيات المتخصصة أن تساعد أطفالاً آخرين يعيشون ظروفاً شبيهة التعقيد سواء من اللاجئين العرب في أوروبا أو الذين مستهم الحرب في اليمن والسودان والعراق وغيرها.

المراجع

المراجع العربية:

1) القسوس، وفاء، طائرة تمطر حبّاً، جبل عمان ناشرون، عمان، الأردن، 2017.

2) الناشف، إسماعيل. «طفولة حزيران». مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. رام الله، فلسطين. 2016.

3) الهور، منير حسني، «صناعة كتاب الطفل في الأردن»، ثقافة الطفل العربي: الواقع والآفاق، تحرير د. غسان إسماعيل عبد الخالق، دار ورد للنشر والتوزيع، 2011.

4) تامر، زكريا، البيت، دار الفتى العربي، بيروت، لبنان، 1975.

5) تامر، زكريا، الحمامة البيضاء، دار الفتى العربي، بيروت، لبنان، 1975.

6) جريصاتي، نجلا. «حول أدب الطفل». شؤون فلسطينية. 77.

7) صالح، منيرة، عالم همام، دار الياسمين، عمان، الأردن، 2017.

8) صلاح، عيسى، «التفاحة الذهبية لكشكول الرسام: محيي الدين اللباد يعلم أطفال الدنيا»، أدب ونقد، 1989، مج6، ع52.

9) عازر، لما، بيتي، جبل عمان ناشرون، عمان، الأردن، 2017.

10) فرح، أمل، أريد أن أكون سلحفاة، دار شجرة، مصر، 2015.

11) منصور، هيا، سلمى والبرتقالة، دار روائع المجدلاوي، عمان، الأردن، 2017.

21) «آثار الحرب والنزاع العنيف على الشباب» من تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016، الشباب وآفاق التنمية واقع متغير، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، ص 118.

http://www.un.org/ar/esa/ahdr/pdf/ahdr16.pdf

المراجع الإنجليزية:

1) Alesina, Alberto, and David Dollar, «Who Gives Foreign Aid to Whom and Why?» *Journal of Economic Growth* 5, no. 1, 2000, p 3363-. http://www.jstor.org/stable/40216022.

2) Barakat, S., D. Connolly, F. Hardman, and V. Sundaram, "The Role of Basic Education in Post-Conflict Recovery." *Comparative Education* 49(2), 2012, p 12.

3) Barber, B.K., *Adolescents and War: How Youth Deal with Political Violence*. Oxford University Press, Oxford, UK, 2008.

4) Begley, Sarah. "How 3 New Kids' Books Help Cope With Traumatic Events". *Time* Magazine, October 14, 2015.

   http://time.com/4060116/dark-childrens-books-crenshaw-jellyfish-nest/

5) Harju, Maija-Liisa. "The Promise of Unhappiness: Addressing Fear, Anxiety, Death and Grief in Crossover Books". Published on Academia.edu, 2007.

6) Salemi, Colette, Jay A. Bowman, and Jennifer Compton, "Services For Syrian Refugee Children And Youth In Jordan: Forced Displacement, Foreign Aid, And Vulnerability", (Working paper), *The Economic Research Forum,* 2018, p 12 - 38.

7) No author, “The world’s 5 biggest refugee crises,” Mercy Corps, updated 5 July 2018.

8) https://www.mercycorps.org/articles/worlds-5-biggest-refugee-crises

المراجع الالكترونية:

1) المساعدات الخارجية حسب الدول المانحة والمستقبلة ومجال المنح

http://www.compareyourcountry.org/aid-statistics

2) جدول عدد السكان في المملكة، دائرة الإحصاءات العامة، الأردن، 2017.

http://dosweb.dos.gov.jo/DataBank/Population_Estimares/2017/PopulationEstimates.pdf

3) «ملخص حول المساعدات الخارجية المتعاقد عليها للأردن للعام 2017»، موقع وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الأردن.

http://www.mop.gov.jo/EchoBusV3.0/SystemAssets/pdf/Foreign%20aids%20pdf/FA%20201720%report%20Arabic%20March2018.pdf.

4) موقع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، مرصد اللاجئين السوريين.

https://data2.unhcr.org/en/situations/syria/location/36

5) موقع مؤسسة «مساحة للقراءة»، 20 يونيو / حزيران 2017.

http://www.roomtoread.org/the-latest/room-to-read-accelerator-brings-500000--arabic-children-s-books-to-jordanian-students-syrian-refugees

6) لا يوجد مؤلف، «احتفالية بمتحف الأطفال لإطلاق مشروع 20 قصة مصورة للأردن»، المدينة الإخبارية، 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2017.

http://www.almadenahnews.com/article/622145

7) التقرير السنوي لخطة الاستجابة الأردنية للأزمة السورية 2017، وزارة التخطيط والتعاون الدولي. http: / /www.jrpsc.org/

ثقافة الطفل الجديدة

د. محمود أبو فَروة الرَّجَبي[1]

مقدمة

تُحَاوِل هَذِهِ الوَرَقَة الإجابة عَلى هَذِهِ الأسْئِلَة: مَا المقصود بثقافة الطِّفْل؟ مَاذا تعني ثقافة الطِّفْل الْجَديدَة؟ مَا هِيَ التغيرات الَّتِي طرأت عَلى ثقافة الطِّفْل؟ مَا أفق ثقافة الطِّفْل المستقبلية؟ وَمَا ثقافة الطِّفْل الَّتِي نريدها؟

وَقَدْ اتبع الباحث فِي هَذِهِ الوَرَقَة عِدَّة منهجيات لِلوصولِ إلى الإجابة عَلى هَذِهِ الأسْئِلَة؛ مثل المنهج الوثائقي القائم عَلى استخدام الـمَوادّ، والمصادر الوثائقية ومراجعة وتحليل الوثائق والمصادر المكتوبة للحصول على المعلومات والبيانات المهمة للبحث. والمنهج الاستقرائي الَّذِي يَتمّ من خِلالِهِ الوُصُول إلَى تعميمات مُعَيَّنَة، وَعَنَاوِين عريضة نصل من خلالها إلَى واقع ثقافة الطِّفْل، وَمَا الواقع الَّذِي نسعى إليهِ، وغيرها من أسئلة هَذِهِ الوَرَقَة.

ركزت هَذِهِ الوَرَقَة عَلى مَوْضُوع التغيرات الجذرية الَّتِي طرأت عَلى ثقافة الطِّفْل بعناصره كَافَّة، بِسَببِ التغيرات الرَّقَمِّية الَّتِي حصلت فِي العَالَم، وَالَّتِي غيرت الشَّخْصِيَّة الإنسانية، وأثرت عَلى مدخلاتها، وَمِن ثمَّ غيرت مخرجاتها، وسماتها، وخصائصها.

ما المقصود بثقافة الطِّفْل؟

يعرف قاموس كامبردج الثقافة بأنها أسلوب الْحَياة، وخاصة فِيمَا يتعلق

(1) دكتوراه فِي علوم الإعلام والاتّصَال، كلية الإعلام/ جامعة الشرق الأوسط، الأرْدُن.

بالعادات، والمعتقدات العامة، لمجموعة معينة من الناس في وقت معين، كَمَا أنها تتضمن المواقف والسلوك والآراء وما إلى ذلك لمجموعة معينة من الناس داخل الـمُجْتَمَع. أمَّا مُعْجَم الـمَعاني فيعرفها من زاوية أخْرَى، حَيْثُ يشير إلى أنها «العلومُ والمعارفُ والفنون التي يُطلب الحذق فِيهِا».

وقبل تَعْريف ثقافة الطِّفْل لا بُدَّ من تبيان أرْبَعَة منطلقات تشكل هَذِهِ الثقافة، وَهِيَ:

الأول: واقع ثقافة الطِّفْل.

واقع ثقافة الطِّفْل ويقصد بِهِ كل ما يؤمن بِهِ الطِّفْل، ويعتقده، إضافة إلى نظرته للآخرين، وللأشياء، وَلِلْحَياةِ، وطرق ممارسته لواقع حياته وألعابه، وأساليب حصوله عَلَى الـمَعْرِفَة، والعلم، ناهيك عَن طرق حصوله عَلَى التسلية، وأنماط لبسه، وَأنْوَاع طعامه.

ولا ننسى هُنا أن الوَاقِع المعيشي، والاقتصادي، يتحكم بِشَكْل مُبَاشِر وغَيْر مُبَاشِر بثقافة الطِّفْل، إضافة إلى انتماء الطِّفْل إلى مَجْمُوعَة مُعَيَّنَة لَهَا خصائصها وسماتها، قَدْ تَكُون مَجْمُوعَة عرقية، أو دينية، أو فكرية، أوْ اجتماعية، أوْ مصالحية، أوْ ما شابه، وَذلك كُلهُ يؤثر بِشَكْل أو بآخر عَلَى ثقافة الطِّفْل.

ما ذكر سابقًا مستند فِي غالبيته إلى ثقافة الـمُجْتَمَع، وإن كانَ هُنَاكَ خلل – فِي الوَقْت الحالي– وارتباك نتيجة التغيرات الرَّقَميَّة، وَدُخُول الألعاب الرَّقَميَّة، ومنصات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الإنترنت، وثورة التواصل الحَديثَة كجزء أساسي فِي هَذِهِ الثقافة، وَاسْتِخْلاصًا مِمَّا سبق، نصل إلى حقيقة مفادها أن مدخلات ثقافة الطِّفْل فِي الوَقْت الحالي تغيرت، وهَذَا يَعْنِي بالضرورة حُصُول صيرورة انقلابية فِي مخرجاتها، لَمْ تصل بعْد إلى مرحلة الاستقرار، لنقول إن واقع ثقافة الطِّفْل أخذ ملامحه الجَديدَة، وبات مُتكامِل العَنَاصِر، والأشكال، والسمات.

الثَّانِي: مصادر هَذِهِ الثقافة، وطرق إيصالها لِلأطْفَالِ.

تشمل هَذِهِ المصادر البَيْت، العائلة الصَّغِيرة، العائلة الممتدة – انحصر تواجدها

بِشَكْل كَبِير وباتت مُتَعَلِّقَة بالجدات وَالأجداد فِي الغالب-، وَسَائل الإعلام التَقْلِيدِيَّة والرقمية، الْوَسائِل الرَّقَمِيَّة الأخرى، المعتقدات الدينية، الـمَدْرَسَة، الحارة، الـمُجْتَمَع الـمُحيط بالطفل، طرق التَّرْبِيَة، الأنماط الحياتية الَّتِي تتبناها العائلة، أساليب التواصل مَع الآخَرِينَ .. الخ.

وتنعكس هَذِهِ المصادر عَلَى شكل ثقافة الطِّفْل، وَعَلَى سماتها من حَيْثُ مدى تسامحها، تقبلها للآخر، ميزان انتقائها للمعلومات، والقيم، والمعارف وغيرها.

الثالِث: الهواجس والأحلام والأهداف العامَة للمجتمع.

كل مُجْتَمَع لَدَيْهِ مَجْمُوعَة أهداف عامة يسعى لتحقيقها فرديًا أوْ جَمَاعياً، وتتشابه الـمُجْتَمَعات فِي غالبية هَذِهِ الأهداف وَعَلَى رأسها التنمية، ورفع مُسْتَوَى المعيشة، وتحقيق الرخاء الاجتماعي، والأمان بكافة أشكاله، إضافة إلى ذلِكَ، فإن الـمُجْتَمَع يَعْمَل عَلَى نقل أحلامه، وهواجسه إلى أطفاله تلقائيًا فِي غالب الأحيان أوْ بطرق مقصودة أحيانًا، وَهَذِهِ لَهَا تأثير كَبِير ببناء ثقافته، فالمجتمع الَّذِي يجعل من الغنى المادي الهاجس الأول فِيهِ، يخلق طِفْلاً حلمه الأول الثراء، وَالـمُجْتَمَع الَّذِي لا يتوازن فِي هواجسه، يجعل شَخْصِية طفله غير متوازنة، ومشوهة، وغَيْر قادرة عَلَى النمو والتطور بِشَكْل طبيعي.

وَيَجِبُ الانتباه فِي هَذَا السياق إلى أن الـمُجْتَمَع الواحد يتضمن مجتمعات فرعية، وتنوعاً فِي طرق الحَياة، وغيرها، ونتيجة التغيرات الرَّقَمِيَّة، والانفتاح المجتمعي، فإن هُنَاكَ سيرورات دائمة، وتغيرات صَغِيرَة وَكَبِيرَة تُؤَدِّي إلى إعادة تشكيل ثقافة الطِّفْل، وهواجسه، وأحلامه وِفقًا لتفاعله مَع الـمُجْتَمَع الحقيقي، والافتراضي.

الرَّابِع: السمات العامَة لِلْطفلِ.

وَهَذِهِ تشمل السلوكيات، وطرق تصرف الطِّفْل مَع نَفْسه، والمحيطين بِهِ، والموارد، والأرض، والتسلية، والفنون كلها، إضافة إلى السمات الشخصية لِلْطفلِ، ومدى تأثير الـمُجْتَمَع عَلَيْهِ، فِي بِنَاء شخصيته.

تَعْرِيف ثقافة الطِّفْل إجرائيًا

بِنَاء عَلَى كل ما سبق ذكره، فإن **التَّعْرِيف الإجرائي** لثقافة الطِّفْل: هُوَ أسلوب الْحَيَاة، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات، والآراء، والسلوكيات الَّتِي يَقُوم بِهَا الطِّفْل فِي مُجْتَمَع معين إضافة إلى سماته الشَّخْصيَّة الـمُخْتَلِفَة، وَيَأتِي ذلِكَ كُلهُ من خِلال تربيته، وطرق حصوله عَلَى الـمَعْرِفَة، وَالـمَعْلُومَات، والقيم، والسمات العامة للمجتمع الَّذِي يَعِيْش فِيهِ، بِحَيْثُ تُحَدِدِ أساليب تعامله مَع نَفْسه، وَالآخَرِينَ، والأشياء، وتبني فِيهِ أحلامه، وهواجسه، وأهدافه فِي الْحَيَاة.

مُصْطَلَح: الْوَسائِل الرَّقَميَّة كمصدر من مصادر ثقافة الطِّفْل

نقصد بِهَذَا الـمَصْطَلَح منصات التواصل الاجتماعي، الألعاب الرَّقَميَّة، وتطبيقات الإنترنت الَّتِي يتعامل مَعْهَا الطِّفْل بِشَكْل مُبَاشِر أوْ غير مُبَاشَرَة، وَالَّتِي يتواصل فِيهِا مَع الآخَرِينَ، أوْ يكتسب من خلالها معلوماته، ومعارفه، وقيمه، وسلوكياته، وغيرها.

التفريق بَيْنَ الثقافة وَالتَّعْلِيم:

هُنَاكَ فروق عديدة بَيْنَ الثقافة وَالتَّعْلِيم، فالتعليم هِيَ عَمَلِيَّة متسلسلة منظمة يَقُوُم بِهَا الفرد لِلْحُصولِ عَلَى المعارف، والمهارات، والكفايات الـمُخْتَلِفَة، بَينَما فِي الثقافة يَتِمّ الحُصُول عَلَى كل ما يتعلق بالإنسان بقصد، أوْ تلقائيًا، وَبَينَما يركز التَّعْلِيم عَلَى جانب معين فِي حَيَاة الإنسان، وَفِي أوقات مُحَدَّدَة، فإن الثقافة تعطيه ميزاته الـمُخْتَلِفَة فِي شخصيته، ومعتقداته، وَطَرِيقَة لبسه، وطعامه، وأساليبه الـمُخْتَلِفَة فِي كل المراحل العمرية، ودومًا. وَعَلَى كل يتقاطع التَّعْلِيم مَع الثقافة فِي بَعْض الجوانب، وَلكِنَّهُ فِي النِّهايَة جزء مِنْهَا، ويتكامل مَعْهَا.

واقع ثقافة الطِّفْل:

يتمثل واقع ثقافة الطِّفْل فِي الوَقْت الحالي بِمَا يَأتِي:

أولا: تعددت المصادر الَّتِي يَحْصل الطِّفْل من خلالها عَلَى ثقافته، وَقَدْ أتاح

الإنترنت لَهُ ذلِكَ، بِحَيْثُ وفر لَهُ خيارات غير محدودة لِلوُصُولِ إلى ثقافات مُخْتَلِفَة، بِشَكْل تلقائي، وخلق العالم الافتراضي فرصًا لا نهائية لِلْطفلِ ليختار الأشخاص الَّذِينَ يتوافقون مَع ميوله، ورغباته ليشكلوا مَعهُ مُجْتَمَعًا خاصاً بِهِ.

ثانيًا: القِرَاءَة وَهِيَ أحد أهم المصادر الوازنة فِي ثقافة الطِّفْل تواجه تَحَدِّيات عديدة، وإذا قُلْنَا إن عَادَة القِرَاءَة – غير مَوْجودَة أصْلاً – عِنْدَ نسبة لا بأس بِهَا من العائلات العَرَبية، فإن الرَّقَميَّة زادت من هَذِهِ التَّحَدِيات، رَغْم أنها فِي الوَقْت نَفْسه تمتلك القُدْرَة عَلَى إيصال مصادر قِرَاءَة غير محدودة، وجذابة للأطفال، لَكِن الأمر يَحْتاجُ إلى ثقافة تجعل هَذِهِ العائلات تبحث عَن هَذِهِ المصادر وتتفاعل مَعْهَا.

ثالثًا: لَمْ يستقر وضع الثقافة بِنَاء عَلَى دخولنا فِي عصر جَدِيد – عصر الرَّقَميَّة– وَهَذِهِ الـمَرْحَلَة الانتقالية مُتْعِبَة، ومحيرة، وَفِي العادة لا يصل خلالها النَّاس إلى أساليب احترافية فِي التَعَامُل مَعهَا، كون تغيراتها أسرع من قُدْرَة الـمُجْتَمَع عَلَى التَعَامُل مَعْهَا.

رابعًا: ما زالَ الـمُجْتَمَع يَعِيْش مرحلة تغيير جذرية فِي القيم العامَة لَهُ، وانبثاق وَسَائل، وأساليب حياتية جَديدَة، وهَذَا انعكس عَلَى الطِّفْل، بِشَكْل أوْ بآخر، وغني عَن القول إن استقرار الـمُجْتَمَع وثقافته، تُؤَدِّي إلى استقرار أي ثقافة فرعية مَوْجودَة من خلاله.

خامسًا: سيادة مفهوم المتعة. يَحْصل الطِّفْل عَلَى مُتْعَة هائلة من خِلال الألعاب الرَّقَميَّة، وهَذَا يؤدي إلى الإدمان، ومن مظاهره عدم الرغبة بالقيام بأيِّ نشاطات أخْرَى، وهَذَا لَهُ انعكاسات عديدة عَلَى الدِّراسَة – وَهِيَ وَاحِدَة من أهم مصادر الثقافة المضبوطة.

سادسًا: تحالف الوَاقِع الَّذِي فرضه الوباء العالمي – الكورونا – وما بعده، وانتشار الرَّقَميَّة، فأثر عَلَى التَّعْلِيم سلبيًا – فِي غالب الأحيان، وَجَعَله مصدر قلق، وتوتر، وملل لغالبية الأطْفال، بَلْ إن العائلات تشكو أن ذلِكَ طال أطفالها الـمُتَفَوِّقِينَ، فقَلَّ حماسهم للتعليم، وَصَارَت تجربتهم مَع الـمَدْرَسَة مُؤلِمَة، وغَيْر مستحبة.

سابعًا: يشعر الطِّفْل بزهو – التفوق الرَّقَمي– عَلَى عائلته، وبأنه يَجِبُ أن يُحَدد مصادر ثقافته، وما يؤمن بِهِ، وما لا يُرِيدُه، وأن يختار الوسط الافتراضي الَّذِي يَعِيْش بِهِ بَعَيدًا عَن معايير الأهل، وشروطهم.

ثامنًا: تغيرت أحلام الطِّفْل وطموحاته، فأصبحت الشهرة والسعي لَهَا تشكل جزءًا كبيرًا من أحلامه، كَمَا أن شغفه بالمال، والملذات الـمَاديَّة، وغيرها سَيْطَرَ عَلَيْهِ، ونجاح بَعْض أقرانه فِي هَذَا الأمر فتح فِي عقله مَلَفات خاصة بِهَا، فتهوجست فِي داخله، وَصَارَت فِي قِمَّة أولوياته – غالبًا–.

مُصْطَلَح: التفوق الرَّقَمي الطفولي

يقصد بِهِ الباحث شعور غالبية الأطْفال بأنهم حصلوا عَلَى مَعْرِفَة رقمية أكبر من أهلهم الَّذِينَ دخلوا عالم الرَّقَميَّة بِحَماس أقل، وقدرات أبسط، وهَذَا يَعْنِي عدم أهليتهم ليكونوا مرجعية لأطفالهم، وهَذَا الشُّعُوُر الكاذب يؤدي إلى تخبط الأطْفال، وعدم قدرتهم عَلَى التَعَامُل الإيجابي مَع منتجات الرَّقَميَّة، وَقَدْ يؤثر عَلَى نموهم الـمَعْرِفَي، والثقافي، وقدراتهم اللازمة لتطورهم الطبيعي فِي الْحَياة.

مُصْطَلَح: مصادر الثقافة المضبوطة.

يقصد بِهَا الباحث الثقافة الَّتِي يَتِمّ إيصالها لِلْطفلِ من خِلال منهاج مُعتمد عِلميًا، وَتَقُوم عَلَيْهِ جهات متخصصة، مثل الـمَدْرَسَة، ودار العبادة، وَوَسَائل الإعلام التَقْلِيدِيَّة، أوْ وَسَائل الإعلام الرَّقَميَّة الَّتِي تَقُوم عَلَيْهَا جهات وازنة، وتنطلق فِي أعمالها من حرفية، ومهنية، وأخلاقية.

هَلْ يَسْتَطِيع الطِّفْل اخْتيار مكوناته الثَّقافِيَّة وَمَتَى؟

ما السن الَّتِي يُمْكِنُ لِلْطفلِ أن يختار فِيهِا مكونات ثقافته ومصادرها، وَهَلْ فِعلًا أن العائلة تَسْتَطِيع السيطرة عَلَى مدخلات هَذِهِ التَّرْبِيَة، ومن ثمَّ مخرجاتها، وَهَلْ يَسْتَطِيع الـمُجْتَمَع تَحْدِيد هَذِهِ السن، خاصة أن الطِّفْل مَع التغيرات الرَّقَميَّة بات متفاعلاً إيجابيًا – أي لَدَيْهِ القُدْرَة عَلَى اخْتيار التطبيقات الَّتِي يحملها، أوْ يمارسها، والأشْخَاص – فِي العالم الافتراضي– الَّذِينَ يتعامل مَعهُم؟

إحدى وجهات النظر المتفائلة فِي هَذَا الـمَوْضُوع تَقُول إنه عندما ينشأ الأطفال في ثقافة مُعَيَّنَة، فإنهم يتعلمون قيمها ومعتقداتها وتقاليدها، ولكن عندما يكبرون بما

يكفي يمكنهم أن يقرروا بأنفسهم أي أجزاء من الثقافة يقبلونها أو يرفضونها. ومن هذا المنطلق، يتمتع الناس بحرية اختيار أسلوب الحياة الذي يناسبهم بشكل أفضل.

وهناك وجهة نظر أكثر تشاؤماً ترى أن الأطفال ليسوا أكثر من منتجات مجتمعهم. كل ما يفكرون فيه ويشعرون به ويؤمنون به قد تمت برمجته فيهم بالفعل من خلال ثقافتهم وجميع أفعالهم تتحدد من خلال تربيتهم.

وَشَخصيًا أرى أن الطِّفْل بَات المُحَتِّم الأكبر فِي اخْتيار مصادر ثقافته ومكوناتها، وأن السن الَّذِي يبدأ فِيهِ ذلِكَ أصغر مِمَّا نتوقع، كونه القادر عَلَى دُخُول التطبيقات الَّتِي يريدها، وَاخْتيار الألعاب الَّتِي يرغبها، ولأنَّ الإنترنت أصْلاً نقل إلَيْهِ كل ما فِي العالم، وبثه لَهُ من خِلال شاشة تَفَاعُلِّية صَغِيرَة.

وللإجابة الأكثر دقة عَلَى هَذَا السؤال لا بُدَّ من إجراء دِرَاسَات معمقة ستحسن فهمنا لواقع ثقافة الطِّفْل الآنَ، ومستقبلًا.

مُصْطَلَح: الطِّفْل المتفاعل إيجابياً

يقصد أن الطِّفْل بِعَمَلِية ممارسته الألعاب الرَّقَمِّية، أوْ تصفحه الإنترنت لَيْسَ سلبيًا، مِثْلَما يَحْصُل مَع التِلِفزيون حِينَما يكتفي بالمشاهدة، بَلْ يَقُوم باختيار لعبته، ونمطها، ومكوناتها، والأشخاص الَّذِي يَلْعَبُونَ مَعْهُ، كَما يتصفح أي موقع يُريدُه هُوَ، وَبذلِكَ يَكون مُتفاعلًا إيجابيًا، وَهَذَا لَهُ جوانب إيجابية حَيثُ يدرب الطِّفْل عَلى مهارة الاختيار، ويجعله أكثر ثقة بِنَفْسِهِ، وَلَكنَّهُ من جانب آخر قَدْ يوقع الطِّفْل فِي مُشْكِلات عديدة، مثل انتهاك الخُصُوصِيَّة، أوْ التنمر الإلكتروني، أوْ الإدمان عَلى هَذِهِ الـمَواقِع والألعاب، وَمَا شَابَه.

مَا المقصود بثقافة الطِّفْل الْجَديدَة؟

يقصد بمصطلح ثقافة الطِّفْل الْجَديد وَبِنَاء عَلَى التَّعْريف الإجرائي العام لِلْثَقافَة، فَهْوَ التغيرات الَّتِي فرضتها الْحَياة الجَديدَة، وَالوَاقِع الرَّقَمي فِي أسلوب الْحَياة، والعادات، والتقاليد، والمعتقدات، والآراء، والسلوكيات الَّتِي يَقُوُم بِهَا الطِّفْل فِي مُجْتَمَع معين إضافة إلى سماته الشَّخْصيَّة الـمُخْتَلِفَة.

وتتسم هَذِهِ الثقافة الْجَديدَة بـأنها:

أولا: سريعة التغير، ولا يُمْكِنُ إدراك إِلَى أيْنَ تذهب بنا؟، فتسارع الحَيَاة، ودخول الرَّقَمِّية إِلَى كل مَنْـزِل، وانتشار الإنترنت، وتطبيقاته ساهم فِي تسريع وتيرة الحَيَاة، وَمِن ضمنها الثقافة، ومكوناتها.

ثانيًا: عَامَّة، ولا تستند إِلَى إطار مرجعي واحد، فلم يعد البَيْت هُوَ المربي الأوَّل للطفل، ولا الـمَدْرَسَة، ولا وسائل الإعلام التقليدية، بَلْ أصْبَحَ تفاعل الطِّفْل الرَّقَمِي من خِلالَ الألعاب، وَمَنَصات التَّواصل الاجْتِمَاعي، والتطبيقات الـمُخْتَلِفَة هُوَ المؤثر الأوَّل عَلى تربية، وثقافة الطِّفْل.

ثالثًا: لا يُمْكِنُ التحكم بِها، فالقاعدة العقلية تَقول إن عدم القدرة عَلى السَّيْطَرَة عَلى المدخلات فِي أي عمل، تعني بالضرورة إفلات المخرجات من يَدك، وَهَذَا مَا يَحْصُل فِي الثقافة الَّتِي لَمْ تعد محصورة عَلى البَيْت، أوْ حَتَى البلد كلها الَّتِي يقيم بِها الطِّفْل، بَلْ أصْبَحَ عالمه لا محدوداً يصل إِلَى حَيثُ يُمْكِنُهُ الإنترنت من الوُصُول.

رابعًا: انتقائية جِدًا، وتعتمد عَلى الفرد، وَهَذَا ناتج عَنْ العَالَم الافتراضي المبني عَلى الإنترنت والقائم عَلى إعطاء خيارات غير مَحْدُودَة للفرد، تمكنه من تشكيل احتياجاته، وانتقائها من خِلالَ الإنترنت وتطبيقاته.

خامسًا: مبكرة. بمعنى أن الطِّفْل يَسْتَطِيع أن يختار نوعية تربيته، قبل أن يصل إِلَى السن الَّتِي يَجِب أن يختار فيها جوانبها المتعددة.

سادسًا: تُسَاعِد عَلى النوازع السَّلْبِيَّة بِمِقْدَارِ مَا تُوفِر فرصة للنمو، والتطور لَدَى الطِّفْل، هَذَا الاختيار فِي سن صَغيرَة قَدْ يوقع الطِّفْل فِي أخطاء كَبِيرَة.

وَمَع ذَلِكَ، فأنا أعتقد أن هُناكَ جوانب إيجابية فِيهَا، تتعلق بتوسيع مدارك الطِّفْل، وإخضاعه لتجارب مُتَعددة، وعدم حصره فِي ثقافة أحَادِيَّة، وَهَذَا يُسَاعِد عَلى جَعَلَ الطِّفْل أكثر ذكاء، وَبِطَبيعَة الحال، فإنَّ دخول الطِّفْل تجارب مُتَعددة -فِي العَالَم الرَّقَمِي- قَدْ تُسَاعِد فِي إنضاجه أسرع، -لَكِن مشكلتنا بحجم هَذَا النضوج، ووقته-.

مَا التغيرات الَّتِي طرأت عَلى ثقافة الطِّفْل؟

تعد ثقافة الطِّفْل جزءًا مهما فِي تربية الطِّفْل، وأكْبَر تغير صادم فِي ثقافة الطِّفْل هو تحول الطِّفْل إِلَى الرَّقَمِّية، وَيُمْكِنُ فِي هَذَا السياق تعريف الطِّفْل الرَّقَمِي بأنه الطِّفْل الَّذِي يستطيع أن يتعامل مَع تطبيقات الإنترنت الـمُخْتَلِفَة، ويتفاعل مَعْها يوميًا، وَهَذَا الطِّفْل وَبِسَبب هَذَا التفاعل امتلك صفات جَعلتهُ يتميز عَنْ غَيْره، وَمِنْها الـمُتَنَاقِضَة، وَفِيمَا يأتي بَعْض مِنْها:

أولًا: مشتت، وقليل التركيز: لأنه مشغول التفكير دَائمًا بالألعاب التي يمارسها من خِلالَ أجهزة الاتَّصَال الرَّقَمِّية، ويخطط دومًا للفوز أوْ لتشكيل فريقه الخاص، أوْ لِلْتَعامل مَع اللاعبين الآخرين من خِلال العَالَم الافتراضي، وَالطِّفْل الرَّقَمِي فِي العَادَة مدمن – وبدرجات متفاوتة – عَلى هَذِهِ الألعاب، وَهَذَا يشتته، ويجعله قَلِيل التركيز فِي الأشياء الأخرى المهمة فِي حَيَاته.

ثانيًا: ملول: يمل الطِّفْل الرَّقَمِي بِسُرْعَة لأَنَّهُ يَحْصُل من خِلال الألعاب عَلى متعة عالية جِدًا، وإثارة كَبِيرَة، ودَائمًا يَقَع فِي تَحَدٍ كَبِير، ولهاث للفوز، وَهَذَا يجعل أي شيء آخر فِي حَيَاته ممل، ولا يُحِب القيام بِهِ، وَلَوْ كَانَ من أبسط المتطلبات الحياتية، خاصة فِيمَا يتعلق بتحصيله الدراسي.

ثالثًا: حنون جِدًا وأناني: الطِّفْل الرَّقَمِي يتصرف بأنانية، لأنه يتعامل مَع الأجهزة الرَّقَميَّة الَّتِي تستجيب لَهُ بكبسة زر، ومن شدة تفاعله مَعْهَا، يعتقد أن الْحَياة كلها يَجِبُ أن تَكُون كَذلِكَ، ولأن هاجسه الأكبر فِي الْحَياة الحُصُول عَلَى المتعة، والفوز فِي الألعاب، يُصبح أَنَانِيًا، وجشعاً فِي الحُصُول عَلَى ما يُرِيد دونَ النظر إلى الآخَرِينَ، وَمَع ذلِكَ، وَعَلَى الجانب الآخر، فَهُوَ حنون، ومحب، لأنه يَعِيْش فِي العَادَةِ فِي عَائِلَة تعطيه جرعة كَبِيرَة من الحنان، ومن الغَرِيب أن هَذَا الطِّفْل يرتمي عَلَى أمه – مثلًا – عِنْدَمَا يراها، ويعبر لَهَا عَن اشتياقه وَحُبّهِ، وَلكِنَّهُ بِمُجَرَّد الانغماس بالألعاب ينساها مُبَاشَرَة.

رابعًا: قَلِيل التفاعل الاجْتِمَاعي –فِي الواقع الحقيقي–: يتميز الطِّفْل الرَّقَمِي بأنه يُحِب التفاعل فِي الواقع الافتراضي أكثر من الحقيقي، لأنَّ الواقع الافتراضي أسهل بالتواصل، ويجعله أكثر قدرة عَلى التحكم بِهِ، من خِلال أوامر الأجهزة النقَّالَة، وأجهزة

الألعاب، بَيْنَما هُوَ فِي الواقع محدود القدرات، فَقَد يَكون بَطلًا يهابه اللاعبون كلهم، وَلَكنَّهُ فِي الواقع لا يَسْتَطِيع ربط حذائه، وَهَذِهِ المفارقة، أثرت بِشَكْل كَبِير عَلى ثقافة الطِّفْل، وقدراته الـمُخْتَلِفَة فِي الواقع الحقيقي.

خامسًا: ذَكِي جِدًا وَقَلِيل الاستيعاب: رَغْمَ ذكاء الطِّفْل الرَّقَمِي – فِي العَادَة– فإنَّ ذكاءه وقدراته قَدْ تنحصر فِي العَالَم الرَّقَمِي، وتقل فِي العَالَم الحقيقي، لِذلِكَ فَهُوَ يتعامل – بحكم التجربة المتكررة والخبرة– بِشَكْل أفْضَل مَع الأجهزة الرَّقَمِّية، والألعاب، وَهَذَا يجعله ينضج بِسُرْعَة فِي هَذِهِ الجَوَانِب، وَعَلى العكس من ذَلِكَ، يَكون قَلِيل الاستيعاب فِي جوانب أخرى قَدْ تَكُون مهمة لِحَياتِهِ.

وَالعَالَم الافتراضي الَّذِي يَعِيش فِيهِ الطِّفْل الرَّقَمِي جَعلهُ يمتلك مهارات قوية فِي مجالات مُعَيَّنَة، ويفقد أخرى فِي مجالات مُخْتَلِفَة يحتاجها، وأثر ذَلِكَ عَلى ثقافته، والجزء الـمُهِم مِنْها الَّذِي يرفدها وهوَ التعليم، فتراجعت مستويات العديد من الأطفال فِي الدراسة، وَأصْبَحَ همه الأكبر منصبًا عَلى تحقيق الفوز فِي الألعاب الرَّقَمِّية، وفترت همته فِي التنافس الدراسي مَع زملائه، وأقرانه.

سادسًا: لا يقبل بأي شيء، وغير راض عَنْ محيطه: المتعة العالية الَّتِي يَحْصُل عَلَيْهَا الطِّفْل من خِلالَ الإنترنت وتطبيقاته، وألعابه، جعلته غير راض عَنْ واقعه، فَهُوَ يُرِيد كل شيء كَما يرغبه، وسهولة الحُصول عَلى مَا يُرِيد من خِلال الإنترنت، وعدم خبرته الكافية فِي الحَيَاة، جعلته يرفض واقعه، ويرنو أحيانًا إلَى عَائِلَة أفْضَل، ومحيط أكثر تجاوبًا مَعْهُ، كَما أن متابعة الفيديوهات للمؤثرين – من الأطفال خاصة– وَمَا تقدمه من مضامين غير واقعية، جعلته يَشْعُر بعدم الرِّضَا عَنْ النفس، والواقع، وبأنه مظلوم، ولا يأخذ من الحَيَاة مَا يُريدُه.

سابعًا: الحلم المبكر بالثراء والشهرة: دخول الطِّفْل إلَى عالم الرَّقَمِّية، جَعلهُ يحلم بأشياء أكْبَر من عمره، ويحلم بالثراء فِي سن غير مُناسِبَة لِذلِك، فمعظم الأطفال الآنَ يُرِيدُونَ أن يصبحوا مشاهير، وتصدم عِنْدَما تسأل مَجْمُوعَة من الأطفال عَنْ أحلامهم بدراسة الـمُسْتَقْبَل، فتجد أنهم لا يرغبون بِهذا بَلْ يفضلون أن يصبحوا صانعي مُحْتَوَى فيديوي – يوتيوبر–، وَعِنْدَما تسأل عَنْ السَّبَب تأتي الإجابة بلا تردد: من أجل الشهرة وَالـمَال.

مَا آفاق ثقافة الطِّفْل المستقبلية؟

نواجه فِي هَذَا الوَقْت مَجْمُوعَة من التحديات لَهَا عَلاقَة بثقافة الطِّفْل، خاصة فِي ظل حقيقة أن العَائِلَة لَمْ تعد قَادِرَة عَلى التحكم فِي تربية الطِّفْل، وبروز ظاهرة تعدد مصادر تربية وثقافة الطِّفْل، وَيُمْكِنُ فِي هَذَا السياق الحديث عَنْ أن مصادر ثقافة وتربية الطِّفْل – المتحكم بِها– أو الَّتِي تخضع (للفلترة) مثل تربية العَائِلَة، والـمَدْرَسَة، والـمَسْجِد أوْ الكنيسة، ووسائل الإعلام التقليدية، ووسائل الإعلام الوازنة، كلها تراجعت لِلخَلْفِ، أمَام المصادر العشوائية الرَّقَمِّية: الألعاب الرَّقَمِّية، تطبيقات الإنترنت الـمُخْتَلِفَة، مَنَصات التَّواصل الاجْتِمَاعي وغيرها، وَهَذَا خلق تحديات جَدِيدَة، خاصة أن هَذِهِ المصادر تتسم بأنها:

أ- غير صادرة – فِي الغالب – عَنْ أشخاص مؤهلين، أصحاب تجربة حقيقية، يُمْكِنُ أن يستفيد مِنْها الطِّفْل فِي بناء ثقافة إيجابية وازنة.

ب- أنها تخضع لمنطقة المشاهدات، وهاجس الانتشار، وَهَذَا الهاجس خَطِير جِدًا، وأدى فِي غالب الأحيان إلَى بروز مَجْمُوعَة من مؤثري ومشاهير مَنَصات التَّواصل الاجْتِمَاعي ممن لا يَمْتلِكُونَ مُحْتَوَى حقيقياً قَادِرًا عَلى إحداث التغيير الإيجابي فِي الـمُجْتَمَع، بَلْ أدى اللهاث وراء المشاهدات، وغياب الـمُحْتَوى الحقيقي إلَى تعبئة فَرَاغ ذَلِكَ من خِلال الأكاذيب، وَالكَلام التافه، وَالـمَعْلُومَات المغلوطة فِي بَعْض الأحيان، وَهَذَا أثر عَلى البناء الثَّقَافِي للطفل، وأعاد ترتيب أولوياته لتصبح سطحية، أوْ غير مُناسِبَة لفئته العمرية.

هـ- أنها رَسَّخت الأنا العالية فِي نفسية الطِّفْل، وصنعت أطفالًا يفكرون بعقلية المشاهير، البَعيدَة – فِي غالب الأحيان – عَنْ التفكير بالمجموعة، والتركيز عَلى الفردانية، والتمحور حول الذات، ولا ننكر فِي هَذَا السياق أن بَعْضًا من مشاهير الإنترنت يساهمون فِي الأعمال الإيجابية فِي الـمُجْتَمَع، وَيَقُومُونَ بِتَقْديم مُحْتَوَى هادف، وَلَكِن النسبة حسب اعْتِقَادنا قليلة، ولا ترقى إلَى مستوى يُمْكِنُ للطفل أن يستفيد مِنْها إيجابيًا.

لِذلِكَ، يَجِب أن يَتَحَكَّم الـمُجْتَمَع بمدخلات تربية وثقافة الطِّفْل، كَيْ نصل إلَى مَا نُرِيدُ وَيُمْكِنُ العَمَل عَلى مَا يأتي لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ:

أولًا: صناعة ثقافة طِفْل متوازن: من خِلال تعرض الطِّفْل للإنترنت، وتطبيقاته، وألعابه تهوجس عقله بِاتجَاه الشهرة، والمشاهدات، والربح الـمَادِّيِّ - لَدَى بَعْض الأطفال- أوْ حلم الحُصول عَلى الـمَال، وَهَذَا لا يَصْنَع طفلًا مُتوازناً، قَادِرًا عَلى النمو السليم، وَالـمُرُور فِي مراحل الطُّفُولَة الـمُخْتَلِفَة، دُونَ القفز عَنْها، وَالوُصُول إلَى مرحلة أعلى بَعْدَ التشبع من مرحلته العمرية السَّابِقَة، وَهَذَا يتأتى من خِلال تدريب الطِّفْل عَلى اختيار الـمُحْتَوى الأفضل الَّذِي يتعرض لَهُ، وتقسيم يومه مَا بين الدراسة، والألعاب، والقيام بنشاطات فِي الواقع الحقيقي، وَمُمَارسَة هوايات مُخْتَلِفَة، والأهم من ذَلِكَ مُمَارسَة عادة القِرَاءَة الَّتِي تصنع توازنا أفْضَل لَدِيهِ.

ثانيًا: ثقافة إنسانية: يَجِب غرس الإنسانية فِي ثقافة الطِّفْل، وبناؤه عَلى أساس معرفته حقوقه، وحقوق الآخرين، وإبعاده عَنْ الأنانية، وحب الذات الزائد، والشعور بأنه محور الكون، وَلا بُدَّ من التأكيد عَلى ثقافة الـمُبَادَرَة لَدَى الطِّفْل، وحب العَمَل من أجل الـمُجْتَمَع، وَمَعْرِفَة القاعدة الإيجابية التي ترى أن نجاحي هُوَ جزء من تنجيح الآخرين، وَالـمُجْتَمَع.

ثالثًا ثقافة مَلِيئَة بِالقِيَم الإيجابية: من المُهِمِّ العَمَل عَلى غرس القيم الإيجابية من خِلال ثقافة الطِّفْل، وَفِيمَا يأَتي أمثلة عَلى هَذِهِ القيم. - هَذِهِ القيم عَلى سبيل الـمِثَال لا الحصر فكل قيمة إيجابية هِيَ هَدَف لِتَرْبيَة وثقافة الطِّفْل-.

أ. **قيمة احترام النجاح، واعتبار الناجح مثالًا ملهمًا فِي الحَيَاة:** للأسف أن جزءًا من القيم السائدة فِي بَعْض المجتمعات العَرَبِيَّة تحتقر النجاح، وتعتبر أن الأشخاص الأقرباء، أو الَّذِينَ ينتسبون للمجموعة نفسها الأفضل بغض النظر عَنْ أخلاقهم، أوْ مساهماتهم الإيجابية فِي الـمُجْتَمَع، لِذلِكَ يَجِب غرس قيمة احترام النجاح والناجحين، وِفْقًا لمعايير النجاح نفسها، بغض النظر عَنْ لون بشرة الناجح، وأصله، وانتمائه، وغيرها من المعايير غير الإيجابية.

ب. **قيمة احترام العلم:** العلم قيمة عظيمة يَجِب أن تتم تربية الطِّفْل عليها،

وغرس ثقافة احترامها فيه، وجعلها المرجعية العلمية والموجه الأكبر لَهُ فِي حَيَاته، وَالَّتِي يبني عَلى معطياتها آراءه الـمُخْتَلِفَة فِي الحَيَاة.

هـ. **قيمة الصدق**: من أقوى القيم الَّتِي تُسَاعِد عَلى تطوير المجتمعات، وبنائها، وَتَعْظِيم هَذِهِ القيمة، ونشرها فِي الـمُجْتَمَع يساهم فِي تسريع النجاح بكافة أشكاله.

ح. **قيمة الاحترام بِشَكْل عام**: يَجِب أن يتعلم الطِّفْل كَيْفَ يحترم الآخرين، وألا يغضب بِسَببِ اختلافهم عَنْهُ، أوْ لأنهم لا يوافقونه فِي الرأي، أو الاهتمامات، أو الـمَواقِف.

رابعًا: العقلية النَّاقِدَة: العقلية النَّاقِدَة قَادِرَة عَلى التمييز بين الـمُحْتَوى الجيد وغير الجيد أثْنَاء التعامل مَع الإنترنت، كَما أنها تخلق عقلية إبداعية تُساهِم فِي الاخْتِراع، والابتكار، والريادة والتطور.

خامسًا: المواطنة الصالحة: من الـمُهِم بناء ثقافة تبين للطفل مَفْهوم المواطنة الصالحة الحقيقية القَائِمَة عَلى الإنجاز، والاحترام، وضبط معايير الطِّفْل فِي تقييم الآخرين، لتصبح بناء عَلى مَا يقدمونه للوطن وَالـمُجْتَمَع، وَلَيْسَ بناء عَلى الانتماء، أوْ التصنيفات الأخرى الَّتِي لا دخل للإنْسَانِ فِيهَا، فَلا أحَد يختار اسمه، أوْ أصله، أوْ لونه، أوْ الـمَجْمُوعَة الَّتِي ينتمي إليها.

وَمِن شأن ترسيخ مَفْهوم المواطنة الصالحة فِي ثقافة الطِّفْل جَعلهُ أكثر إيجابية، وانتماء لِلْمُجتمعِ، وأكثر مبادرة فِي الأعمال الـمُفِيدَة لِنَفسِهِ ولمجتمعه.

سادسًا: التعامل الإيجابي مَع مَنَصات التَّواصل الاجْتِمَاعي وتطبيقات الإنترنت: لَمْ يعد التعامل مَع الإنترنت وتطبيقاته، هامشياً فِي الحَيَاة، فَهو جزء أساسي من حياة الإنْسَان، وَلا بُدَّ لتدريب الطِّفْل عَلى آليات التعامل الإيجابي مَعْهُ، لِيُصْبِحَ جزءًا من ثقافته، وخاصة فِيمَا يتعلق بتلقي الـمَعْلُومَات، وفرزها، وعدم إعادة نشرها أوْ بثها إلا بَعْدَ التأكد مِنْها، وكيفية الحِوَار مَع الآخرين بعيدًا عَنْ الشتم، والذم، والاقصائية، وغيرها.

الخاتِمَة:

الاهتمام بثقافة الطِّفْل يعني الاهتمام بالحاضر وَالـمُسْتَقْبَل، وَبَيْنَما تعرضت ثقافة الطِّفْل لهزة كَبِيرَة بِسَبب التغيرات الرَّقَمِّية فِي الحَيَاة، بِحَيْثُ أَصْبَحَ الطِّفْل رَقَميًا لَهُ خصائص وسمات مُعَيَّنَة، فإنَّ هَذِهِ الوَرَقَة تُناقش مَفْهوم ثقافة الطِّفْل، وَمَا الَّذِي تعنيه ثقافة الطِّفْل الْجَديدَة، والتغيرات الَّتِي طرأت عَلَيْهَا، وآفاقها المستقبلية، وَتُركِز عَلى التغير الكَبِير فِي مدخلات هَذِهِ الثقافة من خِلال تعدد المصادر، وتغير مواقعها وأهميتها فِي حياة الطِّفْل، فبينما أَصْبَحَ الإنترنت وتطبيقاته فِي المرتبة الأولى، تراجعت التربية البيتية، وَالـمَدْرَسَة، وَالـمَسْجِد والكنيسة إلَى الأدوار الخلفية فِي حياة الطِّفْل الثقافية، وَبَعْدَ أن كَانَتْ مصادر ثقافة الطِّفْل مضبوطة – أوْ قريبة من ذَلِكَ–، أَصْبَحَت عشوائية من خِلال عدم قدرة العَائِلَة عَلى التحكم بِما يطلع عَلَيْهِ الطِّفْل من خِلال الإنترنت وتطبيقاته، لِذلِكَ يَجِب أن نسعى لبناء ثقافة جَدِيدَة للطفل، مبنية عَلى قيمنا، وأخلاقنا، وتهتم كثيرًا بصناعة طِفْل متوازن، إنساني، يحترم الآخر، والنجاح، والعلم، وَيُمَارِس الصدق فِي حَيَاته، وَلَديهِ عقلية ناقدة، ويؤمن بمفهوم المواطنة الصالحة المبنية عَلى الإنجاز، وبناء ثقافة التعامل الإيجابي مَع الإنترنت وتطبيقاته.

الـمَراجِع والمصادر

1) أبو سعد وختاتنة، أحمد عبد اللطيف وسامي محسن (2010). **علم النفس الإعلامي**. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

2) البشري، قدرية محمد، وأخريات، (2011). **أدب الأطفال وثقافتهم**، ط.1، عمّان: دار الخليج للنشر والتوزيع.

3) الحلا، زكاء. (1984). **الطفل العربي وثقافة الـمُجْتَمَع**. دار الحداثة للطباعة والنشر.

4) الحمداني، بشرى حسين. (2015). **التربية الإعلامية ومحو الأمية الرقمية**، عمّان: دار وائل للنشر.

5) شيبوب، فايز. (2018). **الإعلام والقضايا الفكرية**. دار التعليم الجامعي

6) صالح، سليمان. (2005). **أخلاقيات الإعلام**. مَكْتَبَة الفلاح لِلْنَشرِ والتوزيع.

7) الصفدي، سمر روحي. (1998). **أدب الأطفال وثقافتهم قِرَاءَة نقدية**. مَنْشُورَات إتحاد الكتاب العرب.

8) عبد الهادي، نبيل. (1999). **النمو المعرفي عِنْدَ الطِّفْل**. دار وائل لِلْنَشرِ.

9) مزهود، نوال. (2008). **دور رياض الأطفال في تنمية ثقافة الطفل – دراسة ميدانية بولاية سطيف**. رِسَالَة ماجستير. جامعة بسكرة. الجَزَائِر. /http://thesis.univ-biskra.dz/3242

10) الهيتي. هادي. (1988). **ثقافة الأطْفال**. سلسلة عالم الـمَعْرِفَة.

11) يحيى، حسن (2007)، **رؤى حول التربية والإعلام وأدوار المناهج لتنمية التفكير في مضامين الإعلام لتحقيق التربية الإعلامية**. الرياض، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية.

1) McCrossan, Joseph.(2023) **How Does Culture Influence Children?**. Gostudent Website. How Does Culture Influence Children? | GoStudent | GoStudent

2) Cambridge Dictionary.(2023). **Culture**. CULTURE | English meaning - Cambridge Dictionary

3) American Academy of Pediatrics. (2019). **Caring for Your Baby and Young Child**. bantam publishing,

المعاجم

1) dictionary.cambridge.org

2) معجم المعاني: www.almaany.com

في ظلال العَمّة الكبرى الفيزياء

البعد العلمي في أدب الأطفال

أ. رمزي الغزوي[1]

في لحظة جنونٍ فارقة قرّر الفتى الذي كنته، المدجّج بالقصائد والأحلام والرؤى، أن يدرس الفيزياء بعد الثانوية العامة كاسراً آفاق توقع كل من حوله من أهل ومعلمين وزملاء، فالبوصلة طالما أشارت ومنذ أن كان في الرابع الأساسي إلى أنه سيدرس الآداب؛ إسناداً لمشروع كتابي ظل يتوهج كلما انتقل إلى صف أعلى.

رفض بعثتين دراسيتين قدمتهما وزارة التعليم العالي، الأولى لدراسة الاقتصاد في تركيا، والثانية للآداب في المغرب، وقايضهما ببعثة الفيزياء في بغداد وقت كانت جيوش العالم تتحمحم لضربها خريف 1990. الفتى كان يومها مضغوطاً تحت هاجسين اثنين، الأول خيالي شطح به إلى الفيزياء ستمكنه من صنع قنبلة نووية يسترد بها كرامة أمته العربية، والثاني أنها قد تكون جسراً سريعاً إلى وظيفة يعين بها أهله بتربية ثمانية إخوة كان هو أكبرهم.

لم تمنعني الفيزياء، التي أطلقت عليها تسمية العَمّة الكبرى من تعاطي الآدب وكتابة الشعر والقصة، بل خلقت في روحي دافعية عظيمة حين منحتني منصة الخيال الكبرى، وجعلتني كثيراً في واحد، بكل ما تعنيه هذه الجملة. بعدها لم تنعكس أصداء العَمّة على كتاباتي وأفكاري وأحلامي فحسب، بل قدمت لي جواز سفر أحمر عبرت

(1) أديب وإعلامي أردني.

به حدود شتى العلوم. الفيزياء لمن يعرفها مفتاح سحري لا تبقي باباً إلا وتفتحه، وهذا ما أكسبني ميزة مختلفة في نتاجي الأدبي والمعرفي والحياتي.

ستجد رائحة العَمّة الكبرى في قصائدي وقصصي ومطالعاتي، وحين ولجت عالم المقال الصحفي جعلتني الفيزياء بنكهة غير التي تسود بلاط صاحبة الجلالة، ليس في نوعية الكلمات والخيال الخصب، بل في طريقة التفكير العلمي التي ربتنا عليها تلك العَمّة نصيحتها الأبدية ألا نقبل الشيء إلا بدليله.

دفعني الطفل الذي في داخلي بحب نحو أدب أحبه وأخشاه في آن واحد، أدب الأطفال. فهو يمنحني عودة ندية إلى طفولتي الخصبة، دون أن أبارح خشيتي ألا أقاربه المقاربة التي تجدي نفعاً وجمالاً. فالكتابة للطفل في نظري فعل ارتقاء لا انحدار، ولهذا يسعدني الآن، وبعد مسيرة قاربت الربع قرن أنني راعيت وحابيت ذلك الطفل الذي يسكنني وأسكنه، فمن بين ثلاثة وعشرين كتاباً أصدرتها بشتى ضروب الأدب، كان منها أربعة أعمال لليافعين، صدر آخرها قبل شهرين بعنوان «تحت نهر المجرة»، وهو من يوميات يافع عمّاني، وثلاث روايات هي «قمر ورد»، و«قرش في كأس ماء»، و«بندوفاح»، بالإضافة إلى أربع مجموعات قصصية هي: «أنطلق بسرعة الضوء»، و«الشمس نجوم تتجمع»، و«أصابعي ترى»، و«دموع الليل».

في كل هذه الأعمال كان الخيال مصعدي الأمثل المتين، الذي أرتقي فيه إلى عوالم كنت أعيشها، وأشتهي أن أعيشها، والفيزياء مكنتني أن أمزج تلك العوالم بالواقع اليومي المعاش بسلاسة وخفة ودون انفعال وتقصد يعشقه الأطفال والفتيان.

رؤيتي في أدب الأطفال حكمتها ثيمة كبرى، وهي أن الكتابة لهم يجب أن تكون مفيدة فاتحة للآفاق إلى جوار أن تكون ممتعة في الدرجة الأولى، فأنا من أنصار مبدأ «العلم بالمتعة واللعب» دون أن أتجاهل ذكاء الطفل وقدره فأنا أراه أعظم من ذكائي وخيالي، ولهذا يمقتني أن تظل الكتابة لهم حبيسة نمطية قال جدي قالت جدتي.

بأسلوب بسيط ممتع ألتذّ به أولاً دمجت العلم بالأدب في محتوى قصصي ورواياتي، وهذا أسلوب غير مطروق في عالمنا العربي بشكل كبير. في القصص اتخذت الظواهر الطبيعية التي يلتفت إليها الأطفال وحملتها بقوانين الفيزياء والكيمياء والفلك وعلم الأحياء ورحت أنسج بها عالماً طريفاً يجنح إلى الدعابة والتشويق

ويعتني بالخيال، ولا يمكن للطفل إلا أن يدخلها ويقرأها من هناك، وهذه الطريقة هي الأنجع في عالم أدب الأطفال، طريقة القراءة من الداخل.

في كل مجموعاتي القصصية للطفل سرت على ذلك النهج، ولكن بأسلوب يتغير ويتبدل، ليس في كل مجموعة فحسب، بل في كل قصة، كان الطفل يتعلم القوانين التي يواجهها في منهاجه المدرسي بشكل لذيذ ودون كبير عناء وتقصُّد، كان يتعلمها وكأنه يلعب، وهذا رهاني الذي أحسب أني كسبته.

في رواية «قمر ورد» مثلا قدمت صورة غير نمطية لعيش الحياة، مع سعيها لتلمس مواطن الجمال في أبسط أشيائها مع تكتيك مزج العلوم في الحياة اليومية التي يستصعب اليافعون تناولها بالأدب بطريقة تحترم ذكاءهم، وتقدّر قدراتهم على التقاط الخيوط المتباعدة، وغزلها بنوال العقل مبتعداً بهم عن التلقين المدرسي المنفِّر، والوعظ الأبوي التقليدي، والتعالي الذي تفرضه بعض المناهج المدرسية.

وفي روايتي الثانية جعلت اليافع شريكاً في صنع أحداثها، بل كاتباً لها أحياناً، فأقحمته عبر لغز منزلي بسيط إلى عوالمها، وجعلته يتذوق حلاوة الكشف العلمي لظواهر نعيشها ونحياها، والأهم أن الرواية تجعل من اليافع منصة لإطلاق التساؤلات؛ التي أراها المفاتيح الحقيقية للعلم.

وفي رواية «بندوفاح» التي تخوض في الخيال العلمي فقد استندت إلى هاجسين كبيرين شغلا البشرية منذ القدم؛ الإبحار عبر الزمن، بما فيه العودة إلى الماضي أو السفر نحو المستقبل، وامتلاك القدرة على تحويل الأشياء الرخيصة إلى نفيسة، مع ملاحظة أني تركت لمتن الرواية، وقصصها المتتابعة القصيرة، ألا تقيم وزناً للخوف من طرح أية فكرة جريئة وغريبة، لقناعتي أن لليافعين قدرة على رؤية الأشياء بشكل يرضي أنفسهم التوّاقة إلى كل جديد وأنهم قادرون على اكتشاف ذواتهم بكل أبعادها.

في المجمل قدمت أفكاراً علمية من شأنها أن تخصّب تفكير اليافع وخياله، وتحلّق به نحو مستويات من الفائدة والمتعة معاً، وهذا نابع من إيماني العميق، كوني أكاديمياً جامعياً ومعلماً مدرسياً سابقاً، بأن التعليم لا بد أن ترافقه المتعة وتجلله، فاليافع ليس وعاء يملأ، ولكنه قنديل يذكى.

وبعدُ، فإني أرى أن من يتصدونَ لأدب الطفل اليافع في عالمنا ليسوا على قدر مناسب من الإبداع والثقافة والاطلاع والشغف بالبحث والتجريب، لسبب بسيط هو النظرة المتعالية، من أن الكتابة لليافعين تعد فعل انحدار لا ارتقاء، ولهذا نحتاج نقلة نوعية في هذا الأدب التأسيسي، كي يأخذ دوره الحقيقي بإعادة تشكيل اليافع العربي.

الكتابة الجديدة لقصص الأطفال

أ. هيا صالح[1]

بالحديث عن الكتابة السردية الجديدة للأطفال، يمكن القول إن التجديد الذي يشهده هذا السرد يشمل التجديد في تقنيات الكتابة، وفي طرح موضوعات جديدة، وفي طريقة معالجة هذه الموضوعات بما يناسب كل فئة عمرية من فئات الطفولة.

وهذه الورقة تلقي الضوء على مفردات القصة الجديدة الموجهة للطفل، خطوات بنائها وأنواعها وموضوعاتها وتقنياتها.

التخطيط للقصة

من المهم لأي كاتب، وقبل أن يبدأ بالتخطيط لقصته أن يطرح على نفسه الأسئلة التالية، التي ستصنع له خارطة طريق للعبور إلى عالم الكتابة للطفل:

- ما هو الموضوع الذي ستتناوله القصة؟
- من هي الشخصية الرئيسية في القصة؟
- ما هو المراد من توظيف هذه الشخصية الرئيسية في القصة؟
- ما الذي تريد هذه الشخصية أن تقوله؟
- ما هي التحديات أو الصراعات التي ستواجه الشخصية الرئيسية، وكيف ستتم معالجتها؟
- كيف ستنتهي القصة؟

(1) كاتبة أردنية.

ستقود الإجابة الواضحة على هذه الأسئلة الكاتب إلى تحديد الملامح العامة لقصته، كمن يبني هيكلاً عاماً لبيت، ثم يمكنه بعد ذلك التفكير بالتقنيات التي تعدّ بمثابة الأثاث الذي سيوضع داخل هذا البيت، ومن هذه التقنيات:

1. تحديد الفئة العمرية التي ستتوجه لها القصة. لأن ذلك سيعين الكاتب على تحديد اللغة التي سيكتب بها، وعدد الكلمات لقصته، وطول الحبكة ومدى تعقيدها.
2. تحديد الشكل العام للقصة، فهل هي قصة مصورة، أو قصة ذات فصول، وهذه الأشكال سنتطرق إلى الحديث عنها خلال الحديث عن فئات كتب الأطفال.
3. التركيز على الشخصية الرئيسية في القصة، والاهتمام بما تتصف به من صفات خارجية (الشكل)، ونفسية (الداخل). ولا بد أن تكون هذه الشخصية واضحة في شكلها وسلوكها بحيث تقترب من الطفل ويمكنه التعاطي معها حسياً وشعورياً.
4. الاعتناء بالصور في القصة، بحيث لا تكون واصفة للحدث، بل مكمِّلة له.
5. العناية بتحرير القصة بشكل جيد.
6. اختيار عنوان مناسب للقصة بحيث يكون لافتاً وجاذباً للطفل، ومتوافقاً مع مضمون الكتاب.

أساليب عامة تساعد على الكتابة للطفل

يمكن إدراج مجموعة من الأساليب العامة التي تفيد الكاتب وتساعده على تقديم قصته بروح جديدة تناسب طفل اليوم، ومن هذه الأساليب:

- استخدام الفعل المضارع في السرد، حيث يمنح هذا الفعل حركة وحيوية في القصة ويفتح المجال لمشاركة الطفل الأحداث التي تجري الآن وفي زمنها الراهن.

ولا بد من التنويه هنا أن هذا الزمن المضارع له محاذيره الكثيرة خلال الكتابة للطفل، من حيث سير الأحداث والاسترجاعات الزمنية، لذا يفضل استخدامه في القصص البسيطة وذات الحبكة الواحدة السهلة والواضحة. إذ هو يقيد الكاتب ولا يترك له الحرية والمرونة في تحريك الخط الزمني لقصته.

- التنويع في الشخصيات القصصية مع توضيح الاختلافات بينها في الشكل وفي السلوك أيضاً. ومع التأكيد على دور الشخصية الرئيسية في إيجاد الحل بنفسها للتحديات التي تواجهها. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الأطفال يفضلون أن تكون الشخصية الرئيسية في القصة أكبر منهم قليلاً في العمر.
- استخدام السرد بضمير المتكلم إذا ما أراد الكاتب أن يُري الأطفال مجريات أحداث قصته من خلال عينيه. أما إذا لم يكن الأمر كذلك فيفضل استخدام الضمير الغائب في السرد لأنه يعطي القصة مرونة وحرية أكثر في سرد الأحداث.
- التفكير على الدوام بما يمنح القصة مفاتيح عوالم من التشويق والإثارة والخيال.
- استخدام حوارات ذات تعابير مستقاة من عالم الطفل ومن طريقته الخاصة في الحديث، فالطفل لا يتحدث على الإطلاق كما يتحدث الكبار، وله أسلوبه الصوتي الخاص، وللتعرف على ذلك سيكون من المفيد للكاتب أن ينخرط بشكل مباشر في حوارات تجري بين الأطفال.
- الابتعاد عن التلقين والمباشرة والوعظ والإرشاد.
- عدم الاستعلاء – خلال الكتابة– على الطفل لأن الأطفال أذكى بكثير مما نتصور.

فئات كتب الأطفال

فيما مضى كان التفكير بالفئة المستهدفة في القصة غير واضح أو وارد في

ذهن الكاتب، بحيث كان يتم، وربما حتى اليوم عند بعض الكتاب، إغفال تثبيت الفئة العمرية التي تتوجه لها القصة، وهذا الأمر لم يعد مقبولاً في الكتابة الجديدة، لأن تحديد الفئة العمرية هو الأساس المعماري كما سبق وذكرنا في البناء الكلي للقصة.

ولم تكتف الكتابة الجديدة للطفل بتحديد الفئة حسب، بل ظهرت أنواع متعددة من الكتابة الموجهة لكل فئة عمرية من هذه الفئات، ونذكر فيما يلي عدداً منها:

أولاً: الكتب المصورة: تخاطب هذه الكتب المصورة فئات عمرية صغيرة، تتراوح بين 3 إلى 7 سنوات كحد أعلى، وتمتاز هذه الكتب باشتمالها على الكثير من الصور التوضيحية ذات الحجم الكبير، والكلمات القليلة والمحدودة، إذ من بين أهداف هذه الكتب تعليم القراءة للطفل، ويفضل أن تتضمن لغة هذه الكتب كلمات إيقاعية مقفية وسهلة وممتعة، بحيث يتمكن الصغار من متابعتها بيسر.

ثانياً: كتب القراءة المبكرة: وهذه الكتب مخصصة للفئة العمرية التي تتراوح بين الصغيرة والمتوسطة، أي من 8 سنوات إلى 10 على أكثر تقدير، وهي تمثل مرحلة انتقالية للطفل من الكتب المصورة التي تتوجه لفئات صغيرة، والكتب المخصصة للفئات الأكبر من 10 سنوات.

وهذا النوع من الكتابة يعتني بتقديم صور توضيحية أقل وكلمات أكثر، ربما تتجاوز ألفي كلمة حيث يكون الطفل في هذه المرحلة قادراً على القراءة بمفرده، ومخزونه اللغوي بدأ بالاتساع والنمو.

ثالثاً: كتب الفئة المتوسطة: تتوجه هذه الكتب لفئات أكبر من 10 سنوات، وحتى 12 سنة، وتهدف إلى مساعدة الطفل على الاستقلال الكامل أثناء القراءة، وهنا لن يتم الاعتناء كثيراً بالصور التوضيحية التي ستكون بحدها الأدنى، بل ستتوجه عناية الكاتب نحو النص الذي قد يبلغ طوله عشرة آلاف كلمة.

رابعاً: كتب الفتيان/ الفتيات: تتميز هذه الكتب بأنها مناسبة للفئة العمرية ما بعد 12 سنة، حيث يعيش الطفل مرحلة انتقالية ما بين الطفولة التي يغادرها ومرحلة الشباب التي يقترب منها، وفي هذه الكتب يتم الاستغناء تماماً عن الصور التوضيحية، والاكتفاء بالنص المكتوب الذي قد تتجاوز كلماته العشرين ألف كلمة.

موضوعات جديدة يمكن أن تتطرق لها قصص الأطفال

قيل قديماً إن «الأفكار ملقاة على الطرقات»، في إشارة إلى أن كل ما يتم التفكير به إنسانياً تم طرحه وتناوله أدبياً أو شعرياً، وما يختلف من كاتب لكاتب هو طريقة التناول ومعالجة الفكرة، وهذا قول فيه وجهة نظر إذا ما كنّا نتحدث عن الكتابة للكبار، أما في الكتابة للأطفال فالأمر مختلف تماماً، إذ بقيت الكثير من الموضوعات ضمن خانة «المسكوت عنه»، والذي ليس من المناسب طرحه للأطفال.

لكن في الكتابة الجديدة للطفل، بدأت تظهر موضوعات تناقش قضايا كانت في ما مضى ضمن خانة «الممنوعات»، أو «المحرمات» بالنسبة لكتّاب الطفل، لكنها خرجت من تلك الأطر وصار لها حضورها وقوتها سواء في ملامسة مشاعر الطفل، أو التعبير عن أفكاره، أو الإجابة على أسئلته، أو حتى لتوعيته. وهنا سندرج عدداً من هذه الموضوعات.

1. فقدان الطفل لشخص عزيز عليه بسبب الموت، أو الطلاق بين الزوجين: يعد الفقد من أصعب الأمور التي يمكن مقاربتها في قصص الأطفال، وتهدف القصص التي بدأت تظهر مؤخراً لتعالج هذه المسألة إلى تبديد مخاوف الطفل حين يفقد شخصاً عزيزاً عليه سواء بالموت أو بالانفصال كطلاق الوالدين مع اختلاف المعالجة في كل مجال.

   ففي قصص الموت تبرز أهمية أن يتقبل الطفل فكرة أن الميت لا يمكن أن يعود إلى الحياة، وأن الموت لا بد منه لكل الأحياء رغم أنه لا يعني نهاية الحياة، ففي مجتمعاتنا يتقبل الطفل فكرة أن الميت يذهب إلى مكان أفضل هو «الجنة»، وأنه هناك إمكانية ليراه ويتواصل معه ولو بعد حين.

   أما في حالة انفصال الطفل عن والديه أو أحدهما بسبب الطلاق فتتم معالجة الموضوع ضمن النظر إلى الجانب الإيجابي منه، وهو ما يأخذ بيد الطفل نحو الاستقرار في مشاعره وتقبل الأمر وتفهمه.

2. التنمر والعنف الذي يمكن أن يتعرض له الطفل في بيئته الحاضنة: اتجهت العديد من قصص الأطفال لمعالجة قضية التنمر والعنف الذي يمكن أن

يتعرض له الطفل سواء في البيت أو الحي أو المدرسة، وذلك بهدف التوعية من مخاطر التنمر والعنف وإيجاد السبل الكفيلة للحد منهما. وعلى هامش ذلك بدأ الاهتمام المتزايد بموضوعات تتعلق بأهمية تقبل الطفل لذاته وللآخر المختلف عنه.

3. التحرّش الجنسي بالأطفال: لم تعد قضية التوعية الجنسية تابوهاً بالنسبة لقصص الأطفال، وظهرت كتابات قصصية تعالج هذا الموضوع بطريقة بسيطة وغير خادشة لمشاعر الطفل وأحاسيسه، وهدفها توعية الطفل وحمايته من هذه الإساءة.

4. التهجير بسبب الحروب واللجوء إلى الدول الآمنة: ظهرت القصص التي تعالج موضوع التهجير واللجوء خلال الآونة الأخيرة بسبب ما تعرضت له البلاد العربية تحديداً من حروب وهزات سياسية، انصب أثرها الأكبر على حياة الطفل، وتهدف هذه القصص إلى دفع الطفل للتعايش والتكيف مع البيئة الجديدة، وتخفيف المعاناة التي يتعرض لها بسبب ذلك.

5. قصص توضح أهمية الديانات ودعواتها للتسامح والمحبة.

6. قصص الرعاية البديلة أو التبني.

7. قصص تتناول موضوعات تتعلق بالجندر.

نماذج لطرق جديدة في معالجة الموضوعات التي تتطرق لها كتب الأطفال

بدأت تظهر أشكال جديدة من معالجة الموضوعات المقدمة للطفل داخل القصة، سواء أكانت موضوعات تقليدية عن التسامح والتعاون والصداقة، أم موضوعات جديدة كالتي ذكرنا بعضها سابقاً، ومن هذه المعالجات التي يمكن إلقاء الضوء عليها هنا:

- القصص التي تطرح موضوع الإعاقة من منظور مختلف، حيث تؤكد هذه القصص على أن فقدان الطفل لحاسة من حواسه قد يمنحه خبرة كافية يساعد بها الطفل السليم أو غير الفاقد لحاسة من حواسه، وسأشير هنا إلى

قصة للكاتبة هالة النوباني جاءت بعنوان «ماذا يوجد في الصندوق؟»، حيث يعود هادي من السفر ومعه هدايا لأصدقائه، ثم يطلب منهم أن يحزروا ماذا يوجد داخل الصندوق. وحين ينقطع التيار الكهربائي فجأة، يساعد أحمد -الطفل الفاقد للبصر- الأصدقاءَ في استخدام حواسهم الأخرى للتعرف على محتويات الصندوق.

- القصة ذات المسارين؛ مسار السرد والكتابة، ومسار الرسم، وهذا الأسلوب يساعد الطفل على تتبع الأحداث والرسوم والربط بينهما، ويمنح للقصة لمسة فكاهية جاذبة، ومثال عليها قصة «من نافذتي» للكاتبة هدى الشاعر، حيث تسير الأحداث التي تعيشها فتاة تمتلك قطّة في مسارين؛ في المسار الأول يقرأ الطفل ما تعيشه الفتاة من أحداث خلال تأملها من نافذتها المحيط البيئي من حولها، بينما يظهر في المسار الثاني ما تفعله القطّة وأماكن تواجدها داخل هذا المحيط البيئي.

- القصة التي تتخذ مسارين في استخدام ضمير الراوي، مسار يروي بضمير الغائب، ومسار آخر بضمير المتكلم، وهذه القصص تعلي من تفاعل الطفل مع النص، وتمنح القصة أبعاداً طريفة وحيوية، ومثالها ما قدمته الكاتبة تمارا قحشة في قصتها «فائق الجمال»، حيث يظهر كتاب قديم جداً، فيه حيوانات كثيرة جداً، وداخل الكتاب يرى الطّاووس الجميلُ الغرابَ وهو يغطّي منقاره بيده ويتجه نحو النهر، فيتساءل الطّاووس عن السّبب، وتتساءل حيوانات الغابة بدورها عن السبب، وخلال ذلك تطرح الكاتبة في مسار الروايةِ بضمير الغائب أفكاراً وإجابات مسبقة لدى الراوي، لكنها في مسار الروايةِ بضمير المتكلم تترك للحيوانات حرية التدخل والحديث وتصحيح وجهات النظر المسبقة تلك.

- القصة التي تركز على الروابط بين الأحداث، كما في قصة الكاتبة ماريا دعدوش «عندما أصابت كرتي عصير التفاح»، حيث يقود كل حدث في القصة الحدث الذي يليه. وكذلك في قصتها «بنطالي قصير عَلَيّ»، إذ يركز السرد على مغامرات طفل للحصول على بنطال مناسب له، وخلال ذلك

سيتعرف الطفل على معان عميقة وأساسية من تكرار بعض العبارات مثل «من الجيد»، و«من المؤسف»، ما يعلم الطفل المرونة في التصرف عند حدوث أشياء مؤسفة، ويعزز لديه الثقة بأن الأشياء الجيدة تحدث أيضاً.

الكتابة للأطفال: أسئلة تأسيسيّة

د. أماني سليمان داود[1]

ثَمّةَ تحدّياتٌ عديدةٌ وأسئلةٌ تأسيسيةٌ كثيرةٌ تبرز للعيان في موضوعِ الكتابةِ للأطفال، وتُلْزِمُ بالبحث عن إجاباتٍ عليها، لابدّ من الاتّفاق **أولاً** بأنّ الكتابةَ للأطفال مجالٌ حيويٌّ لا يمكن النظرُ إليه باستسهال أو تبيسط؛ ففيه من الصعوبة والتعقيد والإشكاليات ما يفوق تلك التي يواجهها الكاتبُ للكبار، بل هي مَحَطُّ جَدَلٍ في جوانبَ ومستوياتٍ عديدة، ومَنْ يريد أن يسلكَ هذا الدربَ لغاياتٍ نبيلةٍ تجاه الطفولة يجب عليه أن يتحسّسَ معاييرَ الجَوْدةِ بالدرجة الأولى لا أيَّ معاييرَ ماديةٍ أخرى، كما عليه فَهْمُ مجموعةٍ من التساؤلاتِ الأوليةِ قبل الإقدامِ على اقترافِ فِعْلِ الكتابة، **وثانياً** لابدّ أن ندركَ بأن هذا النوعَ مِنَ الكتابة يتوجَّهُ إلى كائنٍ غيرِ ساذَجٍ لديه من الذكاءِ العامِّ والذكاءِ العاطفيِّ والوجدانيِّ ما لا يُمكن إنكاره، ولَديه رأيٌ ورؤيةٌ – خصوصاً في مراحلِ الطفولةِ المتأخرة– تمنحه إمكانيات الفرز لما سيتلقّاه من مواد مكتوبة. إذن يبدو من الأولويات التي يجب مراعاتُها قبل الشروع في هذه الكتابةِ هو وعيُ المتلقّي الذي تُوَجَّه إليه، وفهمُ أحوالِهِ النفسيةِ والاجتماعيةِ والفكريةِ والوجدانيةِ والبنيوية، ووعيُ حاجاتِهِ ومتطلباتِه وسياقاتِ وجودِه.

أطرح هنا مجموعةً من التساؤلاتِ الأساسيةِ التي تشكِّل محاورَ وأقانيمَ أوليةً يرتكز عليها الاشتغالُ الكتابيُّ للطفل، وتحتاج إلى مقاربة وتأمّل في سبيلِ إيجادِ إجاباتٍ قد تؤسّس لفهمٍ عامٍّ يتعلق بهذا النوع من الكتابة، ومِن هذه التساؤلات:

أولاً: مَنْ هو الطفل؟ وبوجهٍ أدقّ مَنْ هو الطفلُ المعاصرُ الذي تتوجَّه إليه الكتابةُ اليوم؟

---

(1) قاصّة وناقدة، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البترا، الأردن.

ثانياً: مَنْ يحقّ له أن يكتب للطفل؟ وما هي مؤهلاتُه التي تجعل منه كاتباً جيداً وتبرِّر استحقاقَه لذلك؟ وما الغايةُ التي يكتبُ لأجلها، وما المنظورُ الذي ينطلق منه؟

ثالثاً: ما الذي يشكّلُ ثقافةَ الطفل؟ ومَنْ المسؤولُ عن هذه الثقافة؟

رابعاً: أيهما أهمّ، ماذا نكتبُ للطفل أم كيف نكتبُ للطفل؟ (سؤال المَتْن والتَّشكيل)

السؤال الأول: مَنْ هو الطفل؟

ثَمَّةَ تعريفاتٌ عديدة لـ (الطفل) تتقاطعُ أو تتباينُ وفْقَ المَرجعية المُعَرِّفة؛ أهِيَ لغويةٌ أو دينيةٌ أو نفسيةٌ أو اجتماعية، فضلاً عن تلك التعريفاتِ التي تسنّها بعضُ الدولِ والمؤسساتِ والمنظماتِ الدولية، وتُحيل جُلُّها إلى مرحلةٍ زمنيةٍ محددةٍ من عمر الإنسان، ففي القواميسِ اللغويةِ تركز على تعريفِ الطفلِ بالإحالةِ على أوّلِ حياةِ المولودِ حتى بلوغِهِ ذكراً كان أو أنثى، وفي الاصطلاحِ هو المرحلةُ العمريةُ الأولى من حياةِ الإنسان أي منذ ولادتِه حتى سنِّ البلوغ وهي الفترةُ التي يكونُ الاعتمادُ فيها على الآخرين، ويُعرِّف علماءُ النفسِ الطّفلَ بأنَّه الإنسانُ مُكتملُ الخِلقةِ والتّكوينِ الذي لم يصل بعدُ لمرحلة النّضج، ولم تَظهر عليه علاماتُ البلوغ، مهما امتلك ذلك الفردُ مِنْ قُدُراتٍ ومُميِّزاتٍ عقليَّةٍ وسلوكيّةٍ وعاطفيّة، أما تعريفُ الطفلِ وفقاً للمادة الأولى من اتفاقيةِ الأممِ المتحدةِ لحقوق الطفل فهو: الشخصُ دون سنِّ الثامنة عشرة، ما لم تُعرِّفْ القوانينُ الوطنيةُ السنَّ القانونيةَ بأبكرَ من ذلك، وبتأمّلِ التّعريفاتِ أعلاه نجدها تعريفاتٍ عامةً تشير إلى فترةٍ ممتدةٍ طويلةٍ لا يمكن التعاملُ مع الأطفال في حيّزِها على نحوٍ واحدٍ سواء في ما يتعلقُ بموضوعاتِ الكتابةِ ومضامِينِها المُوجَّهةِ إليهم أو بأساليبِها وفنِّياتِها وغاياتِها، لذا فقد قُسِّمَتْ هذه الفترةُ إلى مراحلَ وعُرِفَتْ لها حدود، وإنْ كانت هذه الحدودُ تتباينُ ولو بشكلٍ محدودٍ بين التربويين والنفسيين والاجتماعيين إلا أنها كثيراً ما تتداخلُ وتتقاطع؛ ذلك أنها بالعمومِ مرنةٌ وليّنةٌ ومتذبذبةٌ أي أنها غيرُ مقفلةٍ ولا مغلقةٍ على ذواتها.

كما بيّنت كثيرٌ من الدراسات التربويةِ إلى أن الأطفالَ في المرحلةِ/ الفئةِ

العمريةِ الواحدةِ كثيراً ما يتفاوتون تبعاً لخصائصَ عقليةٍ ونفسيةٍ وبيئيةٍ وسياقية الخ، ما أدى أحياناً إلى تقسيم الأطفالِ في المرحلةِ العمريةِ الواحدةِ إلى مستوياتٍ طبيعيةٍ ومتوسطةٍ ومتقدمة، فيقدَّمُ للفئةِ العمريةِ الواحدةِ أكثرُ من مستوىً من الكتابة؛ فهناك كتاباتٌ مبسّطةٌ وكتاباتٌ أعلى مستوىً وكتاباتٌ أكثرُ تعقيداً.

تقسيمات الفئات العمرية للطفل:

- ثمة مَنْ رأى أنها تنقسم إلى فئاتٍ:
  - من 2–4 سنوات.
  - ومن 4–7 سنوات.
  - ومن 8–10/ 11 سنة.

وهو تقسيم يعتمده بعض كُتّاب الأطفال.

- وثمة تقسيم ارتبط بمراحلِ نموِّ الطفل، وجاء على النحو التالي:
  - من 1–3 سنوات.
  - ومن 4–6 سنوات.
  - ومن 6– 11 سنة.
- وثمة تقسيم جاء وفقَ محدداتٍ نمائيةٍ تربويةٍ على النحو التالي:
  - مرحلة الطفولة المبكرة، من 3–5 سنوات.
  - مرحلة الطفولة المتوسطة، من 6–8 سنوات.
  - مرحلة الطفولة المتأخرة، من 9–11 سنوات.

السؤال الثاني: مَنْ الذي يشكِّل ثقافةَ الطفل؟

تُعَدُّ الأسرة الحاضنةَ الأولى لتشكيل وبرمجة ثقافة الطفل في الوضع الطبيعي، وبِقَدْر نوويّتِها أو امتدادِها تتكثّف مصادر الثقافة أو تتوسع، ونتحدث هنا عن ثقافةٍ اجتماعيةٍ أوليةٍ في حياة الطفل، يمثّلها الوالدُ والوالدة، وقد تمتد إلى الأجداد والأعمام

والعمّات في حال اتّساعِ الرقعةِ الاجتماعيةِ التي ينشأ فيها الطفلُ ويتحرك، إذ كلُّ فردٍ على حِدة سيكونُ مصدراً يغذّي جانباً من جوانب فكر الطفل، وجميعُها عبْر اتّصالِها وانفصالِها ستشكِّل رؤيةَ الطفلِ الاجتماعيةِ الأولية، بعد ذلك ستأتي المصادرُ الخارجةُ عن حدود الأسرةِ كالحضانة في ظروفِ الأسرة العاملة، ثم الروضةُ، ثم العالمُ الأوسعُ فيما بعد للطفل وهو المدرسة، وعالمُ الأصدقاء والمعلمين، وما يشكّله ذلك من حاضناتٍ اجتماعيةٍ وبيئيةٍ ومفاهيميةٍ كلُّها ستكون مرايا تتشكل فيها صورةُ الطفل قليلاً قليلاً. أثناء ذلك تحضرُ الأشياءُ الموازيةُ للمحيط البشري، ومصادرُ المعرفة المختلفة، وهنا ستنهض مجموعةٌ من التساؤلات، ففيما يتعلق بالكتاب مصدراً معرفياً وتثقيفياً: هل يقرأ المحيطُ الاجتماعي للطفل؟ وهل سيقرأ الطفلُ حين يتعلم القراءة؟ أي هل سيكون الكتابُ واحداً من مصادر تلقّي المعرفةِ والثقافةِ في محيط الأسرةِ والمدرسةِ بما تمثّله القراءةُ وتغذيةُ الميولِ إليها مِنْ ضرورة؟

سأتجاوز هنا كل ذلك مجازاً، وأشير إلى مؤثّرٍ يكاد يكون الأهمَّ والأخطرَ من كل ما سبق في تشكيل ثقافة الطفل المعاصر، بل بات المربيَ الأساسيَ غيرَ المنظورِ وغيرَ المحسوس وهو عوالمُ التكنولوجيا المختلفةُ التي لم تعد شريكاً في تقديم الثقافة للطفل وحسب، بل غدت مصدراً مركزياً أزاح في كثيرٍ من الأحيان دورَ الأسرةِ من المركز إلى الهامش، فالطفل ذو العامين الذي بات يحتضن الجهازَ الإلكترونيَّ اللَّوْحيَّ أو الهاتفَ النّقالَ أثناء تناوله الطعامَ وأثناء اللعبِ دَخَلَ عالماً موازياً لعالمه الاجتماعي الطبيعي منذ وقت مبكر، وبات يتلقّى ثقافةً موازيةً قد تحمل وجهاتٍ فكريةٍ تتعارض تماماً مع التوجيه الفكري الذي يُفترض أن يتلقّاه في المحيط الاجتماعي الأسري، وبالتالي يبدأ بالتعرض لمفاهيمَ وأفكارٍ متضاربةٍ منفصلةٍ تتبارى في اتّخاذ مواقِعِها في ذهن هذا الطفل مع الاعترافِ بأن ما تقدمه الخياراتُ التكنولوجيةُ في الواقع أكثرُ جذباً وأمتع، وذاتُ تأثيرٍ مضاعفٍ وسريعٍ وفاعل، وبذلك فإن التعامل مع الطفل في السنوات الأولى بوصفه صفحةً بيضاءَ يتم تغذيتُها من محيطه الاجتماعي الأسري، لم يعد كلاماً صحيحاً. فهل يحتاج هذا التوجيهُ الجديدُ الذي نهض ليرسمَ لوحته التي يريدُها على تلك الصفحةِ البيضاء (الطفل)، بأسلوبٍ أكثر إبداعاً وتأثيراً إلى وقفة تأمّل؟!. وأنا أتحدث هنا بشكلٍ عام دون الوقوفِ عند آلياتِ ضبطِ تلقي الطفلِ للمعرفةِ من المصادرِ الجديدة، وماذا يتلقّى؟ وكيف نوجّه ما يتلقاه من معارفَ وثقافاتٍ موازية؟ لذا فإننا أمام هذا الأمر نشكّك

في تعريفِ الطفل المتطامَنِ إليه المضبوطِ بفترة زمنية، لأننا نتعامل هنا مع طفلٍ مختلفٍ لا يمكن أبداً مقارنتُه بالطفل ما قبل عالمِ التكنولوجيا والدّيجيتال والإلكترونيات.

قد يطرأ سؤالٌ جديدٌ هنا وهو: كيف يرى هذا الطفل العالم؟! وكيف يستقبل المعطياتِ الاجتماعيةَ والفكريةَ والثقافيةَ التي تحيط به؟! وهل يأخذها بتسليمٍ وقبولٍ على النحو الذي أخذها الطفلُ في عمره من الأجيال السابقة أم غدا طفلاً حاملاً لوعيٍ ما، اكتسبه من عالمٍ إلكترونيٍّ موازٍ؟! فيتلقى توجيهَ العائلةِ على سبيل المثال وهو محمَّلٌ بتوجيهٍ ووعيٍ مسبق، أي لم يعد الطفلُ صفحة بيضاء، لقد قام سياقٌ آخرُ بملء هذه الصفحة.

بعد كل هذا وحين نأتي للحديث عن الكتابة لهذا النوع من الأطفال سنجد أنفسنا أمام تحديات كبيرة ومركّبة، وسنواجه عدداً من الصراعات قِبالةَ أمرين: **أولهما** أننا نكتب لطفل مختلف، وليس بسيطاً، وليس ساذجاً. **وثانياً**: أننا نكتب في ظل وجودِ منافسٍ قويٍّ أشبهَ بالوحش (هو المنافس التكنولوجي)، فلعل علينا هنا أن نعيد النظر في الكتابة التقليدية للطفل، ونحدس بأنها باتت أنماطاً بائدةً ويلزم حينها أن نقلب الطاولة عليها.

السؤال الثالث: مَن الذي يكتب للطفل؟

الإجابة هنا لا تنطوي على رسم اشتراطاتٍ محسومةٍ تحدد سماتِ الكاتبِ الجيد للأطفال، بل تنهض بمجموعة من الرؤى العامة التي تشكل مستلزمات الكتابة للأطفال، لكنّ تحققها قد لا يوفر ضمانة لنجاح الكتاب المنتج للأطفال إنْ لم تتضافر جميعها في الكاتب وسياق إنتاج الكتاب، وهي:

أولاً: الكتابة للأطفال يلزمها كاتبٌ مُتمكّن من اللغة، مُتقِن لأساليبها وخباياها النحويةِ والصرفيةِ والتركيبية، وعارفٌ بمستوى الجملة اللغوية المختارة للعمر المكتوب إليه والحقلِ المعجمي الدلالي المناسبِ لهذا العمر، وخصائصِ الفئاتِ العمرية التي يَكْتب لها من مناحٍ سيكولوجية ونمائية، والبيئاتِ الحاضنةِ لها والمحيطةِ بها. أي أن يكون أشبهَ بخبير تربوي، ويكونَ عارفاً بمداخل الطفولة النفسية والاجتماعية ومخارجها، والحاجات العاطفية والوجدانية والبيولوجية المناسبة.

ثانياً: من الضروري أن يطّلع مَنْ يكتب للطفل على تجاربَ كتابيةٍ وُجّهتْ إلى الأطفال من بيئات فكريةٍ ولغويةٍ وحضاريةٍ غير التي ينتمي إليها؛ فهي توسّع مداركَ الكاتبِ ذاتِه وتمنحُهُ زوايا نظرٍ إبداعيةٍ جديدة، وتعطيه بالتالي فرصةً لمنح الطفل الذي يَكتب إليه دائرةً أوسعَ من محيطه الضيق، فتفتحُ أفقَه على الابتكار والإبداع والتجديد، ومغايرةِ التفكير داخلَ صندوقِ البيئةِ المحدودةِ والمغلقة، فهذه الثقافةُ ستضيفُ وعياً جديداً على المستوى الجمالي والرؤيوي الذي يُفترض أن يتمظهرَ في الكتابة للأطفال.

ثالثاً: من يكتب للأطفال عليه أن يمتلكَ فطنةً في تقديم الطريفِ والممتعِ والساخرِ أحياناً، وقدرةً على بناء المواقف القائمةِ على المفارقة، إضافةً إلى الابتعاد عن التوجيهِ المباشرِ كي لا تغدوَ كتابتُهُ للأطفال وعظيةً استعلائيةً تنفّر الطفلَ ويَضيق ذرعُهُ بها، فليس على الكاتبِ أن يعمد إلى الإملاء والتنظير للقيم والأخلاقيات؛ فدورُه أن يُريَ الطفلَ ويمنحَهُ فرصةَ الاستنتاج، ولعل الأفكارَ الجميلةَ والنوايا النبيلةَ لا تكفي لنجاح الكتابة للأطفال. هناك مسؤولياتٌ جَمّةٌ يجب أن يراهن عليها غيرُ هذه الأفكارِ والنوايا؛ وهي التشويقُ والإمتاعُ وتحقيقُ القيم الجماليةِ والأساليبِ الجاذبةِ الممتعةِ الكاسرةِ للتوقّعِ والمنزاحةِ عن النمطيِّ والمعتادِ بما يفاجئُ الطفلَ ويَسُرُّهُ ويجذبُ رغبته للتقمّص الإيجابي والتفاعلِ والتعاطف، ويقلبُ المقاييسَ لصالح صناعةِ وَعْيٍ وانتباهٍ وإدراكٍ جديدٍ لدى الطفلِ القارئ. هذا من جهة، ومن جهة ثانية على الكاتب للأطفال أن يسعى سعياً حثيثاً في تقديم كتابةٍ منافسةٍ لما تطرحُهُ الأسواقُ الإلكترونيةُ من المدهشِ والغريبِ والجاذبِ والمشوِّقِ والسّالبِ للعقل.

رابعاً: يَحْسُنُ بمَنْ يكتب للأطفال الاطّلاعُ على التجربة النقدية الموجهةِ لكتاب الطفلِ محلياً وعالمياً، وهو بذلك يدرك المعاييرَ الأساسيةَ ومواطنَ القبحِ والجمالِ فيما يُنتَجُ من كتابةٍ للأطفال، فالمنظورُ النقديُّ يمثِّل فئةً من القرّاء مِنْ غيرِ الأطفالِ تُقيِّم وتقوِّم التجربةَ الإبداعية، فلعلّ كاتبَ الأطفالِ بمجموعِ الملاحظاتِ التي يستبطنها من هذه الأعمال النقدية يُعدِّل في منظوره الإبداعيِّ في تجاربِه التالية، فالكتابةُ عمليةٌ مستمرةٌ ودائبةٌ تتطلَّبُ الاستمرار في التعديل والتجديدِ وفق ما يستجدُّ على كل المستويات.

خامساً: وهي نقطةٌ تضاف إلى كل ما سبق لكنها قد تكون الأهمَّ منها جميعاً

وهي أن يتمكن الكاتبُ للأطفال من أن يكون طفلاً أو يستحضرَ طفولتَهُ بمعنى أن يمتلك القدرةَ على أن يضع نفسَه في مكانِ الطفلِ الذي يوجِّه كتابتَه له، فيتمثل أحاسيسَه وانفعالاتِه وردودَ فعلِهِ ومشاعرَه وسلوكَه، وأن يكون أيضاً مندهشاً حاملاً لروح الطفل بكل أبعادها كي يستطيعَ تقديمَ شخصياتٍ مدهشةٍ، مرحةٍ، ساخرةٍ، متعاطفةٍ، متفاعلةٍ، مغامرةٍ، صارخةٍ، ومتحمسةٍ، أو صامتةٍ متأملة. وأقصد هنا أنَّ مَنْ يكتب للأطفال عليه أن يكونَ قادراً على أن يرى من زاويتهم، ومن منظورِهم وبأعينهم وأحاسيسِهم، وأن يتواضع وينزلَ من عليائه وأبراجِهِ التي يُطلِق من فوقِها آراءَه ونصائحَه وعظاتِهِ.

السؤال الرابع: أيهما أهم، ماذا نكتب للطفل أم كيف نكتب للطفل؟ (سؤال المَتْن والتَّشكيل)

ثمة عبارةٌ اعتدنا طرحها حين نتحدث عن الكتابة للكبار، أستعيرها هنا في الحديث عن الكتابة للأطفال، تقول: (المعاني مطروحةٌ في الطريق) وهي عبارةٌ جاءت على لسان الجاحظِ الأديبِ العباسي (ت 255ه)، فليس الهمُّ المركزيُّ هو ماذا نكتب للأطفال وإنما كيف نكتب لهم، لأن كل شيء يمكن أن يكون مادةً أوليةً جاهزةً لتصبح موضوعاً للكتابة، لكن الفنَّ هو الكيفيةُ التي أجعلُ بها هذا الموضوعَ أو ذاك مَحَلَّ جَذْبِ الطفل، وأحسب هذا مؤشرَ نجاحِ القصةِ أو فشلِها.

لقد كثرتْ المدارسُ التي تطرح نفسَها بوصفها المثالَ الأفضلَ للكتابة للطفل، لكن في الواقع ليس ثمة شكلٌ نهائيٌّ أو مثاليٌّ يمكن مفاضلتُهُ عن غيره من الأساليب، فالكتابةُ للأطفال مَحْضُ مغامرةٍ يعتورها التجريبُ المستمرُّ كما لو أنك تقطعُ نهراً؛ فأنت لا تقطعُهُ ذاتَه كلَّ مرة، ولا تصادفُ أثناء قَطْعِكَ له الأشياءَ ذاتَها، لذا كلُّ شكل يمكن أن يكون مثالياً إذا حقق غايةَ الوصولِ إلى الطفل بنجاح. الضرورةُ تكمن في إنتاج أدبِ أطفالٍ بسماتٍ فنيةٍ جماليةٍ ورؤيويةٍ جاذبةٍ وممتعةٍ وقادرةٍ على استعادة أطفالِنا إلى القراءة وتقليل الهُوّةِ التي حالت بينهم وبينها، وذهبتْ بهم بعيداً نحو عالم التكنولوجيا المُغوي والذي يشكل واجهةً للصراعِ العنيفِ مع الكلمة المكتوبة والمقروءة.

ويمكن التأكيدُ أن إشكالياتِ الكتابةِ للطفل ليست متعلقةً بإتقان اللغة المكتوبِ بها للطفل وحسب، وليست مرتبطةً فقط بالفكرة العظيمةِ التي نريد

توجيهَها له، فليست كلُّ جملةٍ صحيحةٍ مستقيمةٍ تركيبياً مناسبةً للطفل، وليست كلُّ فكرةٍ عظيمةٍ مناسبة للطفل؛ وإنما نحتاج إلى الأسلوبِ المناسبِ كما نحتاج إلى الانزياح عن المستقرِّ والسائد، يلزمنا كَسْرُ الصورةِ النمطيةِ لما هو معتادٌ في مجتمعاتنا، وتمريرُ الأفكارِ للطفل بطريقةٍ مبتكرةٍ صادمةٍ تعمل على تحفيزِ خيالِهِ وتنشيطِ ذهنِهِ وإشباعِ فضولِهِ وتوسيعِ مداركِهِ وإيهامِهِ بأنه عَبْرَ القراءةِ يمكن أن يلجَ عوالمَ جديدةً بعيدةً مدهشةً ساحرة، إضافةً إلى تحسين الإطارِ المعرفيِّ والوجدانيِّ والمهاريِّ لديه.

خلاصات وملاحظات عامة:

- تواجهُ الكتابةُ للأطفال إشكالاتٍ شتّى منها ما يتعلق بالرؤية الفنية والجمالية، ومنها ما يتعلق بالرؤية الفكرية؛ فهل الكتابةُ للأطفال تتقصدُ الوعظَ والإرشادَ والتربيةَ لذاتِها، أم الإمتاعَ لذاتِه، أم كليهما، وهذه يختلف بها كثيرون، فهناك مجموعةٌ من المعايير عند الكتابة فنية وعلمية وتربوية ولغوية وجمالية وقيمية واجتماعية وأخلاقية؛ لكننا أيضاً نختلف تجاهها فهي معاييرُ نسبية. كما تتباينُ وفق النوعِ الأدبيِّ المكتوب (قصة أم شعراً أم رواية أم مسرحية)، وهناك إشكالُ التقسيمِ المتعلّقِ بالفئاتِ العمريةِ ومستوياتِ الكتابةِ لكل فئة.
- الكتابةُ الإبداعية المميزةُ للأطفال هي التي يكون بمقدورها أن تُمكّن الطفلَ من استكشافِ ذاتِه وعلاقتِه بالمفردات والمجتمعِ والكونِ حوله، وبقراءتِهِ لها يختبر الطفلُ قدرتَه على التعاطفِ والتفاعلِ ووعيِ بعضِ المفاهيمِ والرموزِ كما يختبر دلالاتِ الفشلِ، ويتعرفُ على إمكانياته في تجاوزها وفي تخليق فرصِ الإعادةِ والتجديدِ لتحقيقِ النجاح، فمن خلال قراءة الكتب الجيدة يختبر الطفلُ فكرةَ الخطأ بوصفه فرصةً متجددةً للتغيير والتصويب، ويكون بمكنتها الإجابةُ عن بعض التساؤلات التي تدور في ذهنه وتؤرقه، وكل ذلك يحقق التأثيرَ الوجدانيَّ الفكريَّ بعيداً عن الإرشاد والتوجيه السلوكيِّ المباشرَيْن.

- إنتاج كتابٍ متميِّزٍ للأطفال ليس رهيناً فقط في محور الكتابة، وإنما هناك محاورُ أخرى تتضافر لتحقيق ذلك، وهي تلك المتصلةُ بالرسم والألوان والإخراجِ والطباعةِ ونوعِ الورقِ وملمسهِ وشكلهِ وحجمهِ وآلياتِ النشرِ ومرونتها ورؤيةِ الناشرِ ورسالتِه، فهو عملُ فريقٍ كلُّ فردٍ فيه مهمٌّ وأساسيّ.

وبعد؛

ليس ثمة إجاباتٌ يمكن أن ندّعيها هنا ولكنها محاولاتٌ للتفكير بصوتٍ عالٍ، ودعوةٌ للتأملِ والبحث، وفي الآن ذاتِهِ هي دعوةٌ لعدم الكفِّ عن الكتابة بكل أشكالها وأساليبها وتقنياتها البسيطةِ والمعقدة، الجادةِ والساخرة، التقليديةِ والحداثية، وما بعد الحداثية، والاستمرارِ في محاولةِ تطويع التكنولوجيا والإفادةِ منها، ومن مقترحاتها، ومقاربتِها وإقامةِ معاهدةٍ معها، لا عراكِها ورفضِها ومنعِها فهذا مستحيل، إذ لا يمكن تربيةُ طفلٍ خارجَ منظومةِ الزمنِ الذي ولد ونشأ فيه أو خارج معطياتِ هذه المنظومةِ ومكتسباتِها، وما كلُّ هذه المحاولاتِ إلا شكلٌ من أشكال البناءِ أو إعادةِ البناء والدفاعِ والمقاومةِ لكل ما هو غيرُ مرغوبٍ فيه.

فن التواصل الكتابي مع الطفل

أ. سوزان غاوي[1]

مقدمة

- الكتابة تعتبر عنصراً من عناصر اللغة، فهي اللغة المكتوبة والمقروءة والمسموعة.
- الكتابة تُعبّر عمّا يدور في الفكر، بالتالي هي إحساس وشعور ورغبات ورسائل.
- الكتابة هي جزء لا يتجزأ من عملية التعلّم لأي لغة، فهي المهارة الأساسية التي بها يُقيّم الشخص ذاته للمعرفة، ويتأكد من أن أفكاره قد ترتبت وتعمَّقت وأصبحت واضحة.
- للكتابة خصائص ومهارات وصعوبات ومراحل، حسب الفئات العمرية للطفل، وقدراته المختلفة.
- الكتابة للأطفال ليست عملية سهلة أو بسيطة وهي ليست كلماتٍ وحروفاً مزخرفة، وليست تعابير إنشائية منمقة، فالكلمة هي رسالة وقضية ومن ثم فن. فهي رسالة لأنها تحوي مضامين تربوية وأخلاقية وتثقيفية، وهي قضية لأنها ملتزمة بالمبادئ والمعايير والقيم، وهي فن لأن للكلمة قدرتها العجيبة على إعادة صياغة الواقع في جو سحري مشبع بالخيال. وكل ما يتعلَّمه الصّغار في حياتهم لا ينسونه عندما يصبحون كباراً بل

(1) مؤلفة قصص أطفال.

يبقى حبيساً في أعماق نفوسهم وذاكرتهم إلى أن يأتي الوقت فيعبرون عنه إما بالكلمة أو بالكتابة.

لذا فمن بالغ الأهمية أن تكون هناك كتابات أدبية متنوعة تتصل بثقافة الطفل لتساعد على تطوير عالم الطفولة عقلياً، ومهارياً، ووجدانياً، وأدبياً، وترفيهياً، ولن يتأتى ذلك إلا بوسائل الاتصال المتنوعة كالمقال، والخاطرة، والحوار، والتحقيق الصحفي، والأسطورة، والقصة، والشعر، والمسرح، والتي ستساعد على نمو وتطور الكتابة لدى الأطفال.

- الكتابة هي من المهارات اللغوية التي تساعد من يمتلكها على تحويل أفكاره إلى نص مكتوب.

فكيف أساعد الطفل على تحويل أفكاره إلى نص مكتوب وهو لا يمتلك بعد هذه المهارة؟

بما أنَّ اللغة عملية تكاملية بين المقروء والمسموع والمكتوب فلا بد من تداخل كافة العناصر هذه لإنجاح العملية التعلمية الكتابية. بالتالي عند تقديم أي معلومة للطفل يجب أن يرافق ذلك صورة بصرية وصوت مميز له علاقة بالصورة في كافة مراحل التعليم سواء في الروضة أو المدرسة. فالدراسات أثبتت أهمية الانطباع البصري والسمعي في ترسيخ المعلومة. كما للتفاعل المباشر للطفل في العملية التربوية بحيث يستعمل كافة حواسه وأن لا يكون الطفل متلقِّياً فقط للمعلومة.

في مرحلة الروضة تزداد قدرة الطفل على الفهم والتعلّم والحفظ. وتتطور لغته إلى جمل قصيرة. أما الكتابة فتبدأ عند الطفل بمجرد أن يمسك القلم ويرسم الخطوط أو الدوائر أو النقاط على الورقة، فهو يُعبّر عن نفسه بهذه الطريقة وبشكل رائع. ومن هنا يبدأ دور المعلم والأهل بتوجيه الطفل على كيفية إمساك القلم وتشجيعه باستمرار.

في المرحلة الثانية يبدأ التركيز على الاتجاهات، والمقصود أن الكتابة باللغة العربية تبدأ من اليمين إلى اليسار، وبالتالي توجيه الكتابة بهذا الاتجاه من خلال وضع إشارة سهم يدل على الاتجاه، والبدء بربط نقاط فيما بينها مثلاً لعمل خط طويل وأقواس بسيطة ودوائر غيرها من الأمثلة الخ.

من الأشياء البديهية أن الإنسان يُبدع بما يُحب، لذا يجب الانتباه إلى ميول الأطفال المختلفة والعمل على استثمارها بما يخدم تعلّم اللغة. وتتميز المرحلة العمرية في الروضة بأنّها الأسرع في نموّ الطفل اللغوي تحصيلًا وتعليمًا، وفيها يتم تحسن النطق ودقة التعبير وفهم الآخرين، بالتالي فالخطوة الأولى التي علينا عملها هي تحبيب الأطفال في اللغة العربية، فعلينا زراعة بذرة حب اللغة العربية كي تنمو في قلوبهم وعقولهم، كما علينا ترسيخ أهمية اللغة العربية لأنَّها الهوية والثقافة والتاريخ والحاضر والمستقبل.

فعلينا أن نقدم لهم كل جديد وجميل ومفيد، وأن يكون هذا كله متنوعاً بين وسائل تعليمية مختلفة؛ منها الوسائل التقليدية ومنها الوسائل التكنولوجية الحديثة. وأن نوظف لكل حرف أو كلمة أو موضوع عدة مداخل كالموسيقى والفن بأنواعه والألعاب والقصص والإعلانات والدعايات والرياضة والمسابقات وغيرها الكثير.

تلعب القصص دورًا مهمًا في عملية التعليم وتساعد في تربية الطفل بكافة جوانبه النفسية واللغوية والحركية والاجتماعية والأخلاقية. والأطفال يستمتعون كثيرًا عند سماع القصص، بالتالي يجدر توظيف القصة الجيدة لتحقيق أفضل النتائج المطلوبة لتنشئة جيل واعٍ قادر على تحمل المسؤولية ومواطن صالح يعرف حقوقه وواجباته.

هناك الكثير من الوسائل المساعدة التي من الممكن أن تسهل العملية الكتابية، ولكن القصص من أهمها، وأنا لا أتحيز لذلك فقط لأنني مؤلفة قصص أطفال منذ زمن، ولكن أيضًا بسبب عملي كمربية ومعلمة لسنين طويلة، بالإضافة إلى تخصصي الدراسي في الجامعة الأردنية في مجال تربية الطفل، وخبرتي العملية في التحضير والتدريس جعلني أركز أكثر على هذا الموضوع.

فنّ التواصل الكتابي مع الطفل:

كما ذكرت سابقًا فهناك الكثير من الأدوات التي تساعد الطفل على تعلّم الكتابة ومنها: القصص والإعلانات والدعايات والمجلات والموسيقى والفن والألعاب والرياضة والطبخ والمسرح وغيرها، وكل تلك الوسائل ستساعدنا على تحقيق

هدفنا، ولكن سنحتاج إلى مهارة التطبيق وفن التواصل مع الطفل كي تتحقق فعلًا هذه الأهداف.

كما ويجب مراعاة الخط الذي يكتب به للأطفال، من حيث حجم الخط، وشكله، وطريقة كتابته. ويُحَبَّب استعمال الألوان الجاذبة التي يحبها الأطفال. والتأكد من ربط صورة الحرف مع صوته، والانتباه إلى لفظ الأطفال الصحيح لكافة الأحرف، ومساعدتهم في حال كانت لديهم مشكلة في مخارج الحروف كي لا تعيق العملية التعليمية.

توظيف القصّة في التواصل الكتابي

نبدأ في الاختيار المناسب للقصة من حيث المستوى اللغوي وعمر الطفل، ومن حيث المضمون والهدف المنشود. فعملية القراءة تبدأ من صفحة الغلاف، من خلال الرسومات والعنوان، جميعها سيساعد في بناء لغة الطفل وإثراء قاموسه اللغوي.

قبل قراءة القصة يتم طرح أسئلة عن رسمة الغلاف والعنوان؛ لتشويق الأطفال والسماح لمخيلتهم بابتكار ورسم أحداث القصة من كلماتهم الخاصة.

قراءة القصَّة تحتاج إلى مهارات متنوعة، وأهمها الأسلوب واختلاف النبرة ومستوى الصوت بما يتناسب مع الأحداث وتغيير الصوت بتغير الشخصيات.

يتم سؤال الأطفال عن القصَّة بعد الانتهاء من القراءة، مثلًا: ماذا أعجبه فيها؟ ثمَّ يحاول كل طفل كتابة كلمة واحدة تعبّر عن ذلك، ويرسم رسمة تمثلها. في هذا التمرين البسيط يحفظ الطفل كلمته على الأقل، ويقدر موهبته في الرسم، وقدرته على الكتابة، وتزداد ثقته بنفسه.

بالإمكان كتابة العنوان ورسم صورة تعبر عن القصّة بعد ذلك. يتم عرض بطاقات على الأطفال ضمن مجموعات، وتحتوي كل بطاقة على كلمة واحدة بسيطة من القصّة، مكتوبة بخط واضح لقراءتها، ويكون ذلك عن طريق اللعب كالحزازير أو التمثيل أو الربط بالصور المناسبة، وهناك الكثير من التمارين الأخرى وهذه أمثلة بسيطة يمكن تطبيقها في مرحلة الروضة.

مثال

1 - **الموسيقى**: أغنية الحروف العربية مُغَنّاة مع سماع الموسيقى، وتكرر كل يوم مع وجود لوحة الحروف واضحة للإشارة إلى كل حرف تزامنًا مع الغناء. وفي مرحلة لاحقة حصول الطفل على لوحة خاصة به للدلالة على الحرف أثناء الغناء. الهدف معرفة أشكال الأحرف وأصواتها بشكل عام، وليس حفظ جميع الأحرف وكتابتها في هذه المرحلة.

2 - **القصّة**: قراءة قصّة عن الأحرف، مثال: قصّة «أنا والأحرف» والتي تهدف إلى التعريف بأحرف اللغة العربية والخط العربي الجميل عن طريق أسماء الأطفال وتحبيبهم بلغتهم العربية.

3 - **الفن**: توظيف القصّة في الفن، حيث يقوم كل طفل بالبحث عن حرف اسمه بين الأوراق المعدة سابقًا من قبل المعلم/ ة ليتعرف عليه، ومن ثم يحاول التفنن في تزيينه وتلوينه، وهذا العمل يعزز الانتماء والتعلق باللغة.

4 - **الألعاب**: بطاقات عليها الأحرف وصورة تبدأ بذات الحرف. وهنا لا يتم استخدام إلا بعض الأحرف البسيطة والمستعملة بكثرة ويقتصر على الأحرف المقرر تعلمها في الفترة الحالية وعلى سبيل المثال:

أ... أرنب - **ب**... بطة - **ت**... تمساح - **د**...ديك - **و**...وزة - **س**... سمكة

توزيع البطاقات مكررة على الأطفال وعمل مجموعات في كل مرة حسب الإرشادات المقدمة على سبيل المثال:

- الأرانب تأتي إلى هنا ثم تقفز....
- البط يأتي ثم يقلد صوت البطة
- الديك يأتي ثم يصيح مقلدًا صوته
- الذي يحمل حرف (ت) يرفعه.... وتكرر مع باقي الأحرف

- عمل شكل الحرف بالمعجونة أو الدهان أو خيط الصوف...
- أي أنشطة أخرى تساعد في إنجاح العملية التعليمية، وخلق روح الفرح والاستمتاع لدى الأطفال لتعلم الأحرف ويمكن تطبيقها ستعزز حب اللغة.

5 - **الرياضة**: على سبيل المثال:

- عمل حركات باستخدام الجسم أو الأيدي لتشكيل الأحرف وتقليدها.
- سباق ركض مسافة بسيطة بين كل من يحمل حرف (أ) على سبيل المثال.
- توزيع الفرق باستخدام أسماء الأحرف. والهدف استعمال حرف أو كلمة للدلالة على المجموعة للمساعدة في حفظ شكل الحرف وصوته.

6 - **المسابقات**: على سبيل المثال:

توزيع الأطفال إلى مجموعات، وإعطاؤهم صوراً لكلمات تحمل ذات الحرف، عدا واحدة. ويطلب منهم البحث عن المختلف. والمجموعة التي ستفوز تكون قد فازت بالحرف المستخدم ويتم كتابته أمامهم... يقوم الأطفال بكتابة الحرف على الحاسوب وطباعته وكتابته يدويًا وبالشكل الصحيح. يجب التركيز على هذه المهارة الحركية الدقيقة المهمة والتي تبدأ بعملية مسك القلم، وتقليب صفحات الكتاب، واستعمال الممحاة لتصحيح الأخطاء. إن استعمال كافة الحواس، كاللمس والسمع والنظر والشم والتذوق، يثري العملية التعليمية، والتي أخشى أن تختفي مع زيادة استعمال الأجهزة الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي.

المهم هو خلق جو تعليمي ممتع، ليتم تعليم الكتابة للأطفال. وهنا يكمن دور المقدم للمعلومة بحيث يعطي من قلبه، وبفرح، ويتقبل جميع الأطفال دون تحيز أو تمييز بينهم، ويشجعهم ويدعمهم بكلمات لطيفة، ويخلق جوّاً إيجابياً مليئاً بالمحبة، لأنَّ الأطفال يتعلمون ويقلدون من حولهم؛ من المعلم إلى الأهل إلى الأصحاب. لذا يجب مراعاة كل كلمة نلفظها، وكل حركة نقوم بها، والتأكد من المستوى اللفظي

للأطفال، وحل مشاكل النطق بطرق تربوية حديثة جميلة وبأسلوب لطيف مع الأطفال.

فمن الأخطاء التي قد تعيق تقدم اللغة لدى الطفل، خصوصًا أطفال قبل المدرسة، إشارات الإصبع التي تحذر أو تهدد بشكل مباشر كقول لا واحذر.

أمّا في الصفوف الابتدائية الأولى، فيكون بالإضافة إلى الكتب المنهجية، أدوات متنوعة لا تختلف كثيرًا عما سبق ذكره ولكن ستتطور لتواكب مستوى الطفل العقلي والنفسي والاجتماعي والثقافي. وهنا ستبرز أكثر مشكلةُ العامية والفصحى، فيجب الانتباه لهذا الموضوع والبحث عن الكلمات الأقرب والأبسط إلى العامية للوصول إلى مستوى أفضل وبسرعة أكثر للانتقال إلى مستويات أعلى لغويًا. كما نلاحظ التقدم في الفهم من المفاهيم البسيطة إلى المفاهيم المعقدة ووجود اختلافات فردية واختلافات بين الجنسين فيجب مراعاة كل ذلك.

في هذه المرحلة وهي الطفولة الوسطى تزداد الحصيلة اللغوية للطفل بما يقارب 50٪ وهي مرحلة الجمل المركبة الطويلة والانتقال من التعبير الشفوي إلى التعبير التحريري؛ لذا فالطفل يكون قد تقدم في اللغة ويستطيع القراءة الجهرية والصامتة ويستطيع أن يُعبر عن أفكاره شفويًا وكتابيًا.

يجب الانتباه إلى أي صعوبات لغوية قد يواجهها الطفل في هذه المرحلة، للعمل على تسهيلها وتوضيحها والتأكد من أنَّه تغلّب عليها كي لا ترافقه إلى مراحل أعلى وتسبب له الحرج والخجل وتعيق تطوره في اللغة ومنها:

- الأحرف المتشابهة كتابيًا: ب-ت-ث / ج-ح -خ / د-ذ / ر-ز-و/ س-ش / ص-ض / ط-ظ / ع-غ / ف-ق / ك-ل.
- المتشابهة لفظيًا: ت-ط / ث-ذ / ح-ه / س-ص/ ض-ظ / ذ-ظ / ق-ك.
- مخارج الحروف التي تعمل التباسًا عند الكتابة إذا لم يتقنها الطفل وأهمها: ل – ز – س- ر-ع -غ – ك.
- اختلاف طريقة كتابة الحرف الواحد حسب موقعه في الكلمة: أول الكلمة – وسط الكلمة – آخر الكلمة والمتصل والمنفصل منها.

- التشكيل واستعمال الفتحة والضمة والكسرة لضبط الحروف والكلمات طبقًا للقواعد الصحيحة.
- ثنائية اللغة بوجود العامية التي يتكلم بها الطفل، والفصحى التي يجدها في القراءة والكتابة.

العملية التعلمية هي عملية تفاعلية تكون بين المعلم والطالب في المدرسة، وبين الأب والأم والطفل في المنزل. لذا يجب التواصل المستمر بين المدرسة والبيت، لإنجاح العملية التربوية التعليمية بما يصبّ في مصلحة الطفل.

في هذه المرحلة تتطور الكتابة وتختلف طرق عرضها، وبالتالي يمكننا التنويع بين الأدوات لزيادة التشويق والرغبة في القراءة والكتابة. فلا تتوقف عملية تعلّم الكتابة على المنهاج المدرسي، بل يجب أن تتنوع بين القصّة والشعر والأغنية والمجلة والصّحيفة والإذاعة والتلفزيون والمسرح والأفلام القصيرة لزيادة الفائدة ولفت انتباه الأطفال نحو القراءة والكتابة، لأنَّها حولهم وفي كل مكان.

فمن خلال ورقة دعائية أو بطاقة دعوة أو إعلان لفعالية ثقافية أو سماع خبر في الإذاعة والتلفزيون مثلًا، نستطيع أن نجعل منها مادة تعليمية تشجع الطالب على الكتابة. فنطلب منه كتابة إعلان أو بطاقة دعوة لنشاط ما سيقوم هو وزملاؤه بعرضه مثلًا أو لوحة إرشادية أو رسالة. كما من الممكن استخدام القصص كمدخل لكتابة رسالة أو بطاقة ومنها هذه القصص مثلًا:

- قصّة «أرنوبة وحيدة» والتي تكتب فيها الدجاجة لوحة وتعلقها على شجرة ليقرأها كل من يمر من هناك لمساعدة أرنوبة المريضة. فاللوحة عبارة عن مدخل لكتابة الإعلانات وإظهار أهمية تعلم القراءة والكتابة والفائدة من قراءة إعلان مثلًا.
- قصّة «ليلة فرح وبابا نويل» مدخل لكتابة الرسائل وأهم عناصر كتابة الرسالة.
- قصّة «ماذا جرى ليلة العيد؟» مدخل لتبادل المعرفة بالرسائل الإلكترونية عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي. وهنا يجدر الإشارة إلى الاختلاف بين الرسائل الإلكترونية والتي قد تُكتب باللغة العامية بين الأطفال والرسائل الورقية أو الإلكترونية والتي تُكتب باللغة الفصحى.

جميع ما ذكر من الممكن تطبيقه عن طريق أوراق العمل الفعلي الوجاهي أو عن طريق التعليم الإلكتروني. علمًا بأن التعليم الوجاهي أفضل بكثير لوجود الطفل في جو تعليمي مع زملائه في غرفة الصّف ويعيش التجربة فعليًا وليس افتراضيًا.

- عرض البطاقات على الشاشة ومشاركتها مع الأطفال من أماكن تواجدهم.
- تفعيل رابط مخصص وكلمة دخول للأطفال، وطرح الأسئلة عليهم كتابيًا، ووضع إجابات متنوعة، وعليهم اختيار الجواب الصحيح لأخذ نقطة تحسب لصالحهم، أو كتابة كلمة أو جملة قصيرة للإجابة. (تكون التمارين بشكل مسابقات وأحاجي).
- رفع البطاقات أو الإشارة إليها.
- يكتب الطفل إعلاناً ويرسله إلى زملائه للمشاركة وإبداء الرأي.
- بالنسبة للقصص يفضل تسجيل صوت القارئ وإرساله للأطفال أو البحث عن قصص مصورة يرافقها الصوت، أو البحث عن أفلام قصيرة صنعت لهذا الهدف وهي ليست متوفرة بكثرة أو قد لا تصلح.

ينطبق ما سبق على المرحلة التعليمية الابتدائية بكافة الصفوف مع مراعاة زيادة عدد الكلمات والجمل والتراكيب صعوبة، وذلك بالتدرج واختيار المواضيع التي تناسب أعمارهم.

في مرحلة الطفولة المتأخرة وهي مرحلة ما قبل المراهقة، يُصبح الطفل أكبر وأقوى، ويستطيع أن يسيطر بشكل تام على الكتابة واستعمال الآلات والأجهزة بشكل جيد، وهو لا يتعب ولكنه قد يمل. وتصبح لديه طاقة للجدل المنطقي والتعبير، ويدرك المعاني المجردة للكذب والصدق والموت والحياة. فالتعامل معه يختلف عن التعامل مع من هم أصغر سنًا.

لذا يجب مراعاة هذه الخصائص النمائية عند التحدث معه وعند اختيار المواضيع أو القصص لتناسب عمره واهتماماته. فهو قادر على مناقشة قصّة مثلًا بعد القراءة، ويمكنه تلخيصها أو كتابة رأيه فيها. في هذه المرحلة تكون مهاراته اللغوية

قد زادت، لذا يجب التركيز على قواعد اللغة والتمييز بين اللغة الفصحى والعامية والتدريب اللغوي السليم.

للكتابة بشكل عام خصائص ومن أهمها:

- الإيجاز وتكثيف المعنى للوصول إلى المقصود بسرعة.
- ترابط الموضوع.
- الاهتمام بالفكرة.
- الاهتمام بالجانب الوجداني.
- التشويق والإمتاع.
- تنوع الأسلوب لإبعاد الملل لدى القارئ.
- القصر من حيث الصفحات.
- الكاتب ورأيه ومواقفه.

فعندما نكتب للأطفال أو عندما نطلب منهم الكتابة، علينا مراعاة هذه الخصائص، وتعليمهم كيفية استخدامها، وإعطاؤهم مفاتيح لمساعدتهم على ذلك. فيتم طرح الفكرة، والبحث عن الشخصيات والمكان والزمان والأحداث والحوار، والتفكير في المشكلة وإيجاد الحل.

عند المباشرة في الكتابة يتم العمل على التركيب الصحيح للجمل الخالية من الأخطاء الإملائية واللغوية، ومراعاة قواعد اللغة والترقيم الصحيح.

لغتنا العربية لها خصوصية خاصة وقواعد تختلف عن اللغات الأخرى منها على سبيل المثال: المثنى وجمع المؤنث والأمثلة التي تمَّ ذكرها سابقًا. وتزداد الصعوبة عندما لا تكون مستعملة في اللغة العامية. لذا علينا الانتباه إلى هذه الصعوبات وغيرها. فعندما يواجه الطلاب هذه المشكلة، يفضل في ذات الوقت لفت انتباه الأطفال والعمل على تصحيح أخطائهم لتكون نقطة الحوار. فالطفل يتعلّم بشكل أفضل ويحفظ أكثر عندما يكون له علاقة بالأمر، ويكون ذلك أنجع أحيانًا من درسٍ جاهزٍ تمَّ تحضيره مسبقًا. ولزيادة الفائدة من الممكن ربط الطريقتين معًا.

يجدر الإشارة بأن المكتوب أو المرئي أصبح متاحًا للأطفال في كافة مراحل عمرهم عن طريق الأجهزة الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي، وأنَّ المراقبة المستمرة ليست بالشيء السهل. فالصّغار باتوا يستعملون مختلف الأجهزة بإتقان قد يفوق الكبار في بعض الأحيان. والأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة يمرون بتغيرات مختلفة في نموهم. الطفل في هذه المرحلة يستطيع ضبط انفعالاته ولكن يكون لديه قلق وخوف. لذا يجب مراعاة ذلك وتفهم مشاعر الطفل، وجعله يشعر بالأمان، وإعطاؤه الفرصة للتعبير، وتوجيهه نحو الأشياء الجيدة، والتنبيه لما قد يكون له خطورة عليه وعلى مستقبله، وكي لا تكون هذه المرحلة معيقة لتحصيله الدراسي.

ففن الكتابة لا يقل أهمية عن فن التعامل والكلام مع الطفل بأسلوب جيد. فكل مهارة تحتاج إلى أدوات وأساليب وأفكار تتناسب مع كل فئة عمرية.

ولا شك بأنَّ المؤسسات الحكومية المعنية بالطفولة في الأردن تعمل على تنمية ثقافة الطفل، ورعاية احتياجاته، وتقع المسؤولية الكبرى على وزارة التربية والتعليم في هذا المجال.

وللوزارة دور ريادي في تبني البرامج الداعمة لثقافة الطفل. ومن هنا أدعو لزيادة الاهتمام والتركيز على اللغة العربية «اللغة الأم»، وذلك من خلال القراءة الإثرائية، والكتب القصصية لتكون داعمة للمنهاج، وذلك لزيادة متعة القراءة، ورعاية تطوير الأداء اللغوي للطفل في مرحلة التعليم الأساسي، والعمل مع كافة المؤسسات والأفراد ذات العلاقة ووزارة التنمية الاجتماعية لتكثيف الجهود لتنمية القدرة اللغوية والثقافية والإبداعية للأطفال، وتفعيل دور الأندية الصيفية واستغلال العطل لتنمية المهارات لدى الأطفال بأنشطة لا منهجية، وتنظيم العديد من الملتقيات للأطفال من مختلف المناطق، وتنفيذ البرامج التوعوية في العديد من المجالات الخاصة بالطفل والعملية التعليمية لكل من الأهل والمعلمين والذين لهم علاقة في ثقافة الطفل.

«سحر الضّحك: دور الفكاهة في تعزيز رسائل أدب الطّفل»

أ. لُما عازر[1]

المقدّمة:

أدب الطفل عالم ساحر، للكاتب كما هو للطفل القارئ، عالم يزخر بالمفاهيم والأهداف، ويرقى بمستويات الفهم والإدراك والتعلّم والخيال والجمال.

قد يبدو للبعض أن الكتابة للطفل أمر سهل وممتع، ومع أنها ممتعة، إلا أن الكتابة للطفل مسؤولية كبيرة يحملها الكاتب، ومسؤولية يحمّلها بدوره للطفل، وتخضع لاعتبارات أدبية وفنية وتربوية وسيكولوجية، كما وتخضع لمتطلبات احتياجات الطفل من المعرفة والوعي والتطور، وضرورات الحقبة التي يكتب فيها هذا الكاتب.

كل ذلك – وأكثر- يضع الكتابة للطفل تحت بند «السّهل الممتنع»، ذلك المجال الذي عليك أن تدخله بكل الحماسة مع الكثير من الحذر، وتخوض فيه بسلطة ملؤها التواضع؛ فبين يديك قارئ تحمل على عاتقك تشكيل نسبة كبيرة من مفاهيمه وقيمه وتوجهاته، ومن حبه للتعلم والقراءة، وأنت جزء من تكوين شخصيته وممّن سيغدو عليه عندما يكبر.

نكتب للطفل لعدد من الأسباب والأهداف، من أهمها:

- تنمية حب القراءة وحب التعلم.
- الحثّ على البحث والتحليل والتفكير.

(1) كاتبة أطفال أردنية.

- تدعيم النمو الإدراكي والعاطفي والاجتماعي.
- ترسيخ القيم الأخلاقية والأسرية والمجتمعية.
- بناء المهارات الاجتماعية.
- توطيد الإيمان بالذات وبناء الطموح.
- تنمية الخيال.
- زيادة المعلومات.
- التسلية والترفيه.
- تعريف الطفل بأمور صعبة من واقع الحياة.
- تسليح الطفل بالمهارات المختلفة للتعامل والتواصل والنمو.

مهما كان هدف الكاتب من نص معين يقدمه للطفل، لا بدّ من أسس وأساليب وأدوات تخدم هذا النص وتحقق الهدف المطلوب منه. لن أتحدث هنا عن الأسس التي باتت مفروغاً منها لكتّاب أدب الطفل، مثل الكتابة للطفل من منظوره، واستخدام اللغة المناسبة للفئة العمرية المقصودة، وتصميم شخصيات تثير اهتمام الطفل، وعدم الاستخفاف بعقل الطفل واستقلاليته بالتفكير، وعدم التنظير وما إلى ذلك من «افعل وتأكد من..» أو «لا تفعل واحذر من..». ولكن، وتحت أساس مهم من تلك الأسس وهو ضرورة كونِ الأسلوبِ ذا صلة بالطفل وخصوصية عالمه، سأتطرق إلى أداة فعالة بيد الكاتب– أداة تحقق له وللطفل تلك الغايات المرجوة من ذلك النص.

تقدم ورقة العمل هذه أداة قوية ومتميزة في الكتابة للطفل ألا وهي «الضحك والفكاهة». ولكونِ الضحك والفكاهة جزءاً من عالم الطفل وشخصيته، وجزءاً مرتبطاً بنموه، تقدمها كأداة فعالة وناجعة تخدم الطرفين وتضيف عمقاً للمحتوى قد يبدو «بسيطاً» للعين غير المتمرسة. كما وتبحث الورقة في الأهداف المتعددة التي يمكن تحقيقها من خلال الفكاهة والضحكة والابتسامة، وتستعرض أيضاً بعض الطرق في استخدام هذه الأداة– لتصل الورقة – في النهاية– إلى توصية مهمة للكاتب مفادها: «**خذ الفكاهة على محمل الجد**».

الجزء الأول: الضحك والفكاهة في عالم الطفل

الضحك والابتسام غريزة ومرآة لمراحل النمو:

الابتسام والضحك من السلوكيات البشرية الفطرية، فترى أن الطفل في شهره الأول يبتسم، وهو في غالب الأحيان يبتسم كردة فعل لما يحيط به، وما أن يبلغ عمر هذا الطفل بضعة من الأشهر، يبدأ بالابتسام والضحك كسلوك تفاعلي وتعبيري على حد سواء. فعندما تلعب معه لعبة «بيكابو» أو كما نسميها «بقينو»، تراه يترقب ظهور الوجه المألوف من خلف اليدين عند فتحهما، فيضحك فرحاً وارتياحاً لعودة الوجه المألوف أمامه – ذلك لأنه في المرحلة التي أدرك فيها ديمومة الأشياء حتى في حال غيابها عن نظره. كما وقد يضحك أيضا كآلية للتعامل مع الجفلة التي تسببتها هذه اللعبة عند فتح اليدين فجأة مع كلمة «بيكابوو» أو «بقيينوو».

ينطبق هذا المفهوم نفسه المرتبط بالسلوك التفاعلي والتعبيري على العديد من مراحل التطور الإدراكي الأخرى لدى الطفل. فتجد الأطفال في حوالي العامين من العمر يجدون الرطن (الكلمات الملخبطة) مضحكة عندما تقولها أمامهم لأنهم في طور تكوين الكلمات. وفي عمر الست سنوات يضحكون للفكاهة التي تنطوي على اللعب على الكلمات والألفاظ إذ إنهم في مرحلة فهم المنطق والتجريد اللغويين.

بشكل عام، روح الدعابة لدى الطفل تشير إلى الكثير من عمليات تطور الإدراك والتفكير لديه، وإلى تطوره العاطفي والاجتماعي، ومصدر ضحكة الطفل يدل على المرحلة المرتبطة بتلك التطورات، فالضحك جزء حيوي من نمو الطفل.

كما ويعد غياب الضحك والابتسام من سلوكيات الطفل وانعدام روح الدعابة لديه علامات إنذار لعدد من جوانب تطوره. فقابلية الطفل للضحك مربوطة في تقييم كل من الاستقبال المعرفي لديه، والإدراك، ونمو اللغة وتطورها، والنمو العاطفي والاجتماعي. وغيرها.

ما وراء ضحكة الطفل:

كلنا نحب الضحك ونستمتع به، فهو يضعنا في حالة من الشعور الجيد، والطفل غير مستثنى من ذلك. يربط الطفل منذ شهوره الأولى الضحك والابتسام بما هو إيجابي ومريح؛ فقد وجد باحثون في شؤون الطفولة المبكرة ربطاً ما بين الابتسامة لدى الطفل وبين سعيه لإشراك من حوله معه، وحتى في غاياته في تلقي الرعاية. ثم ينتقل الطفل لاستخدام هذه الوسائل وحس الفكاهة لديه للترابط والتواصل وتكوين الصداقات والعلاقات الإيجابية. ومن عمق آخر، قد يستخدم الطفل الفكاهة كآلية للبقاء والدفاع عن النفس.

ولا ننسى الانتباه إلى أين ومتى يضحك الطفل، لنجد أن معظم تلك الحالات تكون حول مقربين منه: كأمه وأبيه وإخوته، وأناس يشعر معهم بالتواصل والطمأنينة، وفي ظروف غالباً ما تكون إيجابية في طبيعتها.

للأسف، فإن الدراسات التي توجهت وتتوجه للتعامل مع تحليل المشاعر والسلوكيات السلبية لدى الطفل قد فاقت بكثير مثيلاتها حول المشاعر والسلوكيات الإيجابية لديه، فبات التركيز في التواصل مع الطفل على الأولى أكثر منه على الثانية، مما ساهم – بشكل متدرّج وإلى حد ما– في الاستخفاف بقوة روح الدعابة عند التواصل مع الطفل، شاملاً ذلك التواصل معه من خلال القراءة والقصص. فجاءت غالبية الكتب جدية، غير موظفة لهذا الجانب بالقدر الذي يوازي قيمته. وارتبطت «هيبة» الكتاب ورسائله بمدى جديّة ومثاليّة طرحها، وحتى بجدية وجمود ومثالية كاتب أدب الطفل نفسه–خاصة في أدب الطفل العربي – متناسية أن لا أحد مثالي، لا الطفل ولا البالغ ولا الكاتب، وأن الضحك والهفوات جانب صحي من جوانب شخصية الطفل والبالغ على حد سواء.

في ضوء ما سبق، فإن الفكاهة ليست بدخيلة على عالم الطفل، ولا هي بمتطفلة عليه، بل هي من صلب هذا العالم، وجزء لا يتجزأ منه، وبالتالي فإن استخدامها في أدب الطفل يعد تواصلاً صحيحاً وصحياً مع الطفل. إن إيحاءاتها إيجابية وقريبة منه ومحببة لديه. وفي علم نفس الطفل، فإن ضحك الطفل مع شخص بالغ يعتبره الطفل إقراراً بوجوده وبأهميته، (والطفل يعلم أن من قام بتأليف الكتاب الذي يقرأه هو

شخص بالغ).

إن خيار استخدام الفكاهة والدعابة في الكتابة للطفل لهو خيار ذكي حين يسمح الكاتب لنفسه به وحينما يوظفه بالشكل الصحيح. هذا التوظيف لا يقلل من شأن عالم الطفل ولا من شأن الطفل نفسه، وبالتأكيد لا يقلل من شأن كتاب الطفل. على العكس، فهو يحتضن عالم الطفل ويحتوي الطفل احتواء مطمئناً إيجابياً. ناهيك عن الأهداف المهمة والمتعددة التي يحققها هذا التوظيف لروح الدعابة في أدب الطفل، وهو ما سنتطرق له في الجزء الثاني في ورقة العمل هذه.

الجزء الثاني: الأهداف التي تتحقق بتوظيف الفكاهة في أدب الطفل

كما استعرضنا سابقاً، إن الضحك من السلوكيات البشرية الفطرية، وهو جزء حيوي من نمو الطفل ومن صلب عالمه، وهو دلالة على صحة نموه الإدراكي والمعرفي والاجتماعي والعاطفي وعلى صحة قدرات التواصل لديه. فيما يلي، سنستعرض فوائد استخدام الفكاهة والدعابة في أدب الطفل والأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال هذا التوظيف.

أولاً: جذب الطفل للكتاب وتعزيز حب القراءة لديه، من خلال:

ا. **المشاركة والاستمتاع**: ينجذب الأطفال بشكل طبيعي إلى الفكاهة كونها جزءاً من عالمهم، وبطبيعتهم ينجذبون إلى القصص والأحداث المضحكة. إن دمج عناصر مضحكة في أدب الطفل يحوز على اهتمام الطفل وانتباهه، ويجعله منخرطاً ومتفاعلاً مع ما يقرأ، ويجعله ميالاً أكثر لقراءة الكتاب أو الاستماع له. وحين تصبح تجربة القراءة أكثر تفاعلاً وأكثر متعة بالنسبة له، فإنه يربطها – بمفهومها – مع الوقت الجميل والمسلي، فيتطلع إلى القراءة مرة تلو الأخرى فتصبح القراءة عادة لديه، وعلى الأغلب، ستبقى معه.

ب. **التواصل والارتباط العاطفي مع الكتاب**: يمكن للفكاهة في كتاب الطفل أن تساعد الطفل على تكوين تواصل عاطفي مع شخصيات الكتاب ومع القصة- فالأحداث المضحكة أحداث مألوفة له، تحدث معه ومع من حوله في حياته اليومية.

عندما يضحك الطفل أو يبتسم فهو يصبح أكثر ارتباطاً عاطفياً بأحداث القصة وشخوصها.

ج. تعزيز الترابط بين الأهل والطفل: يمكن أن تكون الكتب الفكاهية ممتعة لكل من الأطفال والأهل. قراءة القصص المضحكة معًا تقوي الرابط بين الوالدين والطفل، وتخلق لحظات مشتركة من الضحك والتقارب والتشارك. ويشعر الطفل أنهم متشابهون يتشاركون اهتماماً واحداً وعلى مستوى واحد حيث لا يكون الأهل خلال هذا الوقت مصدراً للتنظير والإرشاد. وبالتالي تعزز أيضاً ربط الطفل لوقت القراءة بالوقت الممتع والمريح.

ثانياً: التعلّم

أثبت الباحثون أن الفكاهة وسيلة فعالة لتعليم العبر والقيم والأكاديميات، وقد تحققوا من ذلك على مستوى القراءة الفردية أو مع الأهل في البيت، وعلى مستوى التعليم داخل الصفوف؛ فانجذاب الطفل إلى الفكاهة يجذبه إلى الموضوع المطروح، وتواصله مع الكتاب ومن يقرأ له يجعله أكثر ارتباطاً بما يتعلم، كما وللفكاهة دور فعال في التعلم بالشكل التالي:

أ. قابلية أخذ المعلومة لدى الطفل ترتفع عندما تقدم له من شخص يشبهه: بالنسبة إلى الطفل، فإنه حين يتشارك الضحك مع الشخص البالغ، سواء الأهل أو المعلم (وضمنياً، الكتاب وكاتبه)، يشعر الطفل بأن هذا البالغ قريب منه ويشبهه، وتنخفض لديه هيئة «سلطة» البالغ عليه، فيصبح تلقي المعلومة من ذلك البالغ أكثر قبولاً لدى الطفل. كما وأن ضحك الطفل مع البالغ يشعره بأن هذا التشارك هو إقرار من البالغ به وبوجوده.

ب. عملية التعلّم والاحتفاظ بالمعلومة تتم بشكل أفضل عندما يشعر الشخص بمشاعر إيجابية: لقد وجد العديد من الباحثين دلائل مختلفة على أن الناس يتعلمون بشكل أفضل عندما يشعرون بمشاعر إيجابية. وقد أثبت العلم أن للضحك تأثيراً قوياً في خفض مستويات التوتر والضغط النفسي، وأن له دوراً إيجابياً كبيراً في دعم الحالة النفسية عامة وفي إثارة المشاعر الإيجابية. كما وأثبت أن التجارب الممتعة،

ومن ضمنها الضحك، ترفع مستويات الأكسجين في الدم ومستويات الدوبامين والإندورفينات (هرمونات السعادة)، وهذه كلها مهمة لنجاح عملية التعلّم – بحسب أطباء الأعصاب– فإن تنشيط الدوبامين والإندورفينات في الدماغ، يزيد التحفيز الموجّه نحو الهدف والذاكرة طويلة المدى على حد سواء، مما يعني أن الفكاهة تحسن قدرة الطلاب من جميع الأعمار على التعلم والاحتفاظ بالمعلومات.

وتشير الأبحاث التعليمية إلى أن الفكاهة المستخدمة بشكل صحيح قد تكون تدخلاً فعالاً لرفع نسب استبقاء الطلاب في المدارس من مرحلة رياض الأطفال حتى المرحلة الجامعية. وتضيف جمعية علم النفس الأمريكية على ذلك قولها: «عند استخدامها بشكل فعال، يمكن للفكاهة في الفصل الدراسي تحسين أداء الطلاب عن طريق تقليل القلق، وتعزيز المشاركة، وزيادة دافعية الطلاب للتركيز على المادة». بشكل أساسي، تعمل الفكاهة على تنشيط الإحساس بالدهشة، وهي النقطة التي يبدأ فيها التعلم.

وعندما نعكس هذه المفاهيم جميعها على كتاب الطفل، نستنتج أن العبرة والمعلومة التي يتلقاها الطفل من خلال موقف فكاهي أو شخصية فكاهية أو كلام يضحكه، هي –على الأرجح– عبرة أو معلومة سيستوعبها ويتذكرها، ناهيك عن أن استعمال الفكاهة أثناء طرح بعض الأمور الصعبة يخفف جداً من ثقلها ويسهل طرحها واستقبالها.

ومن أكبر البراهين على الدور الإيجابي للفكاهة في تعلم الطفل برنامج «شارع سمسم»، البرنامج التلفزيوني التعليمي الأمريكي الأصل الذي بدأ مشواره عام 1969. فقد نجح هذا البرنامج في تعليم الأطفال اللغة والرياضيات والعلوم المختلفة، عدا عن العبر والرسائل الاجتماعية والتربوية وغيرها على مدار عقود. ويعزى هذا النجاح ليس فقط إلى استخدام الدمى التي يشعر الطفل بالقرب منها وبتشابهها معه، بل أيضاً إلى الفكاهة في الشخصيات والنص وروح الدعابة المستخدمة فيه.

ثالثاً: الفكاهة تساهم في تطوير اللغة والخيال والإبداع والتفكير الناقد

التعرض للفكاهة في كتب الأطفال يساهم في تطوير اللغة. يمكن للتلاعب

بالألفاظ والتورية واشتقاق الكلمات المضحكة والاستخدام الذكي للغة في سياقات فكاهية أن يؤدي إلى إثراء مفردات الطفل وإلى زيادة فهمه لديناميكيات اللغة.

أما بالنسبة للخيال والإبداع والتفكير الناقد، فتلك تتبع بعضها البعض: فالمواقف المضحكة والفكاهية في كتب الأطفال لها القدرة على إثارة خيال الطفل وإبداعه. عدا عن أن الفكاهة غالباً ما تنطوي على ضرورة التفكير خارج المعهود ورؤية الأشياء من منظور مختلف مما يشجع على استخدام الخيال. كما وتتطلب الفكاهة بعضاً من التحليل وإقامة الروابط ما بين الأشياء مما يحفز التطور المعرفي والتفكير الناقد، وتلك كلها مهارات أساسية في حل المشكلات والنمو الشخصي.

رابعاً: الفكاهة تساعد في بناء المهارات الاجتماعية

الفكاهة أداة اجتماعية ممكن استخدامها في أدب الطفل لتعليم الطفل مفاهيم وسلوكيات اجتماعية مهمة. فالطفل قد يتعلم تصرفات اجتماعية مختلفة، وأعراف اجتماعية، وأشكال من التفاعل الاجتماعي، ويتعرف على المقبول منها وغير المقبول من خلال فهمه لما يصنف مضحكاً –على سبيل المثال. كما أنه يمكن توظيف الفكاهة في تعريف الطفل على مفهوم «عواقب الأفعال» من خلال حبكات مضحكة مثلاً.

استيعاب الطفل للفكاهة واستخدامها وتطويرها يعتبر أداة اجتماعية تساعده على تطوير المهارات الاجتماعية المختلفة وعلى تسهيل التفاعل الاجتماعي لديه، بما في ذلك تكوين الصداقات وكيفية التواجد في مجموعات وقدرته على حل المشاكل. ويشار إلى الفكاهة على أنها عنصر من عناصر الكفاءة الاجتماعية.

خامساً: الفكاهة تساعد في تخفيف التوتر لدى الطفل

تمامًا مثل البالغين، يمكن للأطفال أن يمروا بمشاعر التوتر والقلق، وتماما مثل البالغين، يمكن للطفل أن يمر بيوم صعب يثقل كاهله، الفكاهة في أدب الطفل توفر للطفل ملاذًا صحيًا وآمنًا، كوسيلة للتخلص من التوتر لها القدرة على أن تزوده ببعض الراحة. وكما تم الشرح سابقاً في «ثانياً/ ب»، فللضحك تأثير كبير في تخفيف

التوتر ورفع هرمونات السعادة وزيادة نسبة الأكسجين في الدم، مما يمثل نقلة نوعية في الحالة النفسية للطفل.

سادساً: الفكاهة في أدب الطفل تطور حسّ الدعابة لدى الطفل وتغرس فيه المرونة

هنالك علاقة وطيدة بين حس الدعابة والذكاء العاطفي والاجتماعي، تنمية هذا الحس لدى الطفل تبشر بصحة نفسية جيدة وكفاءات اجتماعية وعاطفية صحية، ذلك لأن أصحاب حس الدعابة المتطور، لديهم القدرة على رؤية الأمور من منظور مختلف، وعلى التفكير خارج الصندوق، كما ويتمتعون بالقدرة الإبداعية على إيجاد الحلول. أيضاً يميل أصحاب حس الدعابة إلى عدم أخذ أنفسهم والحياة على محمل الجد الـ «كئيب»، حتى في المواقف الصعبة، تجد أنهم ينجحون في إيجاد لحظات من الخفة والضحك. وتلك كلها مجموعة تشكل أساساً مهماً في المرونة والقدرة على التأقلم.

وأشارت توصيات ناتجة عن أبحاث في هذا المجال على أن الآباء والمعلمين ومقدمي الرعاية للأطفال والذين يعملون على تغذية روح الدعابة لدى الطفل إنما يقومون بتسليحه بمهارة تأقلم مهمة.

كما وأوضحت التجارب أن أصحاب حس الدعابة يظهرون ارتفاعاً في الكفاءة الذاتية والإيمان بالذات والمشاعر الإيجابية والتفاؤل.

الأمر المؤسف هو أنه على الرغم من أننا نعلم أن الفكاهة مفيدة لنا وأنها سمة نبحث عنها في الآخرين، إلا أنها ليست غالبًا أول ما يتبادر إلى ذهننا عندما نفكر فيما نريده لأطفالنا. نريدهم أن يكونوا سعداء، وناجحين، ولطيفين، وما إلى ذلك. ولكن كم مرة نفكر «أريد أن يتمتع طفلي بروح الدعابة»؟

الجزء الثالث: بعض التقنيات لإدخال الفكاهة في كتاب الطفل

الفكاهة في كتب الأطفال طريقة رائعة لجذب القراء الصغار وإبقائهم مستمتعين، وفي نفس الوقت، تلعب هذه الفكاهة دور الناقل لدروس وعبر مهمة. فيما يلي بعض التقنيات والعناصر التي يمكن استخدامها لدمج الفكاهة في كتاب الطفل:

أولاً: التلاعب بالألفاظ واللغة وتوظيفها لجذب الطفل وإضحاكه:

أ. التورية والجناس والطباق: يمكن للكاتب باللغة العربية توظيف المحسنات البديعية التي تزخر بها اللغة مثل التورية والجناس والطباق. حيث يوظف الكاتب كلمات وجملاً متشابهة في اللفظ ولكن مختلفة في المعنى والقصد أو يوظف كلمات وألفاظاً متضادة، طبعاً مع الحفاظ على البساطة الملائمة للفئة العمرية المقصودة.

كما يستطيع الكاتب اللعب بالكلمات خارج تلك المحسنات، فيشتق كلمة غير موجودة في اللغة ويوظفها للفكاهة. أو يقلب ويغير بعض الحروف من أمكنتها في كلمات منتقاة، ويمكنه أيضاً اختراع أسماء مضحكة وغريبة لشخصيات الكتاب، أو استخدام أسماء أشياء للشخوص ومن ثم يستخدمها لخلق الضحك عندما تخلط الأمور ببعضها.

ب. اللعب بالقوافي والإيقاعات في طريقة السرد: غالباً ما يكون لكتب القافية والإيقاع تأثير كبير من المرح، مثل أن تأتي القصة نثرية مقفاة، كلها أو بعض منها، وأن يأتي سردها مبنياً على إيقاع معين أو إيقاعين أو أكثر حيث يتلاءم مع المحتوى، وكتب دكتور سوس أكبر مثال على هذه التقنيات ونجاحها.

ج. التكرار في بعض المقاطع: تكرار عبارة مثلاً أو تكرار سؤال وردّه في سياق القصة، وخاصة إذا كان هذا التكرار أو السؤال والرد فكاهياً إما في المعنى أو في اللفظ، فذلك يمتع الطفل كثيراً ويجعله في حالة ترقب ليضحك مرة ثانية عند عودة النكتة، ويتفاعل ويكرر معها.

ثانياً: المبالغة: للمبالغة قدرة هائلة على إضحاك الطفل، فليسمح كاتب الطفل لنفسه بالمبالغة، وبالمبالغة الشديدة بالذات، فيبالغ في الشخصيات؛ يخلق شخصيات مغالية في صفات معينة شكلاً ومضموناً، ويبالغ في المواقف فيضخمها، ويبالغ في أشياء سخيفة ولكنها مضحكة فيبرزها.

ثالثاً: استخدام شخصيات حيوانية أو فضائية أو اختراع مخلوقات غريبة كشخصيات في الكتاب: تعتبر تلك من المصادر الكلاسيكية للفكاهة في كتب الأطفال. ويمكن للكاتب تقوية دور الحيوانات في جعلها تتصرف بما هو خارج

عن طبيعتها المعروفة، والشخصيات والمخلوقات الغريبة أن تأتي بتصرفات غريبة مضحكة وأن تكون في تكوينها مضحكة أصلاً.

رابعاً: الكوميديا الجسدية: الفكاهة التهريجية مضحكة جداً للأطفال في أعمار معينة. فمثلاً انزلاق إحدى الشخصيات أو تعثرها أو جلوسها على كعكة أو على شخصية أخرى بالخطأ قد يحرك الكثير من الضحك لدى الطفل مثلاً (على سبيل المثال وليس الحصر).

خامساً: التقلبات المفاجئة: سواء في الأحداث والحبكة أو في الشخصيات، فالطفل يستمتع جداً بالمفاجأة وانعكاس التوقعات كما وأنها تثير الضحك لديه. فمثلاً أن تكون إحدى الشخصيات في حالة خوف من وحش لينقلب الحال فجأة فيصبح الوحش خائفاً من الشخصية ويهرب منها. أو مثلاً أن تكون إحدى الشخصيات خجولة هادئة، وفجأة تنقلب لتصبح مزعجة ومشاكسة وهكذا.

سادساً: الحوار المضحك: ممكن استخدام هذه الطريقة في بعض الأماكن في القصة، حيث يأتي حوار بين الشخصيات يحتوي على عدم فهم الشخصيات لبعضها البعض، أو تتناول فيه نكاتاً مضحكة ذكية، أو كلاماً ملخبطاً ليس له معنى وما إلى ذلك مما يصنع حواراً مضحكاً.

سابعاً: السخرية والتهكم «اللطيف»: بعض من التعابير الساخرة وقليل من التهكم الخفي يخلق الفكاهة- بجرعات قليلة وبحدود الأدب طبعاً بحيث تكون مناسبة لعمر القارئ على ألا تسيء له، مثل هذه تضحك الطفل وتثير اهتمامه.

ثامناً: سوء الفهم: سوء الفهم بين الشخصيات يخلق توتراً كوميديّاً يضحك الطفل. فقد يأتي سوء الفهم هذا بين الشخصيات حيث نرى شخصية ما لا تفهم بالضبط ما الذي يحدث في القصة، أو مثلاً سوء فهم لما قيل لشخصية أن تفعل فتقوم وتفعل شيئاً مغايراً ليس له علاقة بالمطلوب، وهكذا.

تاسعاً: البصريات المضحكة: للرسوم في كتاب الطفل دور أساسي ومهم. عدا عن جذب الطفل للكتاب -وفي سياق موضوعنا- فأن تأتي الرسوم وأشكال الشخصيات و»تمثيل» الأحداث بشكل مثير للضحك يحقق الكثير من الفكاهة

المطلوبة، كأن تأتي هذه الرسوم بشكل خارج عن المألوف، فيه بعض الفوضى، فيه مبالغة.. الخ. على الكاتب أن يضع دور الرسوم وما تحكيه بعين الاعتبار حين يكتب، وأن ينسق مع الرسام كيف تخدم الرسوم قصته مثل أين يريد أن يُظْهِر شيئاً مضحكاً معيناً وما إلى ذلك. كما ويستطيع الكاتب استبدال الكلمات لوصف أي موقف مضحك بالرسومات؛ حيث تروي الرسوم جزءاً من القصة.

أخيراً وليس آخراً، وأيّما اختار الكاتب من التقنيات والأساليب والمحتوى لإدخال الفكاهة والضحك إلى كتابه، عليه ألا ينسى:

أولاً: أن نوع الفكاهة المستخدم يجب أن يكون مناسباً لعمر الطفل القارئ. فما يضحك الطفل ذا الخمس سنوات قد لا يكون نفسه الذي يضحك الطفل ذا التسع سنوات. ولانتقاء الفكاهة المناسبة، يفضل البحث في الإدراك الفكاهي للفئة المقصودة، وأيضاً يمكن تجربة هذه الفكاهة مع بعض الأطفال من تلك الفئة قبل اعتمادها.

ثانياً: أن تأتي الفكاهة بشكل «محترم» غير مسيء للقارئ وحساس لثقافة المجتمع الذي يكتب له، فلا تسخّف هذه الفكاهة القيم المعتمدة في ذلك المجتمع ولا تفرق بين مكوناته فلا تستعلي على أحد ولا تقلل من شأن أحد. وأيضاً أن تأتي ضمن المفاهيم الإنسانية بشكل عام.

تذكر عزيزي الكاتب؛ أنت لا تلتزم بذلك من أجل الحصول على النشر والقبول والبيع والنجاح، بل لأنك تزرع بالقارئ قيماً ومبادئ يحملها معه حين يكبر ويصبح فرداً فعالاً في مجتمعه.

الخاتمة:

نكتب للطفل لعدة أسباب ومن أجل تحقيق أهداف متنوعة. ندخل عالم هذا الأدب السهل الممتنع ونحن نأمل بالوصول إلى عقل الطفل وقلبه وإلى التأثير فيه وإلى خدمته. نسعى بأساليب وطرق مختلفة ونوظف قدرات وأدوات متعددة من أجل تحقيق تلك الأهداف.

إن توظيف **الضحك والفكاهة** في أدب الطفل أداة فعالة قوية وناجحة. فالضحك من صلب عالم الطفل، ومرتبط به منذ ولادته ومرتبط بجوانب تطوره المختلفة. كما ويمنح الطفل شعوراً إيجابياً قوياً، ويؤثر إيجابياً على عقله وإدراكه واستقباله للأمور.

إن هذه العوامل وغيرها تمكن الكاتب من تحقيق الأهداف الرئيسية التالية عن طريق الفكاهة وحس الدعابة: (وقد مرت عليها هذه الورقة بالشرح والتفصيل):

- جذب الطفل للقراءة.
- تعليم الطفل.
- إيصال العبر والرسائل المختلفة للطفل بيسر.
- تطوير اللغة والإبداع والخيال والتفكير الناقد لدى الطفل.
- تعزيز الذكاء العاطفي والاجتماعي وبناء المهارات الاجتماعية لدى الطفل.
- تعزيز قدرة الطفل على التأقلم وتدعيم المرونة لديه.

وهنالك عدة تقنيات يمكن استخدامها لإدخال الفكاهة إلى كتاب الطفل مثل التلاعب بالألفاظ واللغة والقوافي والإيقاع السردي، والمبالغة، والحوار المضحك، والكوميديا الجسدية وغيرها مما اقترحته واستعرضته هذه الورقة في جزئها الثالث.

كلمة أخيرة:

لا يكتب للطّفل إلا من يهمّه الطفل، ولا يكتب إلا لأن في باله هدفاً يودّ تحقيقه من أجل الطفل.

إذا كنت من هؤلاء، من فضلك، **خذ الفكاهة على محمل الجد.**

المراجع

1. Book: Adele M. Brodkin*, "Raising Happy and Successful Kids: A guide for Pare*nts", 2001
2. Book: Amelia Klein, *" Humor in Children's Lives: A Guidebook for Practitioners"*, 2003
3. Book: Maria Nikolajeva, *"Reading for Learning",* 2014
4. Research: Dinna Prastica, "*Humor in the Classroom*", Academia.edu
5. https://www.theschoolrun.com/how-humour-helps-children-learn
6. Research: Melissa Kearney and Philip Levine*," Early Childhood Education by Television: Lessons from Sesame Street.".*
7. https://www.theschoolrun.com/how-humour-helps-children-learn
8. www.psychcentral.com/lib/humor-as-a-key-to-child-development.

الكتابة باللغات التي يتقنها الأطفال

أ. هديل مقدادي[1]

يعتبر التواصل مع الطفل أمرًا حيوياً ومهماً لبناء علاقة قوية معه، ومدّ جسور الثقة بينه وبين الآخرين. وتعتبر كتابة القصص واحدة من أهم طرق التواصل مع الطفل، فهي تصل إليه عبر صفحات كتب نابضة بالحياة تحكي بلسان مشاعره وتدفعه للتعبير عن نفسه بكل وضوح واقتدار. وإذا سألنا أنفسنا عن اللغة التي سنكتب بها للطفل، وجدنا أن الكتابة بلغة الحب هي الأساس.

على الكاتب أن يُشعر الطفل بأنه محبوب عندما يختار جُمله وأفكاره كي يُنشئ رابطًا عاطفياً بين الطفل والقصة، وقبل ذلك عليه أن يفهم سيكولوجيته كي يستطيع التواصل معه. فنحن لا نكتب من أجل الكتابة فقط، بل نكتب لتحفيز التواصل والتعبير عن المشاعر. يشعر الأطفال بالحب ويعبّرون عنه بطرق مختلفة. **فهل سألنا أنفسنا عن لغة التواصل التي يفضلها الطفل؟**

يضيء الكتاب الشهير «لغات الحب الخمس عند الأطفال» لغاري تشابمان وروس كامبل على الطرق الأهم في التواصل مع الطفل وذلك بالتحدث معه باللغة التي يفهمها، وهذه اللغة قد تكون لغة مشاعر أو لغة سلوك نمارسها مع أطفالنا، وقد تختلف الاستجابة لها من طفل إلى آخر، وقد أجمل الكتاب هذه اللغات في خمس نقاط:

كلمات التأكيد: نقولها لتأكيد تشجيعنا وتقديرنا للطفل، وفيها نستخدم التعبير الشفوي عن محبتنا له؛ مثل «أنا فخور بك»، «لقد قمت بعمل رائع» أو ببساطة «أنا أحبك».

---

(1) كاتبة ومترجمة ومنتجة لقصص الأطفال.

لغة الأعمال الخدمية: نحن نقدم الخدمات للطفل عبر تأمين احتياجاته وعبر رعايته، كتحضير وجبته المفضلة أو مساعدته في الدراسة أو إصلاح لعبة مكسورة، أو مساعدته في تسريح شعره، وغير ذلك.

لغة الهدايا: يتعاطف الطفل مع هذه اللغة لأنه يعتبرها تعبيراً واضحاً عن المحبة والاهتمام.

لغة الوقت النوعي: قضاء الوقت مع الطفل في القراءة أو اللعب دون تشتت. هي لغة الوقت الخاص التي يقدرها الطفل ويعتبرها اللغة المباشرة للاهتمام.

لغة اللمس: يشعر الكثير من الأطفال بالحب عندما نحضنهم ونقبلهم، إنها طريقة مباشرة لإظهار الدفء، والأمان، والحب.

غالبًا ما يتواصل الأطفال بالطريقة التي يرغبون في تلقيها منا. على سبيل المثال، قد يقدر الطفل الذي يقدم الهدايا باستمرار (بعض الأطفال يحبون إهداء رسوماتهم أو كتابة رسائل صغيرة) استقبال الهدايا كدليل على الحب.

ومع ذلك، فإن جميع الأطفال، بغض النظر عن لغة الحب الرئيسة لديهم، يحتاجون إلى مزيج من جميع هذه اللغات، وكلّما فكرنا أكثر في الأمر وجدنا أن كتاب الطفل يجمع هذه اللغات الخمس ويقدمها للطفل في أهم محاولة للتواصل.

فلا يخلو كتاب للأطفال من كلمات التأكيد التي تعزز ثقة الطفل بنفسه وتدفعه إلى الأمام، أو من الأعمال الخدمية التي يرى فيها شخصيات من المجتمع تسعى لخدمة الآخرين وتساعدهم على تحقيق أهدافهم.

وإذا توقفنا عند لغة الهدايا، فالكتاب بحد ذاته هو أجمل هدية نمنحها لطفل يستقبلها بالسعادة والترحاب، أما لغة الوقت فيتحدثها الطفل لأنه يعرف أن هذا الوقت المستقطع برفقة والديه هو لقراءة كتابه المفضل فقط، أما لغة اللمس فنحن نقرأ لأطفالنا ونحن نحضنهم وهم يجلسون بقربنا، أو نقرأ لهم ومعهم قبل نومهم مع قبلة نطبعها بدفء على الجبين.

هذا هو الكتاب يتحدث لغات الحب الخمس ويغدق على الطفل المشاعر فيجعله أكثر رغبة في التواصل والقراءة والاستكشاف.

تساهم قراءة القصص أيضًا في تحسين المهارات الاجتماعية عند الطفل مما يجعله أكثر تواصلاً مع محيطه وذلك بطرق متعددة:

تعزيز التعبير: عند قراءة القصص، يتعلم الطفل كيف يعبر عن مشاعر الشخصيات، مما يساعده في فهم مشاعره الخاصة والتعبير عنها في الواقع.

تطوير التعاطف: من خلال التعرف على مشاعر وتجارب الشخصيات، يتعلم الطفل كيف يتعاطى مع مشاعر الآخرين ويتعلم الرحمة والتعاطف.

فهم المواقف الاجتماعية: القصص غالبًا ما تقدم مواقف اجتماعية تساعد الطفل على فهم كيفية التعامل مع مواقف مشابهة في حياته.

تعزيز المفردات: كلما قرأ الطفل أكثر، زادت مفرداته. هذا يساعده على التعبير بشكل أفضل عن أفكاره ومشاعره.

تحسين مهارات الاستماع: عند القراءة المشتركة مع الآخرين، يتعلم الطفل كيفية الاستماع والانتظار حتى يأتي دوره للتحدث.

تعلم التعامل مع المشكلات: العديد من القصص تحتوي على مشكلات يجب حلها، يتعلم الطفل من خلال هذه القصص كيفية التفكير بشكل نقدي والبحث عن حلول للمشكلات.

تشجيع التفكير النقدي: الطرح والاستجابة للأسئلة حول القصة يمكن أن يحفز التفكير النقدي والقدرة على التحليل والتفسير.

تعزيز التواصل البصري: عند قراءة القصص ومشاهدة الصور، يمكن للطفل والقارئ المشترك التواصل من خلال التعابير الوجهية ولغة الجسد.

تعلم المفاهيم الاجتماعية: من خلال قراءة القصص التي تعرض مفاهيم مثل الصداقة، التعاون، الصراحة، وغيرها، يتعلم الطفل معايير السلوك الاجتماعي الجيد.

تشجيع المشاركة الاجتماعية: عندما يتحدث الأطفال عن القصص التي قرأوها مع أقرانهم أو أفراد العائلة، يتعزز لديهم الشعور بالانتماء والمشاركة. لذا، يعد تشجيع الطفل على القراءة وسيلة فعالة لتعزيز مهاراته الاجتماعية والتواصلية.

التواصل من خلال القصص المصوّرة:

يعتبر التواصل مع الأطفال من خلال القصص المصورة بالذات طريقة مميزة وناجعة، لأن الجمع بين العناصر المرئية والنص قد يخلق انطباعًا فريدًا ومدهشًا عند الطفل، كما يمكن أن تقدم هذه القصص موضوعات معقدة بطرق بسيطة، وتعزز حب القراءة والتعلم.

وفيما يلي بعض الطرق للتواصل الفعال مع الأطفال من خلال الكتب والقصص المصورة بناء على المراحل القرائية:

أ. مرحلة ما قبل القراءة:

إذا كان الكتاب يهدف إلى التواصل مع الطفل في مرحلة ما قبل القراءة، فيجب أن يكون تركيزه الأساسي على التفاعل البصري والحسي والتكرار والعناصر التفاعلية. يجب أن يكون المحتوى مصممًا بحيث يجذب انتباه الطفل ويثير فضوله وهذه بعض التقنيات المستخدمة في إنتاج الكتب التي قد تساعد في التواصل مع الطفل في هذه المرحلة العمرية:

الرسومات: يعتمد الأطفال، وخاصة في مرحلة ما قبل القراءة، على الصور لفهم القصة. يجب أن تكون الرسوم واضحة وجذابة تهيمن على الكتاب، وذات ألوان مشرقة، وذات صلة بالنص؛ فهي تساعد في نقل المشاعر والأفعال والمواقف التي قد يكون من الصعب وصفها بالكلمات بالنسبة للأطفال الصغار.

العناصر التفاعلية: يمكن للكتب التي تحتوي على مكونات تفاعلية مثل الطيات وعلامات السحب أن تشغل حاسة اللمس وتثير الفضول لدى الطفل، مما يجعل تجربة القراءة أكثر متعة.

قصص بسيطة: نص بسيط وواضح، وتجنُّب استخدام لغة معقدة للغاية. يجب أن يكون النص سهل الفهم ويفضل أن يكون إيقاعيًا أو مقفىً لإبقاء الطفل منجذباً.

تخصيص الكتاب: نستخدم طرقاً لتخصيص الكتاب، مثل مساحة حيث

يمكن للوالدين كتابة اسم الطفل، مما يشعر الطفل بامتلاكه للكتاب ولربما يصبح في المستقبل كتابه المفضل.

الأنماط المتوقعة: التكرار في النص والصور يمكن أن يعزز المفهوم، كما أنه يجعل القصة قابلة للتنبؤ بها، مما يمكن أن يعزز ثقة الطفل عندما «يتنبأ» بما سيحدث بعد ذلك ويشعره بالإنجاز.

موضوعات من الحياة اليومية: يرتبط الأطفال بالواقع وبمشاهداتهم من الحياة اليومية.

من الممكن إنهاء الكتاب بإيماءة بسيطة وحنونة مثل العناق أو التلويح أو أمنية ليلة سعيدة. وهذا يمنح الطفل شعوراً مريحًا في نهاية تجربة القراءة، (فيما يمكن وصفه بلغة الحب).

في جوهر الأمر، يجب على الكتاب وصانعه التركيز على تعزيز تجربة إيجابية وجذابة وتفاعلية بين الطفل والكتاب؛ إذ إن هذه المقدمة المبكرة يمكنها أن تمهد الطريق لحب القراءة مدى الحياة.

كيف نعزز التواصل بين الطفل والكتاب في مرحلة ما قبل القراءة؟

ليس بالضرورة أن يكون تعليم الطفل القراءة في هذه المرحلة هو الهدف الذي نصبو إليه، ولكن بدلاً من ذلك يكون الهدف الأسمى غرس حب الكتب والقراءة. أما المهارات فستأتي مع مرور الوقت والممارسة والتعرض لبيئات غنية بالأدب، وهذه بعض الطرق لتعزيز التواصل مع الكتاب:

ترك الطفل ليتعامل مع الكتاب: يمسك الطفل الكتاب ويقلب صفحاته ويستكشفه، هذا يساعده على التعرف على كيفية استخدام الكتاب.

إعطاء الطفل الفرصة ليتعامل مع الكتب المصورة عن طريق الإشارة إلى الرسومات ومناقشتها، وطرح الأسئلة حولها مما يتيح للطفل أن يصف ما يراه.

سرد القصص: من الممكن أن نروي القصة بكلماتنا الخاصة؛ لتبسيط الأحداث المعقدة أو إضفاء اللمسات الشخصية التي يميزها الطفل في والديه.

تعديل الصوت: استخدام أصوات مختلفة لشخصيات مختلفة أثناء القراءة يجعل تجربة الاستماع حية وجذابة للطفل.

القراءة التفاعلية: تشجيع الطفل على المشاركة. على سبيل المثال، إذا كانت هناك عبارة أو صوت متكرر في الكتاب، من الجيد أن نحثّ الطفل على تكراره معنا.

الربط بالحياة الواقعية: ربط عناصر القصة بتجارب الطفل الخاصة. مثلًا: إذا كانت الشخصية في الكتاب لديها لعبة مفضلة، يمكننا أن نسأل الطفل عن لعبته المفضلة.

الإشارة والقراءة: أثناء القراءة، نستخدم إصبعنا لمتابعة الكلمات والإشارة إليها. هذا يعطي الطفل فهمًا أن النص له معنى، حتى لو لم يعرف قراءة الكلمات بعد.

الأسئلة المفتوحة: طرح الأسئلة مثل «كيف تعتقد أن الشخصية تشعر؟» يمكن أن تحفز الخيال والتفكير النقدي.

جعل الكتب جزءاً من الروتين اليومي: إقامة روتين قراءة، مثل قصص قبل النوم، يمكن أن يجعل القراءة عادة وشيئاً يتطلع إليه الطفل.

تعابير الوجه: ردود فعل الوالدين أثناء القراءة ستجعل القصة تنبض بالحياة في عيون الطفل. من المفيد أن نظهر تعبيرات مختلفة أثناء القراءة مثل المفاجأة، أو السعادة، أو الحزن، أو الفرح، وغيرها.

تشجيع التوقعات: قبل قلب الصفحة، يمكن طرح السؤال: «ماذا تعتقد سيحدث بعد ذلك؟» هذا يحافظ على انخراط الطفل ويجعل تدفق القصة أقوى.

إظهار الحماس: الحماس معدٍ. إذا شعر الطفل بأننا متحمسون لكتاب أو قصة، فمن المرجح أن يكون هو كذلك.

التعلم السياقي: نربط المحتوى بالعالم الحقيقي. مثل استخدام البيئة من حولنا. مثلاً: إذا كانت القصة عن حيوان أليف كالقطة ولدينا قطة في المنزل، فيمكننا ربط القصة بحيواننا الأليف.

إعادة قراءة الكتب المفضلة: غالبًا ما يرغب الأطفال في قراءة نفس القصة مرات عديدة. التكرار يساعد في الفهم ويقوي الذاكرة.

ب. مرحلة ما بعد القراءة:

عندما يبدأ الأطفال في القراءة بمفردهم، فإنهم ينتقلون من الكتب المليئة بالصور إلى الكتب التي تحتوي على المزيد من النصوص؛ في هذه المرحلة، من الضروري الحفاظ على اهتمامهم بالكتاب وتعزيز حبهم للقراءة. وتتضمن هذه المرحلة أكثر من فئة عمرية، تتراوح من ٥ إلى ١٢ عاماً.

وفيما يلي بعض تقنيات الكتابة المصممة خصيصًا لهذه المرحلة لجعل الكاتب أكثر تواصلًا مع الطفل:

اللغة وبنية الجملة البسيطة: استخدام اللغة الواضحة والجمل القصيرة، وتجنب الكلمات المعقدة والألفاظ الخاصة.

التكرار: يمكن أن يساعد تكرار بعض العبارات أو التراكيب في فهم المفردات وزيادة الحصيلة اللغوية. كما أنه يضيف جودة إيقاعية للنص، مما يجعل الطفل أكثر تذكرًا، خاصة في المراحل العمرية.

القافية والإيقاع: القصص التي لها قافية أو إيقاع معين تكون جذابة ويمكن أن تزيد من طلاقة اللسان.

التكامل بين النص والرسوم: على الرغم من أن الأطفال بدأوا بالقراءة إلا أن الرسومات تشكل جزءاً كبيراً من الكتاب يعتمدون عليه، لذلك من الأفضل أن يكون دور الرسومات مكملاً للنص ومعززاً له وليس مفسراً.

الحوار المشوق: استخدام الحوار في الحبكة أكثر جاذبية من المقاطع الوصفية الطويلة.

عناصر تفاعلية: استخدام بعض العبارات لتشجيع الطفل على التفاعل مع الرسومات والنص. مثال: (كم عدد التفاحات على الشجرة؟ هل رأيت الطائر الأزرق؟).

موضوعات يتعاطف معها الطفل: التطرق إلى موضوعات وخبرات وتجارب تهمّ الطفل مثل الصداقة، والمدرسة، والعائلة، والمغامرات.

الغموض والتشويق: يحب القراء الصغار النص المشوق الذي يجعلهم يريدون تقليب الصفحات.

الفكاهة والطرافة: دمج عناصر من الفكاهة، سواء عبر شخصيات غريبة، أو مواقف مضحكة، أو لغة طريفة.

التصوير الحي: إضافة كلمات وصفية ترسم صورة في عقل الطفل مما يعزز خياله.

شخصيات لها عمق: حتى في القصص البسيطة يجب أن تملك الشخصية بعدًا، فيكون لها رغبات، وتمر بتحديات، ولا بد أن تكون شخصية نامية، حتى تحظى بدعم الطفل.

التحديات والحلول: تعلم الأطفال مهارات حل المشكلات وتجعلهم يشعرون بالإنجاز.

الدروس الأخلاقية: يجب أن نتجنب الوعظ المباشر، وتكون الدروس خاضعة للاستنتاج.

التنوع في طول الجملة: مزج الجمل القصيرة مع الجمل الأطول. يمكن لهذا الاختلاف التحكم في وتيرة القصة والحفاظ على اهتمام الطفل.

إذا كان الكتاب مقسمًا إلى فصول، علينا التأكد من أن كل فصل له موضوع أو حدث مميز، مما يسهل على الأطفال متابعته والشعور بالتقدم.

كيف نعزز التواصل بين الطفل والكتاب في مرحلة ما بعد القراءة؟

التمثيلات الثقافية والاجتماعية: اختيار الكتب التي تعرض شخصيات متنوعة. وهذا يساعد الأطفال على فهم وتقدير الاختلافات والتشابه في المجتمع.

أسئلة مفتوحة: طرح أسئلة داخل القصة أو من خلال الرسوم التوضيحية، هذا يدفع الأطفال إلى التفكير والتفسير، مما يعزز مهاراتهم التحليلية.

المحتوى المرتبط: يتواصل الأطفال بشكل أفضل مع القصص التي تعكس تجاربهم أو تطلعاتهم. يمكن أن تكون قصة، عن اليوم الأول للطفل في المدرسة أو عن التعامل مع الأشقاء والمتنمرين، وثيقة الصلة به.

الصدى العاطفي: القصص التي تثير المشاعر يمكن أن تكون مؤثرة بشكل خاص. سواء أكان الأمر يتعلق بفرحة تحقيق الشخصية لهدف ما أو بحزن لفقدان حيوان أليف، يمكن أن تؤدي القصص العاطفية إلى مناقشات أعمق مع الأطفال حول مشاعرهم.

المناقشات المفتوحة: من الجيد الدخول في محادثات مع الطفل بعد الانتهاء من القراءة. كمناقشة القصة والشخصيات والدروس، وتشجيع الأطفال على التعبير عن فهمهم ومشاعرهم وتفسيراتهم.

القراءة بصوت عالٍ مع التعبير: عند القراءة لطفل، يمكننا أن نغيّر من نبرة الصوت ليتناسب مع شخصيات مختلفة، ومن الجيد أيضا التأكيد على المشاعر وتمثيلها، والتوقف عند انتهاء الجملة قليلاً أو الانتقال بالحوار من شخصية لأخرى. هذا يجعل القصة تنبض بالحياة وتصبح أكثر جاذبية للأطفال.

القراءة المتسقة: جعل القراءة نشاطًا منتظمًا. مع مرور الوقت، سوف يلتقط الطفل الموضوعات والأخلاق والدروس من الكتب المختلفة، مما يبني فهمًا واسعًا وقويًا للعالم من حوله.

استخدام الكتب لمعالجة المشكلات: إذا كان الطفل يتعامل مع مشكلة معينة، مثل التنمر أو قدوم أخ جديد أو فقد عزيز، يمكن أن تكون الكتب المصورة طريقة لطيفة للتعامل مع الموضوع وإثارة المناقشة.

تشجيع الإبداع: بعد قراءة الكتاب، من الجيد مشاركة الأطفال في الأنشطة الإبداعية ذات الصلة، مثل رسم مشهد من القصة أو تخيل نهاية مختلفة.

الكتابة لليافعين- هل نفقد لغة التواصل أم نحولها إلى لغة أكثر تطورًا؟

تمثل الكتابة لليافعين تحديًا كبيراً؛ لأن هذا الجمهور ينتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ. وهو يتصارع مع القضايا المعقدة التي يمر بها ويبحث عن تكوين هويته وعلاقاته بالمجتمع من حوله. للتواصل بشكل فعال مع اليافعين من خلال الكتابة، يمكن للمؤلف النظر في التقنيات التالية:

الصوت الأصيل: يمكن لليافع تمييز عدم الأصالة بسهولة. من المهم

أن يكون لدى الكاتب صوت حقيقي وصادق، وعليه ألا يبسّط القضايا لهذا الجمهور.

شخصيات قابلة للتعاطف: يجب أن تكون الشخصيات الرئيسة والشخصيات الأخرى متعددة الأبعاد، تظهر القوة والضعف كليهما. يجب أن يتمكن القراء من رؤية أجزاء من أنفسهم في الشخصيات وربطها مع صراعاتهم.

حوار واقعي: على الحوار أن يعكس كيف يتحدث اليافعون حقًا. حتى لو كانت جمل الحوار مصقولة بشكل أدبي، فإنه لا يجوز أن نشعر أنه حوار مصطنع ومتكلّف.

تناول قضايا معاصرة: تناول موضوعات ذات صلة بشباب اليوم، مثل الصحة النفسية، الهوية، العلاقات، الضغوط المجتمعية، وما إلى ذلك.

حبكة سريعة الإيقاع: تتميز العديد من روايات اليافعين الناجحة بحبكات مشوقة ومليئة بالأحداث تحافظ على اهتمام القراء من البداية إلى النهاية.

تنوع الشخصيات: يجعل القصص أكثر شمولية وتعاطفًا. على الرواية أن تتضمن شخصيات متنوعة، تعكس خلفيات مختلفة من المجتمع وتمثل طبقاته وأعراقه.

المعضلات الأخلاقية: غالبًا ما يكون الشباب في مرحلة تطوير بوصلتهم الأخلاقية، وهم يقدّرون استكشاف مثل هذه المعضلات في الأدب.

تجنب الإفراط في تقديم المعلومات: بدلاً من تقديم المعلومات بشكل مفرط يفضل دمج تفاصيل الخلفية بسلاسة في السرد، مع ضمان عدم تعطيل وتيرة الرواية.

الكتابة من منظور الشخص الأول: تتيح للقراء الاتصال بعمق مع مشاعر وأفكار وتجارب البطل.

موضوعات اكتشاف الذات والنمو: أحد العناصر الأساسية لأدب الشباب هو رحلة اكتشاف الذات وتكوين الهوية والنمو الشخصي.

النهايات المتوازنة: لا تحتاج كل رواية من روايات اليافعين إلى نهاية سعيدة، ولكن يجب أن يكون هناك إحساس بالأمل. يمكن أن تكون النهاية مزيجًا من المرارة والحلاوة، مما يعكس تعقيدات الحياة الحقيقية.

بدايات جذابة: جذب اهتمام القارئ من الصفحة الأولى. ستضمن البداية المثيرة خطف انتباه القارئ ابتداء من الصفحة الأولى، وسيستثمر وقته في قراءة الرواية حتى نهايتها.

عناصر تفاعلية: دمج عناصر الوسائط المتعددة في الرواية –مثل الروابط أو المكونات التفاعلية– قد يكون جذابًا لليافع الذي يعرف كيفية التعامل مع التكنولوجيا.

التغذية الراجعة والقراءة التجريبية: إشراك اليافعين في القراءة التجريبية للحصول على تغذية راجعة حول القصة وتقديم رؤيتهم التي لا تقدر بثمن.

احترام الجمهور: عدم التقليل من شأن الذكاء، أو العمق العاطفي للقراء اليافعين ولا من قدرتهم على التعامل مع موضوعات عميقة، وشخصيات معقدة، وحبكات معقدة.

القابلية للتعاطف: يمكن للمراهقين الارتباط بقصص تعكس واقعهم أو تمثل أحلامهم.

المناقشات المفتوحة: تتضمن نقاطًا للمناقشة أو أسئلة في نهاية الكتاب.

أمثلة من الحياة الواقعية: عند دمجها في الرواية قد تكون أكثر تأثيرًا من القصص الخيالية.

وبعد أن تمكنّا من التواصل مع الأطفال عبر لغات الحب التي يفهمونها في مراحلهم العمرية المختلفة، بقي أن نسلط الضوء على لغة تواصل أشمل ودائرة أوسع، وهي التواصل مع تراثنا وثقافتنا عن طريق الكتب التي نقدمها لأطفالنا.

فكيف نجعل كتب الأطفال أكثر تواصلاً مع تاريخنا وثقافتنا؟

مما لا شك فيه أن الطفل ابن بيئته ينهل من معينها ويستقي من حضارتها، والتراث في أدب الطفل يعني توظيف التراث في كتابة القصص، بما يعكس استحضار فترات محددة من التاريخ سواء من خلال مواقف، أو حوادث، أو شخصيات، أو استلهام قصص وحكايات ونوادر.

إن إعادة تقديم التراث والتاريخ للأطفال من خلال الكتب يتطلب المزج بين الجاذبية والمحتوى التعليمي. هنا بعض الأفكار التي يمكن أن تساعد في جعل كتب الأطفال أكثر تواصلاً مع تراثهم وتاريخهم:

القصص المصورة: استخدام الرسومات الملونة والجذابة التي تعكس روح ثقافتنا لتقديم قصص تاريخية حقيقية أو مستوحاة من التراث.

الشخصيات الجذابة: اختيار شخصيات تاريخية وتقديمها بأسلوب مشوق ومغامرات جذابة كي تكون قريبة من وجدان الطفل ومشاعره.

التفاعلية: إدراج نشاطات أو ألغاز أو أسئلة في الكتاب تحفز الأطفال على التفكير والتفاعل مع المحتوى. مما يدفعهم أيضاً إلى الاستكشاف والبحث.

الموسيقى والأغاني: من الممكن أيضاً إدراج الأغاني التراثية أو القصائد الشعبية التي تتعلق بالموضوع لتزيين القصة وجعلها أكثر حيوية.

الألعاب التقليدية: استخدام الكتاب لتقديم ألعاب شعبية قديمة وشرح كيفية لعبها.

ربط الماضي بالحاضر: رسم صلات بين الأحداث التاريخية والحياة اليومية للأطفال، مثل مقارنة وسائل النقل أو الألعاب أو الأزياء.

الأنشطة العملية: تشجيع الأطفال على إجراء تجارب أو أنشطة تقليدية، مثل صنع ألعاب تراثية أو تجربة طهي طعام تقليدي.

استخدام اللهجات المحلية: قد يكون استخدام اللهجات المحلية أو المصطلحات التقليدية وسيلة جيدة لجعل الأطفال يشعرون بالتواصل مع التراث.

الاحتفاء بالتنوع الثقافي: تقديم قصص من مختلف الثقافات العربية أو الحضارات لتعزيز مفهوم التنوع.

القصص الشفوية: الاستماع للأجداد والأمهات وإعادة كتابة القصص التي يروونها بأسلوب جذاب للأطفال. إن تقديم المحتوى بطريقة جذابة وممتعة، يشعر الأطفال بالحماس لاكتشاف تراثهم وتاريخهم ويجعلهم أكثر رغبة في البحث والاستكشاف.

يحمل تقديم القصص التراثية للأطفال أهمية خاصة نوجزها في النقاط التالية:

الهوية والانتماء: تساعد القصص التراثية الأطفال على فهم جذورهم وتاريخهم، مما يعزز من انتمائهم ويقوي إحساسهم بالهوية الوطنية والثقافية.

القيم والأخلاق: تحمل القصص التراثية في طياتها العديد من القيم والأخلاق التي يمكن أن تساعد في تربية جيل واعٍ ذي قيم عالية.

تقوية الخيال: القصص التراثية غالبًا ما تحتوي على عناصر خيالية وأحداث غير متوقعة تساعد في تقوية خيال الأطفال وتحفيزهم على التفكير الإبداعي.

تعزيز التواصل بين الأجيال: تقديم القصص التراثية يساعد في بناء جسر بين الأجيال، حيث يمكن للأجداد والآباء مشاركة تجاربهم وقصصهم مع الأطفال وتوضيح بعض العادات والتقاليد التي يروونها.

التعليم الترفيهي: من خلال قراءة القصص التراثية، يمكن للأطفال تعلم الكثير عن التاريخ والجغرافيا والثقافات بطريقة ممتعة وشيقة.

حفظ التراث: من الضروري نقل القصص التراثية من جيل إلى جيل لضمان بقائها وعدم نسيانها. الأطفال هم حملة الشعلة الذين سيحافظون على هذا التراث في المستقبل.

تقوية المهارات اللغوية: قراءة القصص التراثية يمكن أن تساعد الأطفال على تطوير مهاراتهم اللغوية وتقوية قاموسهم اللغوي، حتى لو كانت هذه القصص تسرد باللهجات المحكية.

تعزيز التفكير النقدي: العديد من القصص التراثية تحتوي على رسائل معقدة وأحداث ذات دلالات متعددة، مما يشجع الأطفال على التفكير والتأمل.

تعزيز الشعور بالاحترام: عندما يتعرف الأطفال على القصص والتقاليد من مختلف الثقافات، يكتسبون احترامًا أكبر للتنوع الثقافي وللآخرين.

في جوهر الأمر، إن تقديم القصص بشتى أشكالها للطفل هي أسلوب مثالي للتواصل معه. ولكن علينا ألا نستهين بقدرات وذكاء الطفل، وأن نحترم اختياراته، وأن نقدم له الكتب والقصص بكافة أجناسها الأدبية بكل لغات الحب التي يتقنها.

المراجع:

1) “The Read-Aloud Handbook” by Jim Trelease

2) “Reading Magic: Why Reading Aloud to Our Children Will Change Their Lives Forever” by Mem Fox

3) The Five Love Languages of Children by Gary Chapman.

4) “Books That Build Character: A Guide to Teaching Your Child Moral Values through Stories” by William Kilpatrick, Gregory Wolfe, and Suzanne M. Wolfe

5) “Parent-Child Book Club: Connecting with Your Kids through Reading” by Melissa Stoller and Marcy Winkler

6) “Honey for a Child’s Heart: The Imaginative Use of Books in Family Life” by Gladys Hunt

لماذا كتبتُ للأطفال؟

طفولتي في قصصي

أ. سناء الحطّاب[1]

يستجلبُ سؤال الكتابة للأطفال في نفسي حديثَ البدايات، ويسحبُ من طرفٍ آخرَ علاقةَ الكاتبِ بظروفِ نصّه، أو ما يُشاع عن كَوْن النصوصِ التي يقدّمها بعضُ الكتّاب أحيانًا تُشكّلُ جزءًا من سيرتهم الذاتيّة.

وعلى ما في هذا الطَّرْح من إشكاليّات، حولَ علاقةِ النصِّ بسيرةِ صاحبِه، فإنّ الكتابةَ للأطفالِ ما كانت لتنطلقَ من وجداني ومُخيّلتي، إلا لكونها لامستْ حاجةً في نفسي، واستحضرتُ فيها طفولتي التي ما أزالُ أعيشُها وأتمثَّلُها حتى اليوم في خيالاتي، وفي الأحداثِ التي ما زالت عالقةً في الذّاكرةِ.

وربما تكونُ الحقيقةُ التي لا مخرجَ منها، أنّ الكاتبَ يُقدّمُ بعضًا من نفسهِ فيما يكتب، وليس لكاتبٍ أن يُجاوِزَ نفسَه في حالٍ من الأحوالِ في كُلِّ ما يصدُرُ عنه، فكيفَ بما يعكِفُ على كتابتِهِ، ويتعهّدهُ بكثيرٍ من الرِّعايةِ والتَّدقيقِ، بخاصّة وأنَّه يُقدّمه لجُمهورٍ مِزاجيّ (ونقول مزاجيّ على نحوٍ إيجابيّ) يُعاينُ النصَّ ومفرداتِه، ولا يقبلُ المُجاملاتِ.

قرأتُ مرّةً تصريحًا لهانز كريستين أندرسن رائدِ الكتابةِ للأطفالِ في العالمِ، يقولُ فيه إنّ حكايةَ فرخِ البطِّ القبيحِ التي نعرفُها جميعًا هي حياتُهُ، وقد عاشَ هذا

(1) كاتبة أردنية للأطفال، حاصلة على عددٍ من الجوائز الأدبيّة.

الكاتبُ، واختبرَ النَّبذَ كما اختبَرهُ فرخُ البطِّ القبيحُ، ثمَّ أصبح كاتبَ الأطفال الأوّل، وكرَّمَتْه بلاده، وما زال نُصبه التَّذكاريّ هناكَ شاهدًا على ما قدّمه للأطفال.

وهنا تبدو صِدقيّةُ التعبيرِ حين يشاركُ الكاتبُ قارئه الصَّغير فكرةً مُهمّةً: هي أنَّ الانفعالاتِ التي يختبرُها الصغيرُ لا تخصُّه وحدَه، بل هيّ جزءٌ من نُموِّهِ النَّفسيِّ، وجزءٌ من تجاربِه في هذا العالم، والهدف الأساسي للانفعالات العاطفية، كما يراه كامل عويضة في كتابه (علم نفس النمو) هو: «حماية الحياة النفسية بطريقة غريبة، من المثيرات الضارة التي تهدد نظام الحياة النفسية المتناسق»[1].

وذلك يعني أنّ هناك اهتزازاتٍ عنيفةً ستَطالُ حياةَ الطِّفل لا بُدّ منها، لكنّ الأدب على الأقل يشاركه هذه التجارب، أو يحضّره لها.

عن تجرِبتي في الكتابة، أقولُ إنّها بدأتْ من بوّابةِ القِراءةِ، وسِحرِ العوالمِ البعيدةِ عن المَعيشِ واليوميِّ. فكرة أن نجدَ عالمًا مُوازيًا ومُتخيَّلًا نمتلكُ فيه حُرِّيَّةَ التصرُّف والحُلم والتَّحليقَ.

هذا من بابٍ، ومن بابٍ آخر كان شأنُ تجرِبةِ الأمومةِ المُبكِّرة قد سمحَت لي بمُشاهداتٍ ومعاينة عقَباتٍ في حياةِ أطفالي الذين باتوا اليَوْمَ رِجالًا ونِساءً. إضافة للعمل في التدريس والإشراف على الأنشطة في المدارس.

وفي نقطة أبعدَ في الذَّاكرة، ومُمتدّة حتى اليوم، أقولُ إنّ طفولتي التي أحملُها معي هيَ التي دَفَعَتني منذُ البدءِ إلى الكتابةِ.

وبما سبق، فإنّني سأقفُ عند هذه الطُّفولةِ، في الحادثةِ البعيدةِ في الذّاكرةِ عن الحروبِ واختبارِ بعضٍ من مجرياتِها، التي استحضرتُ مضمونَها في قصَّتي (لا تطيري بعيدًا أيتها الفراشة) بعدَ مُشاهداتٍ مؤلمةٍ لما يحدُثُ حولَنا من حروبٍ طالت خريطةَ عالمِنا العربيِّ في أقاليمَ مختلِفة. تستهدفُ هذه القصةُ جمهورَ الأطفالِ في المرحلةِ العُمريّةِ (6–9) سنوات، وتُقدّم محاولةً لمُعالَجةِ أزمةِ الطفلِ، عبر تعزيزِ فكرةِ ضرورة التخطّي والتطلّعِ لمستقبلٍ قادم. وتتلمّسُ هذهِ القصّةُ حاجةَ الأطفالِ في ظلِّ مرحلةٍ إنسانيّةٍ وسياسيّةٍ عصيبة يمرّ بها الكبار والأطفالُ إلى طاقة نورٍ وفُسحةِ أملٍ جديدة.

---

(1) عويضة، كامل محمد محمد، علم نفس النمو، دار الكتب العلمية، بيروت، ص5.

تترافقُ، في هذه القصَّةِ، الشخوصُ: الفراشة، والعُصفور، والبومةُ، والأفعى، والطِّفلُ دونَ حوارٍ منقولٍ وبرؤية الراوي الشَّاهدِ، ليحكيَ قصّةَ الطفلِ الذي يسيرُ مِن منطقته المنكوبةِ وُصولًا إلى منطقةٍ آمنةٍ تفتحُ له أُفُقًا جديدًا من الحُلم والرَّغبةِ في العودةِ إلى أرضِهِ وهي مَعْمورَة.

وأذكرُ أنني اختبرْتُ تَجْرِبَةَ الحَرْبِ ولم أكن حينها قد جاوزتُ الأربعَ سنوات من العُمر، وهذا يعني أنَّ التجربةَ رُبّما ترسَّبت في الذَّاكرَةِ، ودفعَت بي إلى مشاركَتِها مع الأطفالِ، أطفالِ اليوم في ظلِّ الحروبِ، مُشاركةً وجدانيّة؛ في محاولةٍ لاستدراجِهِم إلى نطاقاتٍ بعيدةٍ قليلًا عن الخوفِ والتَّهديدِ.

أما قصتي (واحد.. اثنان.. ثلاث ليمونات ونحلة)، فإنها تنحو منحىً سحريًّا وفنتازيًّا في المقاربةِ بين حالةِ الهَلْوَسَةِ التي تُصيبُ الطِّفلَ عندَ الحُمّى، واستدعاءِ تفاصيلَ وعوالمَ مُتَخَيَّلَة، تُدخِلُ الطفلَ في أجواءٍ غرائبيّةٍ، ثم توقِظُهُ مُجدّدًا على لحظةٍ من لحظاتِ الواقع، فتدعوهُ ليعيشَ حالةَ هذيانٍ لطيفةً في القصَّةِ، إذ إنّ عالمَ الطفلِ في الطفولةِ المُبكّرةِ مُتأسِّسٌ على كثيرٍ من التخيُّلِ والمُحاكاةِ.

تَعرِضُ هذه القصَّةُ لتجرِبَة استئصالِ اللَّوْزَتَيْنِ، على نحوٍ أكادُ أجزِمُ أنَّه غيرُ مألوفٍ أو مطروقٍ. وقد أوحى إليّ كتاب «مدخل إلى الأدب العجائبي» للكاتب البلغاري الفرنسي تزيفتان تودوروف، كتابةَ هذه القصة، بعد استكناهٍ لآليّات نقدِ الأدبِ العجائبيّ التي ساقها تودوروف.

وفي تجربتي في روايتي الأولى والوحيدة، حتى اللّحظة، التي كتبتُها للفتياتِ من عُمر (11–14) سنة بعنوان (أسرار صغيرة)، راجعتُ جُملَةً من الدَّوافِعِ والانفعالاتِ والحِيَلِ التي تُجَرِّبُها الفتياتُ للخُروجِ من المآزِقِ النَّفسِيَّةِ، أو اختبارِ تَجارِبَ جَديدةٍ، والتعرّفَ إلى أنفسهنّ في طَوْرٍ جَديدٍ من أطوارِ النُّمُوِّ، مع اختبارِ قُدْرَتِهِنَّ على إنشاءِ العلاقاتِ، والتوسُّعِ اجتماعيًّا بَعيدًا وقريبًا في الوقتِ نَفْسِهِ من مِظَلَّةِ العائلةِ.

وتُعرّف الدوافع على أنها «الطاقات الكامنة في الكائن الحي والتي تدفعه ليسلك سلوكاً معيناً في العالم الخارجي، وهذه الطاقات هي التي ترسم للكائن الحي أهدافه وغاياته، وتساعده في تحقيق أحسن تكيف مع بيئته الخارجية»[1].

(1) الشوريجي، نبيلة عبد العباس، المشكلات النفسية للأطفال أسبابها وعلاجها، ص66.

ويمكن للفتياتِ أن تجدَ في هذهِ الرِّوايةِ صُورةً عنهُنَّ، وعن مُشكِلاتِهِنَّ، وسُبُلِ الخروجِ الآمنِ أو التَّعايُشِ والقَبولِ.

وتشيرُ الكاتبةُ لندا ستراتشان في مُقدِّمَةِ كتابها (الكتابة للأطفال) إلى أنَّ الأطفالَ «يَسعون بصورةٍ مُستمرَّةٍ إلى تعلُّم ما قد يُساعِدُهُم على فَهْمِ العالمِ الذي يُحيطُ بهم، وتَلعَبُ كُتُبُ الأطفالِ دورًا فعّالًا في تطوير هذه العملية التنموية».

وهو ما حاولْتُ تقديمَهُ للفتيات اللاتي قد يقرأنَ روايتي (أسرار صغيرة).

ختاما يحضرني سؤال مهم؛ هل الكتابةُ للأطفالِ أمرٌ مُتاحٌ لمن أرادَ، وأجدُ أنَّني أتفقُ والجوابَ الذي تُقدِّمُه جوان آيكن- كاتِبة مُتخصِّصة في أدب الأطفال وروائيّة بريطانيّة - مُضمِّنَةً إياهُ تحذيرًا واضحًا، إذ تقول : «إنه لا يجب أن يدخل أي شخص مجال أدب الأطفال لمجرد أن لديه نزعة مُبهمة لأنْ يكتب شيئًا ما، متصورًا أن هذا يبدو طريقًا جيِّدًا لأن يبدأ في تمرين يديه على الكتابة قبل أن يتطرق لكتب الكبار»، بل إن جوان آيكن تزيد على هذا بقولها لا تدخل هذا المجال إلا إذا كانت لديك رغبة قوية في أن تحكي قصصاً يحب الأطفال الاستماع إليها «**ومن المفضل أن يكون السبب هو وجود قصة معينة تطلب بإلحاح الخروج من ذهنك**»[1].

توصيات:

1. الاستعداد للكتابة؛ إذ يحتاج الكاتب لدراسة السلوك النفسي للطفل ومتابعته، ومعرفة الدوافع والحاجات والاضطرابات، ويحتاج أيضًا إلى قراءة كثير من الكتابات لمُنَظِّرين في مجالِ الكتابةِ للأطفال بخاصّة، والقراءة في أبواب النقد والأدب عمومًا؛ لما في ذلك من تقويةٍ للحسّ الأدبي والفنيّ، ودفعٍ لتجويدِ النُّصوص.
2. تقصّي جهود الكتّاب الذين نهضوا بمُنجزاتٍ حقيقيّةٍ في مجالِ الكتابةِ للأطفالِ، ونمائهم وتطوُّرِهِم، وعَدّوهُ مشروعًا ومنهجَ حياةٍ، أمثالَ الكاتبِ

(1) جوان آيكن، مهارات الكتابة للأطفال، ترجمة يعقوب الشاروني وسالي رؤوف، المركز القومي للترجمة، مصر، 2012، ص 38-39.

الروسيّ ليو تولستوي؛ إذ كرّس حياتَهُ لتعليمِ الأطفالِ الفُقراءِ، وإطعامِهم ورعايتِهم، وتحسين فُرَصِهِم، ونذَر حياتَهُ في سبيلِ هذا الهدفِ السامي، فنحتاج إلى مَن يجعلُ الأطفالَ مَشروعَ حياةٍ.

3. الاستماعُ إلى الأطفال في أحاديثِهِم اليوميّة، ومشاركتِهم اللَّعبَ، وطرحُ الأسئلةِ عليهم بشكلٍ عفويٍّ.

4. تنظيمُ ورشاتٍ تفاعليَّةٍ للكُتّاب الذين ينتوون الكتابة للأطفال، تأخذ طابعًا تقويميًّا؛ ذلك أنَّ بعضًا ممّا يصدر لا يتّفقُ مع ما يناسبُ الطفلَ في تكوينِهِ النَّفسيِّ والاجتماعيِّ والأخلاقيِّ والمعرفيِّ.

5. تفعيلُ دَورِ الرَّقابَةِ على الأعمالِ المَكتوبةِ للأطفالِ قبل صُدورِها.

6. دعمُ الأعمالِ التي تُحَقِّقُ معاييرَ الكتابةِ للأطفالِ، وتقديمُها على نطاقٍ واسعٍ؛ لتصلَ إلى أكبرِ عددٍ منهم في أماكنِ تواجُدِهِم.

7. وقبل كل ما سلف، تعليم القراءةِ للأطفال بوصفِهِ حقًّا إنسانيًّا يُراهَن عليه، كما فعلَ تولستوي، ومِن ثَمَّ تشجيعهم على القراءة، وتفعيل الوسائل المختلفة لذلك، بالربط مع الأهل والمربين والمهتمين بتنشئة أجيال واعية وسوية.

محطّات في تجربتي في الكتابة للأطفال

أ. روضة الفرخ الهدهد[1]

أول فرحة هزتني وهزت عائلتي كانت عندما قرأتُ اسمي في الجريدة الرسمية: كنت الخامسة من العشر الأوائل في امتحانات التوجيهي على مستوى المملكة الأردنية الهاشمية. كان حدثًا لم أنسه ولن أنساه طيلة عمري؛

أما الفرحة والشعور بالفخر والبهجة الغامرة فكانت عندما وقفتُ بين أكوام الرزم من كتابي الأول «في أحراج يعبد»، وقد صدر عن مطابع الجمعية العلمية الملكية في عمان.

بين الحدث الأول عام 1964 والثاني عام 1979 خمسة عشر عامًا فيها من الأحداث الشيء الكثير: تزوجت، أنجبت أربعة من أبنائي الخمسة، درست في جامعة القاهرة ونلت البكالوريوس من جامعة بيروت، ودرست الماجستير، وسافرت للعديد من دول العالم، ومررت بعشرات المواقف حلوها ومرها، ولكن طعم النجاح الأول والثاني ظلّا عالقين في نفسي وقلبي.

عام 1982 كان لي وقفة عز جديدة، حين حصلت على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن كتابي قافلة الفداء، يومها سافرت إلى نابولي في إيطاليا فقابلت عشرات الكتاب الذين يكتبون للأطفال من مختلف الأقطار العربية يحتفلون بي احتفالاً مميزًا:» دي اللي خدت الجايزة».

---

(1) كاتبة أطفال ورئيسة هيئة المديرين في مؤسسة المنهل التربوية.

النجاح والجوائز تحفر في النفس ذكرى عميقة لا تمحى!!

توالي صدور الكتب:

* عندما أصدرت الكتاب الثالث وكان بعنوان «قافلة الفداء»، قال لي أخي المرحوم الدكتور محمد الفرخ، أعتقد أنك فعلًا وراء هدفك بإصدار هذه السلسلة!! وعندما سلمته الكتاب السادس وكان بعنوان: «أسد فوق حيفا» عن فراس العجلوني، أضاف: تأكد لي الآن أنك فعلاً ستكملين المشوار ولن تحيدي عنه!!

يومها قرأت لإحدى الزميلات في مناقشتها لنيل الماجستير في الجامعة الأردنية عن «أدب الأطفال في الأردن» كلامًا ملأني بالسعادة والفخار؛ قالت: روضة تمتلك كنزًا من المواضيع تغرف منه لإصدار الكتب لأطفالنا!!

الآن ثروتي من الكتب: تقارب الستين عملاً في سلاسل: سلسلة حكايات بطولية للأطفال 26 عنواناً، حكايات الغول 3 عناوين، سلسلة المسرح 7 عناوين، سلسلة في ذاكرة الزمان والمكان 6 عناوين وهي باللغتين العربية والإنجليزية، سلسلة الصحابة عنوانان، حكايات علمية «4» عناوين، كتب مصورة 3 عناوين، الطفولة المبكرة 4 عناوين، مغامرات في القدس عنوانان، السيرة الذاتية عنوانان.

محطة الجوائز:

من منا لا يقف مطولاً عند أي جائزة ينالها على عمله؟! من منا لا يراجع في فكره كل حين الجوائز التي نالها والظروف المحيطة بالجائزة؟

أول جائزة مفاجئة كانت عند حصول كتابي الثالث «قافلة الفداء» على جائزة المنظمة العربية للثقافة والعلوم عام 1982 تلتها جائزة سلاح الجو الأردني عن كتابي «أسد فوق حيفا»، ثالثها وأهمها جائزة الدولة التقديرية في أدب الطفل عن مجمل أعمالي نلتها عام 1999/ 2000 من جلالة الملك عبد الله الثاني.

بعدها نلت جائزة من مدينة الكرك عن مسرحية «صلاح الدين الأيوبي»، ثم جائزة إربد عاصمة للثقافة عن كتابي العلمي: مغامرة مع الجراد.

ولا أبالغ إن قلت إن الجوائز الشفهية المتواصلة كانت عندما ألتقي مع الأطفال في مدارسهم يناقشون الكتب ويتصورون معي!!

محطة المسرح:

أحببت المسرح منذ طفولتي عندما كنت في مدرسة الزهراء في العاصمة عمان – بيت الفن حالياً – كانت معلماتنا الفاضلات يدعمننا بنصوص مسرحية من مناهجنا المدرسية؛ فكنت سندريلا يوماً، وكنت خالد بن الوليد يوما آخر، وكنت الأم التي عثر قلبها في يد ابنها، وكنت ألقي القصائد وأنال عليها الجوائز، ويبقى في ذاكرتي صوري على المسرح، أمام الجمهور من الأهل وأولياء الأمور نحتفل بالأعياد الدينية والاجتماعية وأرى على وجوههم التأثر بأدائي.

ولمّا دخلت عالم الكتابة للأطفال حوّلت عدداً من كتبي إلى نصوص مسرحية قدمها طلاب وطالبات وممثلون وممثلات محترفون وأخرجها مخرجون ومخرجات متخصصون وغير متخصصين؛ سواء على مسارح مدرسية متواضعة، أو مسارح فخمة في قاعات مجهزة. المهم أن يشارك أبناؤنا بالأداء المسرحي، لما لهذا الأداء من مردود ثقافي نفسي تربويّ هائل عليهم.

والحديث عن المسرح يطول وقد تمت طباعة بعض هذه النصوص المسرحية في كتب لتسهل على المعلمات في المدارس تقديمها لطلابها.

محطة العمل المجتمعي:

أعتقد أن نشأتي في أسرة تؤمن بضرورة خدمة المجتمع والمساهمة في عمل الخير: ليلًا أو نهارًا، سرًا أو علانية، وفي كل الظروف ومهما قلّ أو زاد هذا العطاء، هو الأساس في تنمية شخصيتي للمساهمة في خدمة المجتمع تطوعاً ودون انتظار لأي مردود مادي أو حتى معنوي.

أقول هذا وأنا أراجع عملي التطوعي مع مؤسسة عبد الحميد شومان تحديدًا، هذه المؤسسة التي أقدم شهادتي عن تجربتي في الكتابة فيها، فلقد شاركت منذ تأسيسها ومع مديرها د. أسعد عبد الرحمن ثم مع مديرها ثابت الطاهر ثم الآن مع

مديرتها فالنتينا قسيسية، وعلى مدى أعوام في نشاطاتها المجتمعية سواء مع الأطفال ومسابقاتهم في الكتابة، أو مع الكبار الذين يؤلفون القصص والشعر لهم.

وقد حضرت مئات المؤتمرات والندوات التي لها علاقة بموضوع أدب الطفل، وقدّمت عشرات الأبحاث في تاريخ أدب الطفل في الأردن وفلسطين.

والتقيتُ بأهم كتاب الوطن العربي للأطفال من مصر والعراق وسوريا ولبنان وحضرتُ معارض كتب الأطفال في الوطن العربي وإيران وإيطاليا. وقرأت ونصحتُ وشددت على يد العديد من الكتاب للأطفال والكبار في سبيل رفد المكتبة العربية بالمزيد من الأعمال المميزة أدباً وفناً وأداءً جمالياً، وأعتقدُ أن لي جيشاً من الأمهات والآباء الذين راسلوني وقرأوا لي عندما كانوا أطفالاً: يقرأون ويتابعون ملاحق الأطفال في الصحافة اليومية في الدستور والرأي، أو مجلات الأطفال مثل وسام وحاتم، وبراعم عمان وغيره..

خدمة المجتمع ضرورة وواجب:

مختارات من كتابي «من يافا إلى عمان مع المحبة»[1].

الكتابة للأطفال، ص73:

في عام 1979 حددتُ موعداً لزيارة الدكتور «عبد الرحمن ياغي» في بيته في ناعور.. كان الدكتور عبد الرحمن ياغي رئيساً لرابطة الكتاب الأردنيين، وكانت زوجته الفاضلة السيدة «حياة ملحس» تعمل مديرة في معهد ناعور التابع لوكالة الغوث الدولية «الأونروا». ذهبتُ ووالدتي «هدى» ومسودة عملي الأول للأطفال بعنوان «في أحراج يعبد»، واستقبلنا الدكتور وعقيلته ألطف استقبال، وقرأت بين يدي الدكتور المخطوطة، فأثنى عليها الثناء كله، بل وكتب مقدمة لهذا الكتاب الأول من سلسلة الكتب التي أطلعته على نيتي إصدارها، فكانت مقدمة رائعة، أعطتني دفعة قوية للعمل والإنجاز. وقد جاء في المقدمة..

---

(1) **سيرة ذاتية 2**– الصادر عن مديرية الثقافة في أمانة عمان الكبرى، 2014.

«هذا الجهد الكريم..

ليس من السهل.. بعد كل هذا الذي تسرّب إلى نفوسنا، وترسّب فيها، وبعد كل هذه الشوائب التي تراكمت في عروقنا، وبعد كل هذه العتمة التي قبعت في الجوانح بفعل ما ألمّ بنا من أحداث.. ليس من السهل التخلص من كل هذا، وتنقية النفس، وتصفية العروق، وإنارة الجوانح، لكي نرتفع إلى عالم الطفولة.. نلجه، ويتقبلنا في رحابه.. إنه عالم قلما نتعامل معه على الوجه الأكمل إلا في المناسبات.. لكنا حين ندخله نجده مذهلاً مشرقاً رائعاً نقياً زكياً!

ولقد أرادت السيدة الكريمة (روضة الفرخ الهدهد) أن تدخل هذا العالم النقي الزكي الصافي، وأن تقيم بينها وبينه علاقة، وأن تحميه من الرواسب والشوائب والعتمة، وأن تضيء له السبيل، فارتفعت بنفسها إلى مستوى الطفولة، وعملت على أن تصحب الناشئ العربي في رحلة الحياة، وأن تملأ جوانحه بمواقف بطولية سويّة ليس فيها انتفاخ، وأن ترسّخ فيه حب التضحية والبذل والعطاء، وحب الأرض والإنسان والوطن، وتحبّب إليه سير الأبطال ومواقفهم الإيجابية، وتهيئ للطفل العربي ركنه الدافئ الذي يحتضنه في جو صحي منذ الخطوة الأولى في درب الحياة».

عندما بدأت الكتابة في ذلك العام عن النضال العربي، والفلسطيني بشكل خاص ضد الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين؛ اعتمدت على المراجع المتوفرة في المكتبة حول يوميات هذا الصراع وتاريخه.

أمضيتُ ستة أشهر كاملة في البحث في المراجع «المكتوبة»، ثم انتقلتُ بعدها للمراجع «الشفوية»، وكل كتاب أصدرته، وعددها أربعة وعشرين كتاباً من سلسلة حكايات بطولية للأطفال، أثبتُّ مراجعه في نهايته. ولكنني تأثرتُ أكثر ما تأثرت بكاتبين عظيمين، أرّخا لهذه القضية هما: الكاتب المناضل المرحوم «أكرم زعيتر»، والكاتب الشهيد «صالح بويصير» رحمهما الله فقد قدّما لهذه القضية الشيء الكثير.

والمناضل أكرم زعيتر فلسطيني من مدينة نابلس في فلسطين والشهيد صالح بويصير ليبي من ليبيا. وأعرف أن العودة للشبكة العنكبوتية لمعرفة تاريخ أي منهما وآثاره وكتاباته أمر سهل، ولكنني أذكر أن لأكرم زعيتر دوراً كبيراً في حفظ وتأريخ

النضال الفلسطيني، مثله مثل المؤرخ «عارف العارف» و«محمد عزة دروزة» وغيرهما، وعندما كان أكرم زعيتر في إيران كسفير للأردن فيها، ترجم بعضاً من كتاباته عن يوميات النضال الفلسطيني ضد الاستعمار الإنجليزي وضد هجرة اليهود إلى فلسطين. ترجمها إلى اللغة الفارسية كتابة وقولاً، وبذلك كان له الفضل الأكبر في حفظ هذا النضال وبالتالي تأثيره على مواقف إيران تحديداً من فلسطين. وبالتأكيد ستظل هذه الكتابات للأجيال القادمة، تنير لهم طريق النضال المستمر ضد الاحتلال الإسرائيلي كما أنارته لي أنا من قبل.

أما الكاتب الليبي صالح بويصير وكتابه «جهاد شعب فلسطين خلال خمسين عاماً» فهو يؤرخ وبشكل رائع لنضال هذا الشعب قبل النكبة، وكم أثّر بي هذا الكتاب، ولكنه بالمقابل أثار العدو الصهيوني، فقام بقتله وإسقاط الطائرة الليبية التي كان على متنها عام 1973، حيث كانت الطائرة في رحلة لها من طرابلس الغرب في ليبيا إلى الأردن. وعلى متنها بالإضافة لهذا الكاتب العشرات من الأفراد المدنيين رجالاً ونساءً وأطفالاً!!

تقول صديقتي «لطفيّة دلال أبو حرب» إن والدتها كانت على متن هذه الطائرة، تحملُ ابن لطفيّة الصغير ذا الأعوام الثلاثة لأمِّه التي تنتظرهما في مطار عمّان، ولكن دولة العدو الإسرائيلي أطلقت على الطائرة صاروخاً أسقط الطائرة بمن فيها من ركاب!!

وإذا كنا كعرب قد نسينا الحادثة ولم نذكرها سواء في كتاباتنا أو إعلامنا، ولم نُقِم الدنيا ونقعدها على واحدة من سلسلة من الجرائم الاسرائيلية بحقنا، إلا أن صديقتي لطفيّة تظل تذكرنا بها كونها فقدت ابنها وأمها بالإضافة لفقدان مدينتها حيفا ووطنها فلسطين من قبل. تقول لطفيّة: أعيدوا لي أياً من هذه الأيقونات الثلاثة وطني وأمي أو ابني، وسأسامح بالإثنين الآخرين. ولن أسامح!!!

أعود للكاتب الليبي الشهيد صالح بويصير لأشكره مع دعواتي له بالرحمة والجنة ودار الخلد مع النبيين والصدّيقين والشهداء، فلقد أنصف شعب فلسطين بتأريخه لنضالهم ضد الاستعمار الإنجليزي والاحتلال الصهيوني. هذا النضال المستمر إلى اليوم، بأشكاله النضالية المختلفة.

إن المراجع المتوفرة للباحث، أي باحث متخصص أو عادي، في قضيتنا العربية المركزية قضية فلسطين قليلة، وإن الباحث عن القدس مثلاً سيجد مقابل أي مرجع عربي عشرات المراجع الأجنبية، التي تحمل وجهة نظر الصهاينة عن هذه المدينة منذ بنائها وإلى اليوم، بل إنهم يسوّقونها دوماً على أنها بنيت على يد سليمان حيث هيكله المزعوم فيها، وكم نحن بحاجة إلى كتب ومراجع تدحض ذلك، وتثبت أن القدس عربية بما لا يقل عن ألفي سنة من ظهور الديانة اليهودية.

جائزة خليل السكاكيني لأدب الطفل وثقافته، ص115:

يتميز الزميل «عبد الله رضوان» أنه رجل نقابي من الدرجة الأولى، إيجابي الطبع، سريع التنفيذ، لا تلهيه الشعارات والمهاترات والأحاديث الجانبية، وقد عملنا سويّاً في أكثر من دورة انتخابية في الهيئة الإدارية لرابطة الكتاب الأردنيين.

ولمّا كان يعلم وضعي الاجتماعي والاقتصادي، فقد اقترح علي إعلان جائزة باسم «روضة الهدهد» لأدب الطفل، وذلك ضمن الجوائز التي تقدمها الرابطة في مجالات عديدة من مثل: الشعر، النقد الشعري، القصة، الرواية، الحريات.. الخ. وقد وافقتُ في حينها على تبني الجانب المعنوي والمادي لهذه الجائزة، ولكنني اقترحتُ تسميتها بجائزة «خليل السكاكيني لأدب الطفل وثقافته» حيث إن الراحل «خليل السكاكيني» كان له الفضل الأكبر في موضوع أدب الأطفال وثقافتهم وتعليمهم، والجميع يعرف دوره في وضع مناهج التعليم للمراحل الأساسية وما يعرف بالطريقة التركيبية من الحرف إلى المقطع إلى الكلمة. من حرف ر إلى را إلى راس، أو رَ رو روس.

وبالفعل قمنا في الرابطة، بوضع أسس وشروط هذه الجائزة، وفعّلناها لعدة سنوات، ونالها العديد من الأخوة العاملين في مجال أدب الطفل مثل الشاعر «علي البتيري»، والسيد «محمد الظاهر»، وكان لي الشرف أنني نلتها أيضاً، وبالطبع تبرعت بقيمة الجائزة المادية للرابطة نفسها.

ولا زالت الجائزة ضمن الجوائز التي تقدّمها الرابطة للمبدعين في أدب الطفل وثقافته من أبناء هذه الأمة، إن من الأردن أو خارجها.

في إيران، ص119:

جاءني اتصال هاتفي من السفارة الإيرانية في عمان يوماً، يطلب مني الاشتراك بمعرض للكتاب في العاصمة «طهران»، حيث سيكون هناك جناح خاص «لأدب المقاومة» وكتب الأطفال الخاصة بذلك.

وأبديتُ استعدادي للسفر، شريطة أن يكون معي مرافق، حيث إنني بتربيتي المحافظة لا أحبذ السفر بمفردي، وكان لي ذلك، فاستعدّت أخت زوجي «كوكب الهدهد» لمرافقتي.

ولما كان شرطهم الوحيد لبس الحجاب والملاية، وكنت أنا غير محجبة آنذاك، فقد اشتريتُ عباءة مطرّزة بالتطريز الفلاحي من محل شقيقتي «انتصار»، وكانت مثار إعجاب كبير من الإيرانيين لجمال تطريزها التراثي الفلسطيني ووضعتُ الشال الأسود على رأسي وسافرنا.

في طهران، كان الإعداد لمعرض الكتاب كبيراً ومنظماً، شاهدتُ عدداً كبيراً من الكتب العربية مترجمة للغة الفارسية دون أن يدري مؤلفوها أو دور النشر أنها مترجمة؛ قصص لغسان كنفاني، قصة لجمال أبو حمدان أصدرها مركز هيا الثقافي في عمان، دواوين شعر لمحمود درويش، وسميح القاسم، قصص من سوريا...

وكان جناح «أدب المقاومة» يجمع هذه الكتب وغيرها، بل إن الكتّاب الفلسطينيين من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، أثروا المؤتمر بلقاءاتهم وإلقاء أشعارهم، وعرض إنتاجهم الأدبي والفني عن المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني.

وكان الوفد الفلسطيني القادم من سورية من أكبر الوفود العربية عدداً، منهم الشعراء والقاصون والفنانون والمفكرون والسياسيون، ومن هذا الوفد تعرفتُ إلى «زهدي العدوي» أصغر وأول سجين فلسطيني أمضى في سجون العدو عشرين عامًا أو يزيد، فخرج منها رجلاً، ولكن فناناً فكان مادة قصة «السجين الفنان»، والتي صدرت لاحقاً عام 1996.

ومن فلسطين قابلتُ «سميح القاسم»، وكانت أول مرة أقابل فيها شاعراً من «الداخل»، ولم يكن قد انفتح بعد على البلاد العربية، وعلى الأردن تحديداً.

من الأردن كان معنا المفكر الإسلامي المرحوم «حسن التل»، مؤسس ومالك وكاتب في جريدة الدستور الأردنية، والفنان «عبد الحي مسلم» الذي ذاع صيته في الأردن لاحقاً كفنان ملتزم يشكل من أقاصيص الجرائد ونشارة الخشب مجسماتٍ وأشكالاً فنية رائعة، أقام لها العديد من المعارض في الأردن والخارج.

مع ملحق الطفل الأسبوعي – جريدة الدستور، ص137:

على مدى ما يزيد عن عقدٍ من الزمان 1983/ 1995 تسلمت تحرير ملحق الطفل الأسبوعي في جريدة الدستور الأردنية، وكان ذلك أحد أسباب انتشاري وتأثيري وتعرف الناس على اسمي في عالم «أدب الطفل وصحافته»، كانت الجريدة يومية؛ وملحق الطفل أسبوعي يصدر مع الجريدة في يوم الجمعة، أحياناً صفحة واحدة وأحياناً صفحتين، يتناول فيما يتناول أخبار الأطفال وإبداعاتهم وصورهم، وما يرسلون من مواد سواء من إنتاجهم أو اختيارهم نقلاً عن مصادر أخرى. وكنتُ أنا بالطبع أكتب الكلمة الموجهة في العمود الأسبوعي لهم، وأكتب قصّة العدد المسلسلة في كثير من الأحيان.

وكم استفدتُ شخصياً من هذه القصص المسلسلة، حيث كانت مادة أساسية لبعض الكتب الصادرة لاحقاً، مثل قصة «الملثم وجريمة الأحد الأسود» عن الانتفاضة في غزة، وقصة «ليلى وفرن الصمود» عن الانتفاضة في نابلس، وقصة «سر سكين عامر» عن الانتفاضة في قرية العبيدية إحدى القرى حول القدس.

كانت جريدة الدستور منارة صحافية لي للكتابة، بدأت مع ملحق الطفل الأسبوعي، ثم تطورتْ لزاوية دائمة أكتب فيها مقالات اجتماعية، سياسية، أدبية وغير ذلك للكبار مما زاد من انتشاري ومعرفة الناس باسمي وآرائي المختلفة. وأعتقد أن كل من تعاطى الكتابة الصحفية، كان يشعر بالسعادة التي كنتُ أستشعرها بعد نشر المقالات، وسماع آراء الناس الإيجابية، وحتى السلبية.

بعد ملحق الصحيفة اليومية، ارتبطتُ بصحافة الأطفال ومجلاتهم؛ فعملتُ محررة مسؤولة مع وزارة الثقافة في مجلة وسام للأطفال، ثم مع دائرة الثقافة لأمانة عمان مجلة براعم عمان، ثم مع مجلات في القطاع الخاص ظهرت ثم اختفت، مثل

مجلة الكرتون العربي ومجلة سامر، وراسلتُ مجلة ماجد في أبو ظبي. واتصلت مع مجلات الأطفال في مصر.

ألا ترون معي أن «حركة» ثقافة الطفل هي «حركة» مستمرة تبدأ بالأدب بأجناسه المختلفة من شعر وقصة وحكاية وأنشودة، وتهليلة.. الخ. ثم تتواصل مع المسرح المكتوب والمقدم على خشبة المسرح، ثم تنتقل إلى مجلات الأطفال وصحافتهم، لتصل إلى المراكز العلمية في الجامعات للتعليم والتحليل والنقد ثم تنتقل إلى إنشاء ودعم مراكز الأطفال وأنديتهم ومكتباتهم، وإقامة الندوات وورش العمل معهم ولهم.

«حركة» قوية تتأثر بها ومنها وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز لتحرك واقع ثقافة الطفل، وترتفع به ومعه إلى آفاق أرحب، وثقافة أوسع.

مع مؤسسة عبد الحميد شومان، ص139:

لم تكن علاقتي مع المرحومة «يسرى أبو عجمية» عادية، بل استثنائية، فالمرحومة يسرى كانت ذات صوت قوي جهوري، تخاطبك على الهاتف فتحس أنك أمام فتاة قوية الشخصية والمظهر، وعندما طلبت مني المساهمة في تقييم أعمال الطلاب والأطفال من الذين شاركوا ويشاركون بمسابقات مؤسسة عبد الحميد شومان للقصة القصيرة والشعر والرسم، وافقتُ بسرعة، فلمّا ذهبتُ إلى اللقاء الأول معها وجدتُ نفسي أمام إنسانة تختلف جداً عن صوتها، فقد اختبرها الله تعالى بشلل الأطفال منذ طفولتها أعاق نموها الطولي، بل وأثر على قدميها وأحنى ظهرها!! وقلتُ لنفسي لله في خلقه شؤون وهو الحكيم العليم.

ونشأت الصداقة معها على أسس متينة من الوعي والعقل والعمل، إنسانة متفتحة للحياة معطاءة خدومة، صدوقة، تتابع كل صغيرة وكبيرة في عملها، دؤوبة تصل الليل بالنهار، تخدم أبناء منطقتها - مخيم البقعة- وتخدم مدارس الأونروا والمدارس الخاصة والحكومية، وتؤدي عملها بكل احترام في مؤسسة عبد الحميد شومان.. رحمها الله.

عندما ماتت «يسرى أبو عجمية» صلى عليها ما لا يقل عن مليون حاج في الكعبة المشرّفة.. كيف؟ كانت في دعوة للحج على حساب المملكة العربية السعودية

لجهودها في أحد مؤتمرات جمعية المكتبات التي كانت عضواً فيها، فلما أنهت مناسك الحج كاملة وبعد صلاة العيد فجراً، أصيبت بنوبة قلبية ففارقت الحياة وصلى عليها الحجيج كلهم!! أليس هذا بترتيب رب العباد لرفع مقامها – إن شاء الله تعالى– عنده؟!

لقد كان ليسرى أبو عجمية الفضل بتعريفي بالصديق الفاضل الأستاذ الدكتور «ربحي مصطفى عليان»، عضو جمعية المكتبات الأردنية، الأستاذ في كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية، والذي أشكره من كل قلبي على منحي لقب «رائدة أدب الأطفال في الأردن» في كتابه الموسوم «أدب الأطفال» والصادر عن دار صفاء للنشر والتوزيع.

المهم أن نشاطات مؤسسة عبد الحميد شومان استمرت واستمرّ عملي التطوعي معهم في العديد من المناسبات؛ لعلّ آخرها دعوتي للمشاركة في لجنة جائزة عبد الحميد شومان، لأدب الطفل مع الدكتور «راشد عيسى»، والفنانة «لينا التل» والكاتبة «وفاء القسوس» وبرئاسة العين «هيفاء النجار».

مؤسسة نور الحسين، الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال، ص143:

للملكة نور الحسين – زوجة المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال– دور كبير في إقامة عدد من المشاريع الخيرية والريادية في الأردن؛ ومنها مؤسسة نور الحسين، وللمؤسسة نشاطات عديدة مهمة منها: الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال؛ التي أسستها معالي العين «إنعام المفتي» وعدد من السيدات والسادة أذكر منهم: «ساهرة النابلسي»، و«بثينة جردانة»، و«عصام الزواوي»، وآخرون.

ولما انضممتُ إليهم فيما بعد، تمّ انتخابي رئيسة للهيئة الإدارية للرابطة وبعضوية زميلين جديدين هما، الشاعر «علي البتيري» والقاص «أحمد جبر»، وعملنا معاً كفريق رائع لخدمة الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة، وكان أن أصدرت الرابطة عدداً من كتب مرحلة الروضة أحدهما للشاعرة الأديبة المرحومة «شهلا الكيالي»: كتاب «لعبة الحبل» والآخر لي: كتاب «الجنود والوطن»، ثم أصدرت الرابطة لي وللأستاذ طه عثمان كتاب «ثقافة الأطفال في الأردن، الكتّاب، المخرجون، الرسّامون، المؤسسات، المراكز، المكتبات، الجمعيات الخيرية».

النظام البيئي لصناعة النشر: مقارنات وتوصيات

أ. فلورا مجدلاوي[1]

النظام البيئي

صناعة المحتوى، النتاج الأدبي، النشر، المكتبات العامة، والتعليم هي جزء من نظام بيئي واحد، وعندما نتكلم عن هذا النظام البيئي من المهم جداً أن نعتمد التخطيط طويل الأمد، لأنّ مكوّنات هذا النظام تُبنى بشكل تراكمي. ومن المهم أن نعي جيداً أنه ليس من قبيل الصدفة أنّ جميع البلدان التي تتمتع بمستوى عال وتنافسي وراق ومتقدم في مجال النشر وصناعة المحتوى، هي أيضاً دول تضم منظومة مكتبات عامة قوية، ويشكل قطاع النشر فيها مكوّناً اقتصادياً مهماً جداً.

قد يكون من المفيد المقارنة بدولة ذات تعداد سكاني متقارب مع الأردن، ففي السويد مثلاً (حوالي 10 مليون نسمة)، يتوفر ما يزيد عن 1000 مكتبة عامة، موزّعة جغرافيّاً بشكل متوازن يتوافق مع الكثافة السكانيّة في كل منطقة. وتشكّل العائدات (الربحية) لدور النشر، التي تنشر باللغة السويدية، لـ 10 مليون نسمة، حوالي 200 مليون دولار سنوياً[2] (القيمة أعلى إذا حُسبت قبل انخفاض العملة السويدية مقابل الدولار مؤخراً، لكن استخدام الرقم هنا كمؤشر فقط) ويعمل في هذا القطاع حوالي 33000 موظف، بينما تجاوزت المبيعات 6 بليون دولار في عام 2021[3].

---

(1) مستشارة للنشر، دار بونيير للنشر، ستوكهولم، السويد.

(2) https://www.statista.com/statistics/541320/sales-revenue-of-book-publishers-in-sweden/

(3) https://www.statista.com/statistics/576992/ranking-of-publishing-companies-in-sweden-by-turnover/

العلاقة بين الناشر والمكتبة ليست علاقة تعايش فقط بل تعاون ومشاركة؛ فهي الجسر بين المؤلف والقارىء، وهي التي تتيح توفير محتوى دقيق وعالي الجودة يمكن لجميع شرائح المجتمع الوصول إليه.

والمكتبات العامة ليست مجرد مزود تقليدي للكتب والمصادر والمعلومات، إنما هي مؤسسات مدنية عليها أن تتطوّر باستمرار، وتكيّف خدماتها حسب احتياجات المجتمعات التي تخدمها، ومن أجل المواكبة والازدهار في عالم من التغير المستمر. وقد أعيد تعريفها وتعريف دورها ومهامها في كثير من البلدان لتواكب احتياجات مجتمع القرن الواحد والعشرين. فهي أولاً وأخيراً مؤسسة لخدمة المجتمع وتلبية احتياجاته الثقافية والتعليمية والترفيهية وأيضاً الاجتماعية. في لندن مثلاً أعيد تعريفها لتعطى اسما آخر وهو «متجر الأفكار»[1]، في فنلندا، يُعتبر الشعب الفنلندي من أشد الشعوب حماسة لاستخدام المكتبة العامة، ويستعير شعبها (أقل من 6 مليون نسمة) ما يقارب 68 مليون كتاب سنويّ[2]. اليابان هي من أكثر الدول في العالم التي تشهد ازدهاراً في مكتباتها العامة[3]. حالياً، أوروبا الشرقية هي أكثر الدول إنفاقاً على مكتباتها العامة للفرد per capita[4].

(1) https://modelprogrammer.slks.dk/en/cases/thematic-cases/idea-stores-a-revised-library-concept/

(2) https://www.theguardian.com/cities/2018/may/15/why-finlands-cities-are-havens-for-library-lovers-oodi-helsinki

(3) https: / /www.statista.com /chart /18554 /book-loans-by-public-libraries-per-year /

(4) https://about.proquest.com/en/blog/2018/these-countries-have-the-most-public-libraries-per-capita/

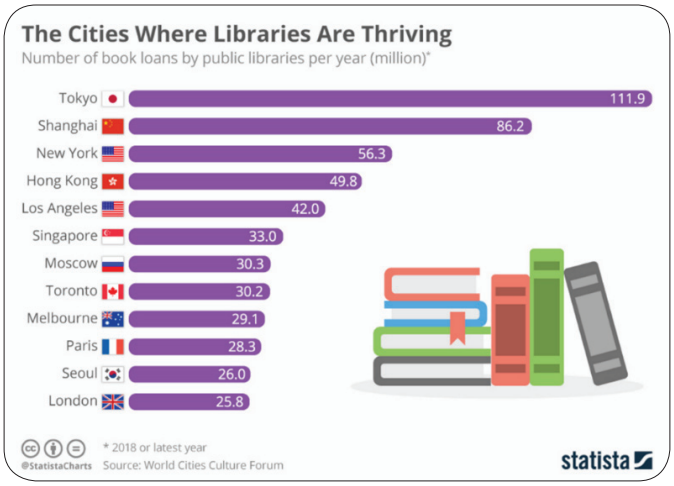

معلومة قديمة لكنها مهمة وذات صلة: في عام 2015، زار 37 مليون شخص مكتبات نيويورك العامة، وهذا أعلى من زيارات جميع المتاحف، ومباريات البيسبول، والباسكيتبول، والحدائق، وحدائق الحيوان، وجميع الأنشطة القائمة على الفنون الأدائية، يتشكل زوار المكتبات من السكان الأقل حظاً والذين يحتاجون إلى خدمات نظيفة وآمنة ويمكن الوصول إليها مجاناً[1]. كما أن رواد المكتبة من الأطفال يستخدمونها للحصول على خدمات الإنترنت وأداء واجباتهم المدرسية، أو الاستفادة من البرامج الثقافية والترفيهية التي تقدمها المكتبة. كما أن كبار السن يرتادونها للقيام بنشاطات مختلفة.

فالمكتبة العامة هي مساحة آمنة نظيفة مجانية، تحظى بثقة المجتمع واحترامه، وهي المؤسسة التي يعوّل عليها لتقليل الفجوة التعليمية والثقافية بين أبناء الوطن الواحد، فهي تلغي التحدي المادي الذي يمنع الكثير من الأردنيين وأطفالهم من الوصول إلى الكتب أو إلى الحواسيب والإنترنت. كما يمكن استخدامها لتشكيل النشء الجديد والتأثير في المجتمع وفق رؤية الدولة واستراتيجياتها.

من دون التأسيس لمنظومة مكتبات عامة قوية ستبقى الصناعات الإبداعية واكتشاف

(1) https://www.bustle.com/articles/79170-new-york-libraries-have-more-visitors-than-most-other-attractions-combined-go-libraries

المواهب المحلية هي رهن الصدف، وسنفقد الكثير من الطاقات والوقت والفرص. ولن يتم استغلال وقت الجيل الناشئ وهو يكبر بأفضل طريقة ممكنة لتهيئته نحو الإبداع ودعم مهاراته الحياتية ورفع مستوى الثقافة في البلاد بشكل عام، بالإضافة إلى إضاعة فرص ذهبية لمؤازرة التعليم المنهجي ودعمه بمصادر ونشاطات خارجة عن المنهاج.

ومن دون المكتبات العامة، وتفعيل المكتبات المدرسية لا يستطيع الناشر الأردني أن ينافس أو أن يقدم الجديد، أو أن يساهم في تعزيز الاقتصاد الوطني، والازدهار، وتوفير فرص عمل، علماً بأنه سيفقد تنافسيته شيئاً فشيئاً في ظل اليقظة النشطة لصناعة النشر في الخليج العربي والمدعومة بسخاء شديد من قبل حكوماتها، والتي ستوفر الكتب من مؤلفات وتراجم (خاصة كتاب الطفل ذات الكلفة العالية جداً) بأسعار منافسة ومغرية، مما سيُضعف الناشر الأردني شيئاً فشيئاً وقد يؤدي تدريجياً إلى خروجه من السوق.

ماذا نريد؟

- شهد الناشر الأردني في السنوات الماضية انفتاحاً مع وزارة التربية والتعليم الأردنية، لكن هذا التواصل والتعاون ما زال محدوداً وخجولاً. يسعى الناشر الأردني إلى تعزيز مكانته ودوره في مساندة التعليم العام، وفتح أبواب التواصل بين الناشر الأردني ووزارة التعليم الأردنية بهدف التعاون وإشراك الناشر في معرفة الاحتياجات التعليمية، ودعوته إلى المساهمة في تقديم الحلول التعليمية.
- تفعيل دور المكتبات المدرسية بإعطائها الميزانيات المناسبة لرفد مكتباتها، ويمكن أن يتم هذا الأمر بشكل مركزي عن طريق الوزارة، أو لا مركزي بحيث يُترك لكل مدرسة انتقاء ما يلائم احتياجاتها أو المزج بين الاثنين.
- أن يتم تفعيل مكتبات أمانة عمان الكبرى، تفعيل المكتبات في البلديات، إنشاء مكتبات جديدة.
- دور وزارة الإعلام: إطلاق حملة وطنية توعوية مكثفة عن أهمية جعل ثقافة القراءة تدخل كل بيت. وحثّ الكبار على القراءة مع أطفالهم تهدف إلى

غرس ثقافة القراءة في المجتمع الأردني وجعلها سمة من سمات المجتمع، وجزءاً من حياته.

- أن تسعى وزارة الثقافة للتواجد بشكل مستدام في المعارض الدولية العالمية للكتاب بجناح أردني لعرض النتاج الأردني للترويج للكتاب الأردني وزيادة فرصه في الترجمة إلى لغات أخرى. مع العلم أنّه، وبناء على جهود مشتركة بين رئيس اتحاد الناشرين ووزارة الثقافة، تمت مشاركة الأردن كدولة في معرض لندن للكتاب عام 2008، وفي معرض نيويورك عام 2009، وفي عام 2006 في معرض القاهرة الدولي (بعد انقطاع 40 عاماً).
- أن تساهم وزارة التربية والتعليم بشكل جدّي في التعريف بالكتّاب الأردنيين المعاصرين بإثراء المكتبات المدرسية من أعمالهم، ودعم ما يستحق منها في إدخاله في منهاج دراسة الأدب وتحليله، وشراء الحقوق في حال الرغبة في نشر مقتطفات من العمل الأدبي في الكتب المدرسية.
- أن تتبنى وزارة التربية والتعليم أسبوعاً للكاتب الأردني للقاء الطلاب في القرى والمحافظات.
- أن تقدم الوزارة لوائح للقراءة الصيفية، قراءة من أجل المتعة والتذوق الأدبي ورفع مهارات القراءة باللغة العربية (والتي تعاني انحداراً خطيراً في مستوياتها بين الطلاب)، مصنفة حسب الفئات العمرية، وتقتنيها بطبعات مخصصة للوزارة وأسعار مخفضة من الناشر لتوزيعها على الطلبة، للقراءة في فصل الصيف.
- حصة المكتبة، أين ذهبت؟
- إطلاق ماراثون القراءة الوطني بشكل سنوي، مع التركيز على المحافظات والأقاليم، وتكريم القراء المتميزين يشترك فيه جميع طلاب المدارس في الأردن. والترويج له بشكل جدي وضخم وفعّال بالتعاون مع جميع المؤسسات الإعلامية في البلد، مع رعاية ملكية وجوائز قيّمة عالية المستوى لتغيير عقلية الأردني في التعامل مع الكتاب.

- استحداث جائزة الدولة الأدبية، كجائزة سنوية لأفضل عمل في الحقول الأدبية: (الرواية، الشعر، الترجمة، أدب الأطفال).
- استحداث مسابقة أدبية وطنية لاكتشاف الأقلام الواعدة في مجالات الرواية، وكتابة السيناريو، والمسرح، وجمع أكبر عدد من القصص المحلية واستحداث أرشيف خاص بها، يمكن شراء حقوقها واستغلال محتواها في صناعة النشر، أو الأفلام، أو الألعاب الإلكترونية.
- أن تنظم وزارة الثقافة بالتعاون مع البلديات معارض محلية خاصة خارج العاصمة تُعرض فيها الكتب بأسعار مخفضة مدعومة.
- التعاون مع وزارة الثقافة في مجالات تطوير القطاع ورصد الميزانيات المناسبة لذلك، وتيسير عقد شراكات مع البلدان المجاورة.
- استحداث قسم خاص في المكتبة الوطنية يُعنى حصرياً بالبيانات الخاصة بقطاع النشر، لأهداف الدراسة والاسترشاد والتخطيط، إذ إنّ الناشر الأردني يفتقر وبشدة إلى الإحصائيات للعمل وفق منهجية علمية.
- عدم التعامل مع معرض الكتاب كمعرض تجاري بحت، بل كمشروع ثقافي، ودعم الناشر الأردني في تخفيض أجور مشاركته إلى مستويات رمزية.
- يعاني الناشر الأردني من عدم تنفيذ قرارات رسمية أُقرّت لدعمه كما هو الحال في أمانة عمّان. ونطالب أن تعيد أمانة عمان عدد النسخ التي تقتنيها من الكاتب الأردني إلى 50، كما كانت في السابق بدل العدد الحالي 20.
- إعطاء الأولوية للناشر الأردني في عطاءات الدولة، وعدم استيراد محتوى من الخارج في حال توفره حسب المعايير المطلوبة في السوق الأردني.
- إعادة دراسة وضع المكتبات العامة في البلاد، ودعم التحوّل الرقمي لخدماتها. وإعادة النظر في دورها ومواكبتها لمتطلبات مكتبات القرن الواحد والعشرين. وتحويلها من مجرد وعاء معلوماتي إلى منصات ثقافية شاملة تحتضن الأنشطة والفعاليات الجاذبة لأفراد المجتمع، إلى جانب دورها الأساسي المرتبط بتنمية العادات القرائية وإثراء المعرفة.

- تفعيل دور المكتبات المدرسية بإعطائها الميزانيات المناسبة لرفد مكتباتها، ويمكن أن يتم هذا الأمر بشكل مركزي عن طريق الوزارة، أو لا مركزي بحيث يُترك لكل مدرسة انتقاء ما يلائم احتياجاتها أو المزج بين الاثنين.
- أن تنظم وزارة الثقافة بالتعاون مع البلديات معارض محلية خاصة خارج العاصمة تُعرض فيها الكتب بأسعار مخفضة مدعومة.
- التعاون مع وزارة الثقافة في مجالات تطوير القطاع ورصد الميزانيات المناسبة لذلك، وتيسير عقد شراكات مع البلدان المجاورة.
- أن تساهم وزارة الثقافة إسهاماً جاداً في الترويج للكاتب الأردني عالمياً بالمشاركة في معارض الكتب الدولية بجناح أردني لعرض النتاج الأردني. مع العلم أنّه، وبناء على جهود مشتركة بين رئيس اتحاد الناشرين ووزارة الثقافة في ذلك الحين، تمت مشاركة الأردن كدولة في معرض لندن للكتاب عام 2008، وفي معرض نيويورك عام 2009، وفي عام 2006 في معرض القاهرة الدولي (بعد انقطاع 40 عاماً).
- استحداث قسم خاص في المكتبة الوطنية يُعنى حصرياً بالبيانات الخاصة بقطاع النشر، لأهداف الدراسة والاسترشاد والتخطيط، إذ إن الناشر الأردني يفتقر وبشدة إلى الإحصائيات للعمل وفق منهجية علمية.
- أن تساهم الشركات الوطنية الكبرى كالملكية الأردنية بالترويج للكتّاب الأردنيين للأطفال من خلال إهداءات كتبهم على متن رحلاتها.
- تشديد القوانين الرادعة لحماية الملكية الفكرية.

«نون والقلم وما يسطرون»

أ. ناهد الشوا[1]

«أخبرني معلومة ثابتة لكي أتعلم، وأخبرني الصدق لكي أؤمن، ولكن أخبرني قصة لتعيش في قلبي مدى الحياة».

القصة

بدأت الكاتبة ناهد الشوا بالكتابة والنشر للأطفال منذ عام 2000 وكان هدفها آن ذاك أن تقدم لأطفالها كتباً لطيفة وممتعة وهادفة تتميز في ذات الوقت بجمالها وجاذبيتها. وقتها لم تجد الكاتبة في المكتبات ما يرضيها لتقتنيه لأطفالها فكانت باكورة إصداراتها سلسلة (حكايات صبا) التي نفدت طبعتها الأولى في أقل من سنة. صارت الكاتبة وبتوفيق من الله وبتشجيع قرائها تصدر السلسلة تلو الأخرى، أسست دار كتب نون في الأردن، من ثم بعد استقرارها في كندا قررت أن تكمل المشوار في المهجر فأسست «كتب نون: مؤسسة ناهد الشوا الثقافية» لتكون دار النشر التي تتبنى رؤيتها وتنشر كتباً نوعية، تهدف إلى بناء شخصية طفل عالمي محب وخيِّر ومبدع وإنساني، وقد سطرت في حياتها خلال الـ ١٤ سنة الماضية الكثير من فصول الشغف والمحبة والعطاء، وأصبحت دار «كتب نون: مؤسسة ناهد الشوا الثقافية»، اسماً مميزاً في عالم نشر أدب الطفل، تغني المكتبة العربية بكتب أطفال عربية عالمية المعايير.. شاكرين الله على هذا المشوار الجميل.

الرؤيا: أن تكون كتب نون وجهة الطفل العربي لكتاب نوعي وجميل وممتع

(1) المؤسسة والمديرة التنفيذية في كتب نون: مؤسسة ناهد الشوا الثقافية، مونتريال، كندا.

وذي رسالة إنسانية هادفة تحفزه للفوز بغَدٍ يفخر بالسلام ويتألق بالجمال ويتباهى بالإبداع.

الرسالة: تسعى «كتب نون: مؤسسة ناهد الشوا الثقافية»، إلى إصدار ألف كتاب وكتاب للطفل تتباهى بهويتها العربية وكونها نوعية تمتاز بمقاييس عالمية لها نكهة الحب وطعم الشوكولاة، تدعم ثقافة الطفل العربي وتغني المكتبة العربية وتنافس بمحتواها وإخراجها الكتب الأجنبية والعالمية، تدعو لمفاهيم إنسانية وتعزز فكر مواطن عالمي.

كتب نون

- كتب هادفة وجميلة تتميز بالمحتوى والتصميم بمعايير عالمية.
- تم اعتماد العديد منها لمناهج المطالعة في دول خليجية عدة وأخرى عربية.
- تعتبر مراجع لتدريس وتوضيح أهمية الكتاب في تصحيح السلوكيات التربوية وتنمية المهارات اللغوية للطفل ورعاية الصحة النفسية.
- تتواجد في جميع أنحاء العالم في المدارس العربية والإسلامية وفي المكتبات الرئيسة في مدن عربية ودولية.

170 (إصداراتنا)

25 (مؤلّفونا)

87 (رسّامونا)

7 (فريقنا)

67 (موزّعونا)

الجوائز والقوائم القصيرة

حصدت كتب نون العديد من الجوائز وكانت على القائمة القصيرة من قبل مؤسسات فكرية مهمة مثل:

- مؤسسة الفكر العربي.
- جائزة الاتصالات.
- جائزة الشارقة لكتاب الطفل.
- جائزة ملتقى ناشري أدب الطفل.
- جائزة الشيخ زايد.
- جائزة سويرس لأدب الطفل.

الكتب الحائزة على جوائز والمكرمة، والقائمة القصيرة، والمترجمة

«أنا وأنت»، «حلم أو اثنان»، «لكن السماء زرقاء»، «هو والآخر»، «أبواب»، «ما لم أقل لك يا ماما!»، «صحن أم الخير»، «أحب حصاني الأبيض»، «فيل وسأطير»، «أحلام ورقة»، «انظر أقرب»، «الأفعى الحمراء»، «منطق الطير»، «أنا هنا»، «أشتاق... أشتاق».

حقائق وأرقام صادمة

نصيب الطفل من الكتب	الدولة
130.260	أمريكا
3.800	إنجلترا
2.100	فرنسا
1.350	إيطاليا
1.500	روسيا
300	الوطن العربي

دقائق قراءة الفرد في السنة:

العربي	6
الغربي	12000

التحديات: الكاتب

- ندرة كتاب أدب الطفل.
- الكتابة للطفل هي السهل الممتنع.
- صعوبة بث قيم جديدة ومتطورة للطفل.
- الكاتب لا يستطيع أن يعيش بمهنة الكتابة.
- عدم التخصص في أدب الطفل.
- عدم وجود فكر درامي إبداعي متحرر.
- رؤية الطفولة كاملة، بحيويتها ومشكلاتها واهتماماتها ومخاوفها.
- القدرة الفنية.
- الوظائف النفسية.

يجب أن يكون كاتب الأطفال، من الناحية المثالية شاعراً شبه مجنون، يحمل فكرة رائعة. إذا لم يودع تلك الفكرة المدهشة إلى الورق فالأفضل أن يعمل شيئاً مختلفاً تماماً لكي يكتسب تجارب جديدة وثرية، فلا بدّ لكتّاب الطفل أن يوسعوا أذهانهم ومداركهم. **جون إيكن**.

التحديات: المحتوى:

- المرحلة العمرية.
- الاحتياجات السيكولوجية والذهنية والتطويرية.
- الخيال.
- الهوية متعة.
- نشجع على القراءة.
- علم.

- تربية.
- مرح.
- مفردات.
- معاني.
- مفاهيم إنسانية.
- مفاهيم دينية وأخلاقية.

التحديات: الكيف

- قلة الرسامين المحترفين.
- عدم وجود مؤسسات تعليمية تخرج رسامين ومصممين لكتب الأطفال.
- الانغلاق في المحلية.
- احترام الطفل وتنمية ذائقته الجمالية.
- نوعية الورق الفاخر/ الكرتون – مكلفة.
- مراعاة المرحلة العمرية في كل مراحل الإنتاج.

التحديات: سعر الكتاب

- ارتفاع السعر.
- طباعة مكلفة.
- شحن مكلف وغير آمن.
- عدم احترام العمل الفني والأدبي.
- النظر إلى الكتاب على أنه من الكماليات وليس ضرورة.

التحديات: السوق

- سوق واسع ومغرٍ.
- 34٪ من سكان العالم العربي (500 مليون) من الأطفال.
- في عام 2025 عدد الأطفال 170 مليون طفل.
- ميزانيات ضعيفة.
- لا توجد ميزانيات حكومية.
- لا يوجد دعم خاص.
- قلة الوعي.

التحديات: التوزيع

- اتحادات غير فاعلة.
- عدم وجود تآلفات محلية على مستوى الحي مثلاً.
- ميزانيات ضعيفة.
- منافذ توزيع قليلة.
- عرض غير جذاب.
- عملية التسويق مهمشة.
- معارض قليلة.
- خصومات عالية.
- صعوبات لوجستية.

التحديات: ملخص المعوقات

- الأمية.

- ضعف مستوى اللغة العربية.
- ضعف الدخل.
- محدودية الوعي.
- عدم الاهتمام بالنشر النوعي.
- التكلفة العالية للنشر.
- ندرة الكتّاب.
- ندرة الرسّامين.
- ضعف التوزيع.
- ندرة المكتبات العامة.
- ندرة وجود الدعم الحكومي أو الخاص.
- انخفاض الميزانيات للمكتبات المدرسية أو العامة.
- التلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي.

التوصيات

- تدريس مادة أدب الطفل في كليات الآداب العربية والإنجليزية.
- تدريس الكتابة الإبداعية في المدراس والكليات الأدبية.
- جعل مادة رسوم أدب الطفل أساسية في كليات الفنون.
- تقديم ورشات كتابة إبداعية مختصة بأدب الطفل للكتّاب المهتمين بأدب الطفل.
- تقديم ورشات رسم كتب الأطفال.
- مراجعة وتطوير طرق ومناهج اللغة العربية لتحبيب الأطفال بها.
- تدريس اللغة العربية كمادة رئيسية لا ثانوية في المدارس الأجنبية.

- وضع امتحانات لغة عربية حكومية لكل مرحلة مدرسية بحيث لا يترفّع الطالب من مرحلة لمرحلة دون اجتيازها.
- إجراء بحوث عن القراءة في الوطن العربي وأفضل الطرق لترويجها.
- إنشاء مكتبات حيّ بدعم حكومي أو مجتمعي أو خاص.
- دعم الحكومة للناشر العربي بحيث تقتني من الطبعة الأولى لكل كتاب نوعي يصدره كمية معينة توزع على المكتبات المدرسية والعامة.
- تقديم منح للناشر لنشر كتب نوعية وإنجاز مشاريع ثقافية.

توصيات

- تعزيز التعاون بين الكتّاب والناشرين والمعلمين والأهل والجهات الحكومية لضمان تحسين أدب الأطفال.
- تطوير المناهج الجامعية؛ بإنشاء مساقات لأدب الأطفال واليافعين في كليات التربية والتعليم والأدب العربي وعلم النفس، بالإضافة إلى إنشاء تخصص في أدب الأطفال في الجامعات.
- توفير مراجع ومصادر محلية غنية للطلاب، في الجامعات التي تدرِّس مساقات عن أدب الأطفال.
- دعم إنشاء قسم خاص للدراسات الدورية لأدب الأطفال في المكتبة الوطنية.
- تشجيع أقسام الدراسات العليا في الجامعات على إجراء دراسات نقدية جادة في مرحلة كتابة الأطروحات الجامعية، تتصل بتقييم المستوى الأدبي والفني في أدب الأطفال المحلي.
- تبادل ما ينشر في العالم العربي في أدب الأطفال لرفد المكتبات العامة والمدرسية، وتوفير مواضيع وتجارب كتابية متنوعة للأطفال.
- إنشاء مكتبات عامة ومدرسية تتوفر فيها المنشورات الجيدة والمنوعة من كتب الأطفال، وتخصيص «رفّ» في كافة المكتبات باسم «الكاتب الأردني».
- إقامة نشاطات تفاعلية للأطفال، والاستماع إلى آرائهم وتفضيلاتهم القرائية، وتوفير القصص التي تناسب اهتماماتهم.
- تحسين التسويق والتوزيع لكتاب الطفل، من خلال خلق أسواق جديدة له، وتفعيل التعاون الرسمي الإقليمي بين الأسواق العربية.

- تقديم الدعم المالي والمعنوي للناشرين من خلال تمويل مكون النشر ومبيعات التصدير.
- الاهتمام بحلقة النشر من كتّاب ورسامين ومصممين وفنيي طباعة ومنصات قراءة وفنيي الكتب الإلكترونية؛ وذلك عن طريق ورش عمل وتنسيق التعاون فيما بينهم.
- حماية حقوق الملكية الفكرية والتصدي للقرصنة.
- الدعوة إلى التركيز على اللغة العربية في التعليم وفي الحديث وفي الدراسة وفي اللعب... إلخ، والتحفيز على تدريس اللغة العربية كمادة رئيسية لا ثانوية في المدارس الأجنبية.
- استحداث منصة إلكترونية خاصة بعناوين كتب الأطفال وأدبهم وما يستجدّ من منشوراتهم.
- الاهتمام بكتّاب مسرح الطفل ودعمهم مادياً ومعنوياً للتفرغ للكتابة المسرحية، وتوفير ورش وندوات خاصة بها، والحرص على طباعة ما ينتج من نصوص مسرحية مميزة.
- تشجيع كليات الفنون على استحداث مادة رسم خاصة بأدب الأطفال.
- تنظيم ورشات كتابة إبداعية مختصة بأدب الطفل للكتّاب المهتمين به، وكذلك ورشات رسم خاصة بكتب الأطفال.
- عمل مخيم إبداعي سنوي لكتّاب قصص الأطفال ورسامي قصص الأطفال يكون نتاجه مجموعة قصص يتم طباعتها فيما بعد.
- عمل فريق متكامل يتم اختياره لإنتاج مشاريع لكتب الأطفال تقوم على اجتماعات عصف ذهني تنتج فيها الفكرة وتناقش وتنمّى ثم تكتب وترسم.
- عمل مشروع دعم مادي لكتّاب الطفل؛ يقدم فيه كتّاب الطفل مشاريع كتابية، ويتم انتخاب الأفضل منها لدعمها ونشرها.

المحتويات

المشاركون في الكتاب ..... رؤساء الجلسات 5
أدب الأطفال: آفاق المتعة والفائدة ..... أ. د. محمد عبيد الله 7
أَدب الأَطفال في الأُردنّ: قَضَايَا النَّشْأَة ..... د. ناصر شبانة 17
أدب الأطفال في الأردنواقع... وتطلعات..... أ. منير حسني الهور 33
اتجاهات أدب الطفل في الأردن ..... د. عبير النوايسة 47
أدب الأطفال في المناهج الأردنية ..... د. راشد عيسى 61
شِعرُ الأطفالِ في الأُردنّ جُذورٌ تُقاومُ النّسيان
وفُروعٌ تَمتدّ ..... أ. محمد جمال عمرو 71
تشجيع القراءة بمختلف المراحل العمرية..... أ. تغريد النجار 89
النص المسرحي الموجَّه للطفل في الأردن
جذوره وموضوعاته ..... د. صبحة أحمد علقم..... 99
أدبُ الفِتيانِ الأُردُنيّ.. مَلامِح وتَحَدِّيات ..... أ. يوسف البري 107
منظور العمل الإنساني وأدب الطفل في الأردن . أ. آية يونس..... 121
ثقافة الطفل الجديدة..... د. محمود أبو فَروة الرَّجَبي ... 141
في ظلال العَمّة الكبرى الفيزياء البعد العلمي
في أدب الأطفال ..... أ. رمزي الغزوي 157
الكتابة الجديدة لقصص الأطفال ..... أ. هيا صالح 161
الكتابة للأطفال: أسئلة تأسيسيّة..... د. أماني سليمان داود 169
فن التواصل الكتابي مع الطفل..... أ. سوزان غاوي 179

«سحر الضّحك: دور الفكاهة في تعزيز
رسائل أدب الطّفل» ..... أ. لُما عازر 191
الكتابة باللغات التي يتقنها الأطفال ..... أ. هديل مقدادي..... 205
لماذا كتبتُ للأطفال؟ طفولتي في قصصي ..... أ. سناء الحطّاب..... 219
محطّات في تجربتي في الكتابة للأطفال ..... أ. روضة الفرخ الهدهد 225
النظام البيئي لصناعة النشر: مقارنات وتوصيات أ. فلورا مجدلاوي 237
«نون والقلم وما يسطرون» ..... أ. ناهد الشوا 245
توصيات 253
المحتويات..... 255

أدب الأطفال في الأردن: آفاق المتعة والفائدة

هذا الكتاب الذي تصدره مؤسسة عبد الحميد شومان خطوة أخرى من خطوات اهتمام المؤسسة بأدب الأطفال، ويعرف المتابعون عناية هذه المؤسسة بهذا المجال عبر مبادرات ونشاطات متعدّدة متراكمة، في مقدمتها جائزة عبد الحميد شومان لأدب الأطفال التي تعدّ من الجوائز العربية الرائدة والمرموقة في هذا المجال.

والكتاب بمجمل أوراقه وشهاداته يمثّل إضافة طيبة إلى ما سبق من مؤلفات ومنشورات تتصل بنقد مسيرة أدب الأطفال في الأردن، ومعلوم أن النقد والمراجعة توجّه محمود في مجالات الأدب والثقافة، لا غنى عنه لفحص المسيرة وتقييمها وتوجيهها والاستفادة من مراحلها السابقة.

ISBN 978-9957-19-087-3

الأردنّ، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص. ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 • منشورات 2024

مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي • ARAB BANK

البنك العربي
ARAB BANK